

جعفر رجب

تفاحة وشجرة وهفحة ييضاء!

لماذا نقرأ الفلسفة؟
ماذا سنقرأ في الفلسفة؟
كيف نقرأ الفلسفة؟

مكتبة

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING



**تفاحة وشجرة
وطفحة ييضاء!**

مكتبة

t.me/soramnqraa

الكاتب: جعفر رجب
عنوان الكتاب: تفاحة وشجرة وصفحة بيضاء!

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 5-60-808-9921-978
الطبعة الأولى - أكتوبر/ تشرين الأول - 2024
1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 11 00 78 964 +



takween.publishing@gmail.com



takweenkw



takween_publishing



TakweenPH



www.takweenkw.com

جعفر رجب

مكتبة

t.me/soramnqraa

تفاحة وشجرة وطفحة ييضاء!

لماذا نقرأ الفلسفة؟
ماذا سنقرأ في الفلسفة؟
كيف نقرأ الفلسفة؟

تساؤلات

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



المحتويات

مكتبة

t.me/soramnqraa

تمهيد: الخطوات العشر «أنا وسقراط والديك المزعج» ٩

الباب الأول

مفهوم الفلسفة

الفصل الأول: ماذا تعني الفلسفة؟ ٢٥

الفصل الثاني: متى بدأت الفلسفة؟ «أول من حلب البقرة» ٣٣

الفصل الثالث: أين بدأت الفلسفة كعلم؟ «إنها معجزة اليونان» ٤١

الباب الثاني

معركة الفلسفة

الفصل الأول: لماذا لا يحبون الفلسفة؟ «الأعداء الستة» ٥٥

الفصل الثاني: الفيلسوف إطفائي الخرافات «وزة تتكلم، وحمار

مقدس» ٨٩

الفصل الثالث: أهمية الفلسفة «تخرج لك الفيل من القبة» ١١٩

الباب الثالث

(مباحث الفلسفة) ماذا تدرس الفلسفة؟

الفصل الأول: ماذا تعني المعرفة؟ «أن تعتقد لا يعني أنك تعرف» .. ١٥٩

الفصل الثاني: إمكان المعرفة «أنا أعرف أني لا أعرف» ١٧١

الفصل الثالث: حدود المعرفة «الأعمى لا يدرك الألوان» ١٨١

الفصل الرابع: مصادر المعرفة «كيف نعرف ما نعرف» ١٨٣

الفصل الخامس: طبيعة المعرفة «شجرة سقطت في الغابة» ١٩٩

الباب الرابع

«الأنطولوجيا» مبحث الوجود

الفصل الأول: الحياة عبارة عن «تيرمينال» ٢٠٩

الفصل الثاني: ما الذي يجعل أنا، أنا؟ ٢١٩

الفصل الثالث: الله و«عجائز نيشابور» ٢٣٥

الفصل الرابع: الزمن «تذكر وتوقع» ٢٤٧

الباب الخامس

الأخلاق

١. ما المقصود بالأخلاق؟ «أحذية للأموال» ٢٥٩
٢. الأخلاق علم معياري «الثعالب لا تفكر بالتوبة» ٢٦٣
٣. مصدر الأخلاق «عقل، ضمير، قانون» ٣٦٧
٤. الأخلاق التطبيقية «المثلية، وحرقة القرآن» ٢٧٤
٥. الحرية «بين سارتر والجهنم بن صفوان» ٢٨٧
٦. هل الحيوانات تشعر مثلنا؟ «الأسد الشجاع والعقرب الغدار» ... ٣٠٣

الباب السادس

المنطق

١. الفصل الأول: اللغة والمعنى «لغتي حدود معرفتي» ٣١١
٢. الفصل الثاني: ما معنى المنطق؟ ٣٢١

الباب السابع

قراءة كتب الفلسفة

١. قبل أن تقرأ كتب الفلسفة ٣٣٣
٢. لماذا تريد قراءة الفلسفة؟ ٣٣٩
٣. كيف أقرأ الفلسفة؟ ٣٤٨

الخاتمة ٣٥٣

الهوامش ٣٥٥

تمهيد

الخطوات العشر

الخطوة الأولى.. أنا وسقراط



أنا لست فيلسوفاً، ولا مفكراً،
ولا صاحب رسالة ومشروع
ثقافي، أنا مثل جدتي «سكينة»
-رحمها الله- مجرد «قابلة»، كانت
تساعد الأمهات على الإنجاب،

وأحاول بنفس الطريقة مساعدة نفسي ومساعدتكم على إنجاب
بعض الأفكار والآراء والمفاهيم... وهذا ما قاله من قبل رجل
اسمه سقراط، فقد كان مجرد «قابلة» -مثل أمه- لا يدّعي أنه يخلق
الأفكار بل يساعد على استخلاصها من خلال الجدل مع الناس!



تلك كانت الصفة الأولى التي شاركني فيها
«سقراط»^(١)، أما الصفة الثانية التي تجمعني
بسقراط فهي «التهكم» على الآراء والمعتقدات،



كوني مارست كتابة المقال الساخر والرسم الكارتوني
لثلاثين سنة وتزيد، ولهذا فإن وجدتم تهكماً في موضوع

جاد فهو أمر طبيعي، فالطبع يغلب التطبع، وهناك دائماً مساحة -بحجم الحماقات التي ارتكبها الإنسان- من المتناقضات في أفكارنا «تجربنا» على السخرية منها، ولا ضرر في أن تقول للشخص الذي أمامك إنه على خطأ وأنت تبتسم في وجهه!

أما الصفة الثالثة المشتركة فهي، أن سقراط اعتُبر من قبل كاهنة معبد دلفي بأنه أحكم الناس، لأنه «الوحيد الذي يعرف أنه لا يعرف شيئاً»، أنا كذلك وبدون أن ترشحنى كاهنة المعبد، أعرف أني لا أعرف أكثر مما لا يعرفه سقرط.

هل تدسم البيئة من حولك؟
ام البيئة هي التي ترسمك
وتلونك؟



«سقراط» بعيونه الجاحظة،
وقدميه الحافيتين، وملابسه
الرثة، الذي يعرف أنه لا يعرف
شيئاً... رمى بحجر في بحيرة
عقولنا قبل ألفين وخمس مئة سنة
وما زالت أمواجها مستمرة،
تتحرك بهدوء تارة وبقوة تارة
أخرى، فلا الشيطان قادر على

الوقوف أمام «فضيلة المعرفة»، ولا السجان قادر على سجن
الأسئلة، ولا السلطان قادر على إخفاء الحقيقة، وما دام العقل حرّاً
فإنه يخلق كبومة الحكمة «مينيرفا» في الظلام، لتنقذ الناس من
الجحيم الذي صنعه الآخرون^(٢)!

الخطوة الثانية.. من أين أبدأ؟

سألني صاحبي: أريد أن أقرأ عن الفلسفة، من أين أبدأ؟ وأي الكتب تنصحني؟ وهل تنصحني بقراءة الفلسفة؟ هل الأمر يستحق عناء قراءتها؟ وكيف أقرأها؟ هل هي مثل كتب التاريخ؟ أم على طريقة الروايات؟ هل أقرأها بالليل أم بالنهار؟ هل أقرأها وأنا أحتسي القهوة في الشرفة أم وأنا أصلح سيارتي المعطلة في الكراج؟ أم أن هناك طقوسًا معينة كأن أشعل الشموع وأرتبها على شكل نجمة على الأرض وأجلس في المنتصف وأبدأ في قراءة الطلاس الفلسفية؟ أم تنصحني بعدم القراءة حتى لا أنحرف أخلاقياً، ويزوغ عقلي، ويفسد وجداني، وأعبد الشيطان أو قد ينتهي بي السير في طريق الفلسفة إلى أن أبيع المخدرات على قارعة الطريق، ثم تصيبي صاعقة من السماء فتحرقني؟!

الفيلسوف هو من يكتب على

السطور...ويطلب منك قراءة ما بين

السطور؟



أسئلة تقليدية توجه إليّ بين حين وآخر، أحاول تذكر بعض العناوين، ثم أكتشف أنني عاجز عن الإجابة، ولأن السؤال مبهم فالإجابة عادة تكون غير واضحة، ولأن القراءة عن الفلسفة تختلف تمامًا عن قراءة الفلسفة، ولأن

القراءة عن فيلسوفٍ ما وآرائه يختلف عن قراءة ما كتبه هذا الفيلسوف، ولأن سؤال ماذا أقرأ في الفلسفة لا بد أن يتبعه سؤال،

ما هدفك من قراءة الفلسفة؟ فالغاية «تحدد» الوسيلة، وغايتك من قراءة الفلسفة تؤدي إلى قراءتك لكتب متباينة حسب هدفك، وتكون قراءتها أيضًا بطريقة مختلفة.

الخطوة الثالثة.. لماذا أرسم؟

أشار صاحبي -وهو يختلف عن صاحبي الأول- وهو يتابع ما أرسم، معلقًا بأن كتب الفلسفة عادة رصينة والرسومات الكارتونية قد تقلل من رصانتها، وقد تجعلها أشبه بكتب الأطفال، وقد يتجنبها البعض لوجود هذه الرسومات...

فقلت: يا صاحبي الجميل، الكارتون هو تهكم مرسوم، ولا يختلف كثيرًا عن تهكم منطوق، بل قد يكون أجهل وأوضح وأشد تأثيرًا، والهدف منه التخفيف من رصانتها، لماذا تريدها رصينة؟ الفلسفة ليست مديرة مدرسة كاثوليكية، بل راقصة غجرية تثير الأفكار وتجعلها تتراقص أمام نيران التساؤلات، أما تجنب البعض للكتاب لوجود الرسومات فهو فعل حسن..! فما حاجتي إلى قارئ يرى النقش على الأوراق منقصة.

الخطوة الرابعة.. هل أنا على خطأ؟

«لو كنت أنتظر الكمال لما فرغت من كتابي أبدًا»^(٣)، هذا الكتاب عبارة عن رأي فقط، وليس كتاب رياضيات، ولهذا فإن تحالفني فيما كتبت فهو أمر طبيعي ومحجب، ولا يعتبر انتصارًا لك إن كشفت

خطئي هنا أو هناك، ولا اعتبرها هزيمة، فقد عوّدت نفسي على أن أكون مخطئاً، فاكتشاف الخطأ يقرب الفرد إلى شاطئ الحقيقة أكثر، أما إثبات صحة ما كنت أوّمن بصحته فلن يؤدي بي إلا إلى النوم على فراش وثير متلحفاً بوهم امتلاك الحقيقة المطلقة!

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخطوة الخامسة.. إرشادات وإشارات!

الكتابة ليست عبارة عن نقل للمعلومات، فهذا أسهل ما يفعله الإنسان الحديث من خلال «الشبكة العنكبوتية»، بل هي

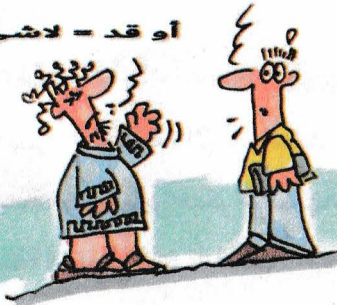
1+1 = 2

أو قد = 1

أو قد = 11

أو قد = لاشيء

2=1+1



محاولة لشرح بعض الآراء وإيصالها بطريقة أكثر سهولة ووضوح وبساطة... وهي مجرد إشارات وإرشادات أولية، يقوم بعدها المهتم أو المهتم بالمعرفة، بالسباحة أكثر، والغوص

أعمق، أو الغرق أكثر في بحر لا نهاية لأفقه ولا لعمقه.

إنها عبارة عن عناوين كبرى، الهدف منها فتح الباب أمام القارئ المهتم بالفلسفة للجلوس على مقاعد جمهور المسرح قبل الصعود إلى خشبتها.

الخطوة السادسة.. العمر المناسب لتعلم الفلسفة!



«سولون»^(٤) الفيلسوف الذي حكم أثينا ووضع قوانينها، في أواخر عمره الذي تجاوز الثمانين، وبينما كان جالسًا يسمع غناء ابن أخته الصغير، مستمتعًا بنشيدته، طلب منه أن يعلمه الغناء وكيفية الإنشاد، وبينما كان الطفل يعلمه، قال له أحد الجالسين مستنكرًا: «لماذا تضع وقتك في هذا؟» فرد عليه سولون قائلًا: «أريد أن أتعلم ما يفيدني قبل موتي».

قطار الفلسفة دائمًا في انتظارك، لا وجود لعمر متأخر لتعلم الفلسفة، ولا لعمر مبكر لتعلمها، فالوقت الذي ستبدأ فيه بقراءة الفلسفة، هو الوقت المناسب!

الخطوة السابعة.. الديك المزعج الذي لا يتوقف عن الصياح!

إن كنت تريد حفظ أسماء الفلاسفة، وماذا قالوا وفعلوا لبيان عمق وكثرة معلوماتك، فلا داعي إلى أن تتعب نفسك بالحفظ، لأن الفلسفة ليست مادة للحفظ، الفلسفة ليست أشعارًا ولا نصوصًا مقدسة لتحفظها وترددها!

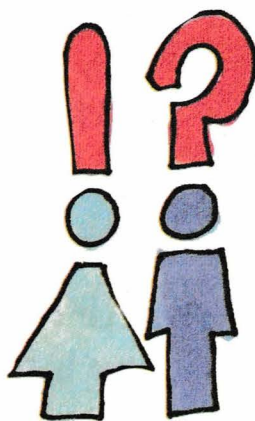
إن كنت تريد قراءة الفلسفة كقراءتك للتاريخ والجغرافيا وتكون ملماً بكل ما فيها، وتشاهد عنها في السينما ووسائل التواصل، من دون أن تسير في شوارعها وتعيش بين أسوارها فلا داعي إلى أن تتعب نفسك أيضاً، إنك أشبه بمن تزوج الفلسفة عبر الأثير!

وإن كنت تدرس وتقرأ الفلسفة لتثبت من خلالها آراءك التي آمنت بها مسبقاً، ومسلماتك التي تعتبرها مقدسات لا تمس، فلا داعي إلى أن تنهك نفسك، وتتعب جسدك وعقلك، وتضيع وقتك، فالفلسفة ليست سيفاً تحارب به الأعداء، ولا TNT تريد من خلالها نسف كل الأفكار والآراء التي لا تتناسب ومقاسك!

الفلسفة طريقة تفكير، وطريقة حياة، ومدينة تعيش فيها، تزور مقاهيها، وتلعب الكرة في براحها، وتضحك في مسارحها، وتنام على أرصفتها، تتعاش معها بكل حلوها ومرها، تقبلها بكل عيوبها كعاشق أعمى، مدينة غير موجودة في كتب الأطلس ولا في الـ«غوغل ماب»، بل في عقلك، وعليك أن تكون مهندساً ماهراً لتبنيها بطريقة صحيحة ولهذا كتب أفلاطون على باب أكاديميته: «لا يدخلها من لا يعرف الهندسة».

الفلسفة عالم مواز لهذا العالم الفوضوي القائم على القوة، متناقض مع عالمنا، لا يحكمه سوى العقل والتجربة، ومكتوب على بابها: «لا يدخلها من يمتلكون الإجابة لكل الأسئلة»، ويمنع منعاً باتاً إدخال الخرافات، والأوهام، والمعتقدات الجاهزة، والحجج المتهافتة إلى عالمها.

«الفلسفة» حالة مزعجة للجميع، إنها تصرخ في المستشفى،
تغني في ساحة الحرب، ترقص في العزاء، تبكي في السيرك.. تكره
التلاميذ الجالسين في الصف الأول من الفصل وعندهم الإجابة
لكل سؤال يسأله المعلم، وتكره أكثر بقية التلاميذ الذين يصفقون
لإجاباتهم، تؤمن بما يكفر به الناس، وتكفر بما يؤمنون، إنها مزعجة
للإنس والجن والآلهة.



مزعجة لأنها تكشف لنا جهلنا عن
قضايا وآراء كنا نظن صدقها، وتكشف
عن أوهامنا التي كنا نظن أنها حقائق،
وعن خرافتنا التي كنا نظن أنها معتقدات
راسخة، وعن ظنوننا التي كنا نخال أنها
مسلمات لا تقبل النقاش، وعن غبائنا الذي
كنا نظنه عبقرية، وعن تهافت حججنا،
ووهن بيوتنا التي كنا نظنها قصورًا للمعرفة،
مزعجة لأنها تكشف لنا كم هو بسيط ما كنا

نظنه معقدًا، وكم هي معقدة ومبهمة ما كنا نظنها فكرة بسيطة
واضحة، مزعجة لأنها تكشف لنا إن أوضح الواضحات ليس
سوى أبهم المبهمات.

إنها مزعجة لأنها تقف دائمًا حيث يسير الآخرون من دون
مبالاة، وتسير عندما يقف الجميع أمام الإشارة الحمراء، تعترض
في لحظة يصوت جميع البشر بالموافقة، وتؤيد عندما يعترضون، إنها

مزعجة لأنها تجعل أكثر الأفكار والأقوال والأفعال إزعاجًا... مقبولة.

إنه يقف أمام اشمئزازك ورفضك ولعنك لسلوكيات وآراء ومعتقدات الناس التي لا تتوافق مع أفكارك ومعتقداتك وتربيتك ليسألك وبكل هدوء: وأين الخطأ في ذلك؟ لماذا أنت مزعج؟ وفي نفس الوقت أمام هدوئك عند الظواهر الاجتماعية والتوجهات السياسية والعادات والطقوس التي تراها اعتيادية يقف صارخًا: لماذا تفعل ذلك أيها الأبله؟!

إن استعباد الإنسان، والتمييز ضد المرأة، والطبقية، والتضيعة بالبشر، والظلم الاجتماعي، والديكتاتورية، التي كانت البشرية تؤمن بها وتمارسها وكأنها فطرة إنسانية لا تقبل النقاش والجدال والاعتراض، إلى درجة أن الأديان بكل سطوتها ونفوذها كانت ترضخ للنظام الاجتماعي والسياسي، بل تهادى «الكهنة» وباتوا يشرعون ويشرعون لكل هذه السلوكيات ويزينونها بغطاء ديني... في تلك المجتمعات كانت الفلسفة تقف دائمًا معارضة ومزعجة للنظام والقيم العامة، كانت الفلسفة «خطرًا» يهدد الجميع وخاصة المتفاعين بظلمة الكهف، وظلال الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والديني!

الفلسفة مزعجة ليس لأنها تكشف لنا ما كان مجهولًا، بل لأنها تكشف لنا جهلنا بما كنا نظنها معرفة!

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخطوة الثامنة.. هل كلنا فلاسفة؟

لو صادفت صديقك يومًا وقال لك: إن فلسفتي في الحياة: «إن ملكت فلسًا فستساوي فلسًا»، فلا شيء في أهمية المادة وما تحمل من أموال في محفظتك...! صديقك هذا الذي قد يكون «حافيًا» ولا يملك ثمن حذائه، بدأ حديثه بـ«فلسفتي»، ولكن هذا لا يعني أنه فيلسوف.



إن تسخينك للماء لصنع الشاي، لا يجعل منك «مندليف»!
وغناءك تحت دُش الحمام بصوتك النشاز، لا يصنع منك «بوتشيلي»!

وركضك في الشارع، لا يحولك إلى «يوسين بولت»!
وركلك للكرة، لا يخلق منك «بيليه»!

وسقوط تفاحة على رأسك وانت نائم تحت الشجرة، لا يغيرك
إلى «نيوتن»!

وقراءة مقالة أو كتاب عن الفلسفة، لا يجعل منك «سقراط»!
وترديد كلمة فلسفتي في كل جملة، لا يعني أنك أصبحت
«أفلاطون»!

ولو جلست يوماً أمام نافذتك عند هطل المطر وتأملت لدقائق
مسيرة حياتك، ماضيك ومستقبلك، لا يجعل منك فيلسوفاً أيضاً
رغم ممارستك للتفكير والتأمل... وإلا لأصبح كل البشر فلاسفة،
وتخيل لو أن كل البشر فلاسفة؟ لا شك سيكون عالماً مجنوناً،
مضحكاً، ومرعباً!

رجل الشارع يسأل بصورة عامة ودون تنظيم ولا يوجد ترابط
بين أفكاره، يستخدم لغة عامة ومفاهيم عامة غير دقيقة، في حين
أن الفيلسوف يكون أكثر عمقاً وترابطاً وتنظيماً وتماسكاً وصراحة
ووضوحاً في أفكاره -أو هكذا يُفترض- ترى في حديثه الاتساق
بين الفكرة والأخرى، والمقدمات تتبعها نتائج منطقية، يمتلك من
المعلومة والأدوات المنطقية ما يجعله يطرح أفكاره وتساؤلاته بطريقة
دقيقة ويستخدم لغة اصطلاحية خاصة، مثله مثل علماء الكيمياء
والفيزياء والرياضيات... الذين يملكون أدواتهم ومصطلحاتهم
الخاصة.



ولهذا وأظن أن قراءتك للفلسفة
ستفتح لك أبواباً لم تكن
تتصور وجودها على الجدار
الذي بني حول عقلك عبر
السنين، وستصبح بلا شك
من عشاق ومحبي الفلسفة
والتفكير الحر!

الخطوة التاسعة

إنها ليست رواية وعليك قراءتها من البداية، بل كتاب فلسفة
في إمكانك أن تقرأ ما تريد، وما أنت مهتم به فقط، تقرأه من الآخر
أو المنتصف... وفي إمكانك أن تكتفي بمشاهدة الرسومات.

الخطوة العاشرة

عليك أن تخطوها...

philosophy

sophia

philos



الحكمة



المحبة



المعرفة بكل أنواعها



التحرك والافعال

الفلسفة «محبة الحكمة»
الفيلسوف «محب للحكمة»
أي الذي يتحرك ويسعى نحو المعرفة ذاتها
والحكيم هو الله



الباب الأول

مفهوم الفلسفة

الفصل الأول

ماذا تعني الفلسفة

بعد المقدمة السابقة، ودخولنا في عالم الأسئلة، نحاول هنا أن نجيب على سؤال: ماذا تعني الفلسفة؟
للإجابة على السؤال لا بد أن نوضح أولاً أن هناك نوعين من التعريف:

- (١) تعريف لفظي.
- (٢) تعريف اصطلاحي.

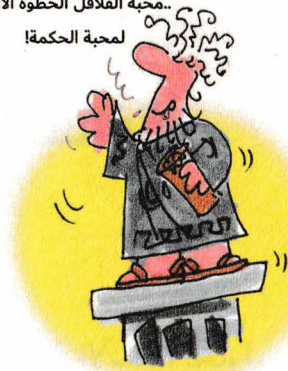
(١) التعريف اللفظي

أصل الفلسفة يقال إنها لاتينية، وادّعى أفلاطون أنها ليست ذات جذور يونانية، وكلمة «philosophy» مشتقة من لفظين: «philo» وتعني الحب، و«Sophia» وتعني حكمة.
ولنوضح أكثر معنى اللفظين..
الحب يعني: التحرك والإقبال على الشيء.

الحكمة تعني: المعرفة بكل
أنواعها.

وهذا يعني أن التعريف
اللفظي للفلسفة هو «محبة
الحكمة» ومحبة الحكمة تعني:
التحرك والإقبال على المعرفة
بكل أنواعها!

ال philosophy لا تشبع
جائعا.. ولهذا قررت أن أكون
من أنصار ال philofiafel
..محبة الفلافل الخطوة الاولى
لمحبة الحكمة!



• متى، ومن استخدم هذا اللفظ؟

كان الفيلسوف اليوناني «فيثاغورس»^(٥)، صاحب مدرسة
ومذهب ديني خاص بتعاليم سرية، وكان الكشف عن هذه
التعاليم في حد ذاته جريمة يُعاقب عليها من يفشيها من طلابه
وأتباعه، وقد استقر وأتباعه في مدينة «كروتون»^(٦) على الساحل
الإيطالي لفترة من الزمن، وقد خلق وجودهم امتعاضاً لدى
الناس، كما كثرت عليهم الأقاويل التي أدت في النهاية إلى مهاجمة
مدرستهم وإحراقها، ويقال إن فيثاغورس كان من ضمن المعتقلين
الذين اقتيدوا إلى حاكم المدينة، وهناك سأله عن عمله، فقال: «أنا
فيلسوف»، فكان هو أول من استخدم هذا اللفظ حين قال عن
نفسه إنه محب للحكمة!

أما سقراط من بعده فأطلق على نفسه كلمة فيلسوف أي

الفلسفة عبارة عن خميرة مجردة تحتاج
إلى تنور العقل لتخبز الفكرة وتخرجها
طازجة!



«محب للحكمة» تميزاً
عن «السفسطائيين»^(٧)
الذين كان يكن لهم
العداء، والتي تعني
حرفياً «الحكماء»، وعند
سقراط، الإنسان محب
للحكمة، أما الحكيم
والحكمة فهما صفتان
لله، ولهذا قال في
محاكمته: «يا رجال أثينا، الحقيقة هي أن الله وحده الحكيم».

(٢) التعريف الاصطلاحي

بعيداً عن المعنى اللفظي، لتساءل ماذا تعني الفلسفة على أرض
الواقع؟ اختلف الفلاسفة -كعاداتهم- في مفهوم الفلسفة، وطريقة
بحثه ومواضيعه، ولنأخذ هنا جولة في بعض تعريفات الفلاسفة
للفلسفة:

سقراط: الفلسفة تعني دراسة الحياة الأخلاقية.

أرسطو: الفلسفة دراسة الكون وكل ما في الحياة.

هيدغر: الفلسفة تناقش علاقتنا مع وجودنا.

أبتيكتيوس: الفلسفة أن تعيش كفيلسوف وليس أن تنتقي

الكلمات وتجمّل العبارات.

الفلسفة مهمتها اثبات ان الموز
عبارة عن فاكهة صفراء منحنية
اسمها موز ولها طعم الموز!



أبيقور: الفلسفة أن تعيش
سعيداً!

زينون الرواقي: الفلسفة
أن تموت سعيداً!

توما الأكويني: الفلسفة
طريقة عقلية للوصول إلى الله
وإثبات عظمة الخالق.



الفلسفة عبارة عن صانع
ساعات يقضي ساعات من
وقته لاصلاح آلة حساب
الزمن النسبي بدقة مطلقة!

سارتر: إنها صرخة لإنقاذ
الإنسان من طغيان الجماعة
والعادات والتقاليد وكل ما
يقمع الإنسان.

إدموند هوسلر: الفلسفة
تأمل لا نهائي.

كارل ماركس: الفلاسفة حاولوا تفسير العالم بطرق مختلفة،
ولكن النقطة الأهم - أن هدف الفلسفة - ليس تفسير العالم بل تغييره.

وليم جيمس: الفلسفة ليست إلا رجلاً هدفه منفعة العالم^(٨).

نيتشه: الفلسفة مطرقة.

جعفر رجب: الفلسفة عبارة عن إنسان مسجون في ساعة
رملية، يبحث عن معنى الزمن!

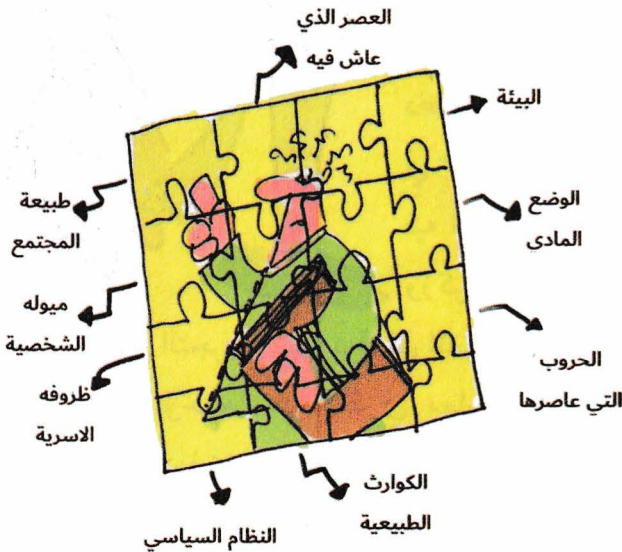
الفيلسوف عبارة عن خطاب
يؤمن بأنه لا وجود للغابات الا
في مخيلته !..



باختصار إن كان
أمامنا ألف فيلسوف فهذا
يعني أن لدينا ثلاثة آلاف
تعريف للفلسفة!

لماذا يختلفون؟

لماذا هذا الاختلاف في تعريف الفلسفة؟ ما هذا العلم الذي
لا يوجد له تعريف محدد؟ لماذا لا يجتمع الفلاسفة في مؤتمر عام،
مثل «مجمع نيقياء الأول»^(٩) ويتفقون على تعريف جامع مانع بدلاً
من هذه الفوضى؟



لماذا تريدونهم أن يتفقوا؟! «فكثرة الوفاق نفاق» ومن طبيعة الفلسفة الاختلاف لا الاتفاق، الفلسفة ليست حظيرة تعيش فيها الخراف تماماً وتتبع الراعي، وليست عناصر كيميائية في مختبر، ولا نظريات فيزيائية طبيعية، والفيلسوف لا يعيش في مركبة فضائية خارج الغلاف الجوي ومن هناك ينظر إلى الأرض ثم يكتب عن تجاربه وفلسفته، ولا هي علم تراكمي ولا معادلات رياضية.. الفلسفة نشاط بشري، والفيلسوف يعيش بين الناس، ولهذا فهو يخضع لتأثير المكان والزمان، يتأثر بالعصر والبيئة التي يعيش فيها،

ومن الواقع الاجتماعي والديني والسياسي والاقتصادي يصيغ أفكاره.

لهذا نجد أرسطو قد دعا إلى البحث والتجربة في مجتمع كانت الأساطير فيه تشكل ثقافة الناس، وذكرى الرازي^(١) دعا

إلى البحث العلمي التجريبي للوصول إلى المعرفة في مجتمع كانت النصوص الدينية وحدها متحكمة في معارف الناس، وابن رشد^(٢) دعا إلى التوفيق بين الفلسفة والشريعة في فترة كانت الطرق الصوفية منتشرة، وتنشر الخرافات وتحارب العلوم العقلية،

الفلسفة عبارة عن

شيخ شورما... كل

ما تقطع منه.. هناك

دائما المزيد الذي لم

تذوقه!



وديكارت^(١٢) دعا إلى رفع قيمة العقل في مجتمعٍ وزمنٍ كانت فيه الكنيسة ترى أن الكتاب المقدس وحده يكفي كمصدر للمعرفة، وفولتير^(١٣) دعا إلى الحريات في عصر كان الملك يحكم باسم الله، وماركس دعا إلى مواجهة الظلم في عصر كانت الثورة الصناعية تسحق الفقراء وتستغل العمال، وجون ستويرات مل^(١٤) دعا إلى إعطاء المرأة حقوقها السياسية عندما كانت مهمشة في بريطانيا، وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية ظهرت الفلسفات الوجودية ودعوتها إلى الحرية في مواجهة البيئة الاجتماعية المتخلفة والأنظمة القمعية.. فالفيلسوف لا يكتب للماضي ولا للمستقبل ولا يريد أن يسبق عصره، هو ابن عصره يسأل أسئلة عصره ليحل مشاكل عصره!

الفصل الثاني

متى بدأت الفلسفة؟

لبحث بداية الفلسفة، لنبدأ بالحوار المليء بعلامات الاستفهام:

- متى بدأت الفلسفة؟

• مع التساؤلات!

- ومتى بدأت التساؤلات؟

• مع أول حالة استغراب ودهشة!

- ومتى بدأت أول حالة دهشة واستغراب، وفقاً للسجلات

التاريخية؟

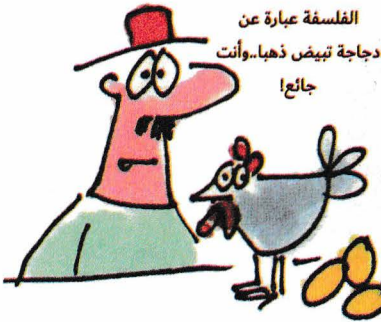
• منذ وُجد الإنسان المفكر!

- ومتى وجد الإنسان المفكر؟

• وجد مع أول من فكر في الموت!

- ومن كان أول من فكر في الموت؟

• هو أول من أتى إلى هذه الحياة!



- ألا تستطيع أن تجيب جوابًا قاطعًا عن متى بدأت الفلسفة؟

• لا أعلم، ولكنني أعلم أن الدهشة أول طريق الفلسفة!

- وأين آخر طريق الفلسفة؟

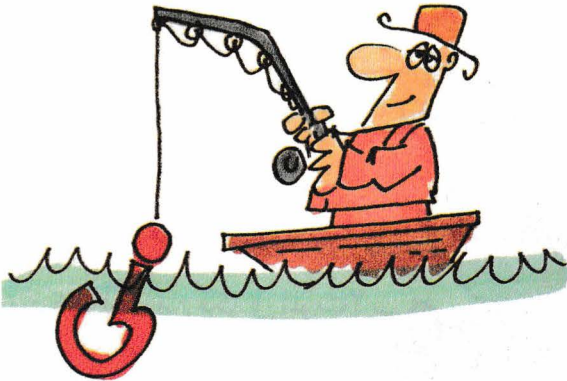
• لا وجود لها، لأن دهشة الإنسان لا نهائية؟

- ولكن الإنسان محكوم ومحدود بحواسه!

• نعم، ولكن تساؤلاته لا نهائية، تخلق متماهية مع هذا الكون اللانهائي!

- ها أنت مثل الفلاسفة لم تجبني على سؤالي، متى بدأت الفلسفة ومن هو أول من تفلسف؟

• لأن سؤالك لا إجابة له، عندما أجيب على سؤال: من أول من حلب البقرة؟ من أول من أشعل النار؟ من أول من اخترع العجلة؟ ومن أول من زرع الموز، وأول من قال: تبًا لك وثكلتك أمك... عندها قد أجد الإجابة على سؤال: «من أول من تفلسف»!



لا وجود لذلك المعلم الأول الذي يعرف كل شيء، ويعلم الناس كل شيء، إنها تجربة بشرية عامة، وسؤال مثل: من أنا؟ ومن أين أتيت؟ وإلى أين سأذهب؟ يسأله طفل يلعب الكرة في البرازيل، هو نفسه يسأله طفل يلعب الكركيت في الهند، هو نفسه الذي يسأله طفل يشجع النادي العربي في الكويت... لا أحد لديه كأس السبق في هذا المجال!

في بداية حياتك تسأل، أين كنت؟ من أين أتيت؟
إلى أين سأذهب؟ ما هي السعادة؟ بعد الزواج
زوجتك ستسألك: أين كنت؟ ومن أين أتيت؟
وإلى أين ستذهب؟ وهل أنت سعيد معي؟



هل الأبقار تسأل؟

النباتات التي تسقيها في شرفة البيت لا تسأل عن الموت والخلود، والصخرة التي تقذفها لا تسأل: هل أنا تحركت بإرادتي الحرة أم بإرادة غيري؟! ولا الأبقار في الحقول تسأل: هل نحن بالفعل أبقار أم صورة للبقرة في عالم المثل؟! ولا البرتقالة التي

تسقط من الشجرة تسأل مستنكرة: لماذا فقط التفاحة إذا سقطت من الشجرة يعتبرونها إنجازًا تاريخيًا!

لسبب بسيط، هو أن الإنسان وحده يتحمل مسؤولية هذه الأسئلة التي تحرك العقل، وتجعله مستقيظًا يراقب النجوم ويحسب المسافات، الأسئلة هي الطاقة التي تشغل العقل وتجعل الإنسان كائنًا مفكرًا، وهو الكائن الذي يدرك أنه يدرك ما يفعل، أما إذا وصلت إلى مرحلة لا تسأل فيها أبدًا فاعلم أنك ميت عقلاً وفعلاً، وكما قال جون ستيوارت مل: «من الأفضل أن تكون إنسانًا غير راضٍ - قلق وباحث ومتسائل - على أن تكون خنزيّرًا راضيًا، والأفضل أن تكون سقراطًا غير راضٍ على أن تكون راضيًا بكل شيء كأحمق».

ما هي حدود الأسئلة؟

كما أن هناك دائمًا متسعًا للقلب كي يعشق الإنسان الكون والكائنات، ومتسعًا للفراشة أن تنتقل بين أزهار الفردوس، ومتسعًا لأمواج البحر كي تضع رأسها على أكتاف الشواطئ، ومتسعًا للعين كي تستقبل مليارات النجوم والكواكب والمجرات في السماء، ومتسعًا في الرف لتدس كتابًا بين كتابين.. هناك دائمًا متسع للعقل ولا حدود لتساؤلاته، قد لا نجد إجابة لكل سؤال، ولكن من المؤكد أن نهاية كل جواب، سنجد سؤالًا آخر!



لماذا أنا أنا، وليس أنا أنت!

إذا كانت الأسئلة هي الوقود
الذي يحرك قطار الفلسفة، فما هي
شروطها؟ هل لهذه الأسئلة قواعد
محددة؟

إن شرطها الوحيد أنه لا
شروط، ولا حدود، ولا
قوانين، ولا إشارات
حمراء توقف السؤال في عالم الفلسفة..

من أنا؟

ماذا يعني أنا؟

من أين أتينا؟

إلى أين سنذهب بعد الموت؟

ماذا تعني الحياة؟

لماذا أنا هنا ولست هناك؟

لماذا أنا ولدت في هذا الزمان والمكان ومن هذين الأبوين؟

لماذا أستطيع اختيار أصدقائي، ولا أستطيع اختيار نفسي؟

لماذا رأسي يشبه الكمثرى؟

لماذا أذناي

كبيرتان كفيل
إفريقي؟

لماذا الحمار

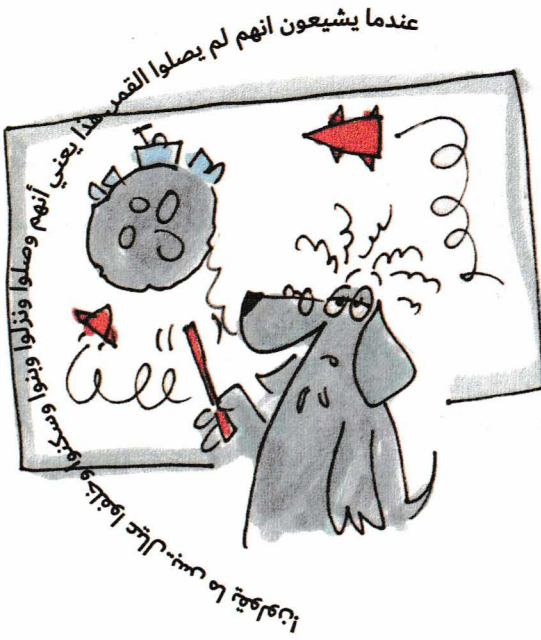
الوحشي مخطط
بالأبيض

والأسود والنمر
مخطط بالألوان؟

لماذا نعتبر

الغراب نحسًا

والحمامة بركة؟



أين يذهب الزمن عندما ننام؟

هل النجوم تعمل في الصباح ولهذا لا نراها إلا في الليل؟

لماذا سموا البرتقال برتقالاً، ولم يسموا الأفندي برتقالاً؟

لماذا لا أكذب رغم أنه سيفيدني؟

لماذا لا أسرق رغم أن الجميع يسرقون؟

لماذا يحاول البشر التسلط على بعض؟

لماذا يتقاتلون؟

لماذا يستغلون بعضهم بعضاً؟

لماذا تنتشر المجاعات والفقر والأمراض؟

لماذا لا يصبح جميع الناس أغنياء؟

أين كنتُ قبل وصولي إلى الأرض؟

ماذا يوجد خارج الكون؟

ماذا كان يوجد قبل وجود الكون؟!

لماذا عليّ أن أتبع القانون، والقانون لا يتبعني؟

لماذا يحق لنا أكل الحيوانات، ولا يحق للحيوانات أكلنا؟

لماذا $1+1=2$ لماذا لا تكون 4؟

هل بالفعل الكلب يعلم ويدرك أنه وفي، والشعب يدرك أنه

مكار، والخرتيت يدرك أنه قوي، والزرافة تدرك أنها طويلة!

هل ضحك الناس يعني أنهم سعداء؟

ماذا نفعل لو قررت الشمس ألا تشرق غدًا؟

الكلب يستطيع التمييز

بين الصديق والعدو من

خلال معيار المعرفة

وعدم المعرفة...سقراط



مجرد أسئلة عشوائية خطرت على بالي فكتبتها دون رابط بينها، وأغلبها تشغل بالنا، من أسئلة الوجود الكبرى إلى الأسئلة التي تبدو سخيفة وتافهة... نبحث عن إجابات لها، وإذا طرقتنا باب الفلسفة للبحث عن إجابة، ستفتح الباب «السيدة فلسفة» قائلة:

الفلسفة ليست موقع «غوغل»، ولا برنامجاً للذكاء الاصطناعي، ولا موسوعة شاملة بها كل الإجابات، ولا تعمل بطريقة «سيري» تسأله فيجيبك، ولا ساحراً يخرج من قبعته ما ترغب، الفلسفة ليست بقالة تدخلها لتشتري ما ينقصك من إجابات، ولا ثلاجة مليئة بالإجابات المعلّبة الجاهزة لتساؤلاتك، ولا محلاً للملابس لتشتري إجابة على مقاسك الخاص.. الفلسفة حقول سافانا شاسعة، والفيلسوف صياد ماهر، يركض خلف فريسته بكل هدوء، يحمل رمحاً بحثاً عن الإجابات التي قد يصل إليها وقد لا يصل، وفي رحلته يصادف آلاف المفاجآت الصادمة، فإذا أردت أيضاً البحث عن إجابة فلا تنتظر ما يصطاده لك الصياد، بل يجب أن تحمل رمحك وتصاحبه، وتمارس عملك في البحث عن الاجابات وصيد الأفكار!

الفصل الثالث

أين بدأت الفلسفة كعلم؟



متى، لا نعرف، ولكن أين، قد نجد لها إجابة، قال أفلاطون: مع بداية الدهشة، أي مع الإنسان الذي بدأ في نقش رسوماته على الجدران ليعبر عن ذاته، وكما قال أفلاطون: «الدهشة هي شعور الفيلسوف، والفلسفة تبدأ بالدهشة».. ولكن كعلم ذي منهجية خاصة، وكمواضيع، وكبناء عام.. هنا اختلف الباحثون والفلاسفة أيضًا كعادتهم.

مركزية أوروبا

الفكرة المركزية التي تحيط بالإنسان الغربي كانت وما زالت مترسخة في ذهنه، بأنه أصل العالم المتحضر وأنه صاحب الفضل على كل البشرية، وأنه المنقذ الوحيد لمستقبل الإنس و«الجان»، وأن «نهاية التاريخ في الغرب» كما قال هيغل، فصورة الرجل الأبيض البطل الأسطوري في السينما الأمريكية الذي ينقذ الكرة الأرضية من الأشرار راسخة بصور مختلفة في ذهن بعض «مفكري الغرب»!



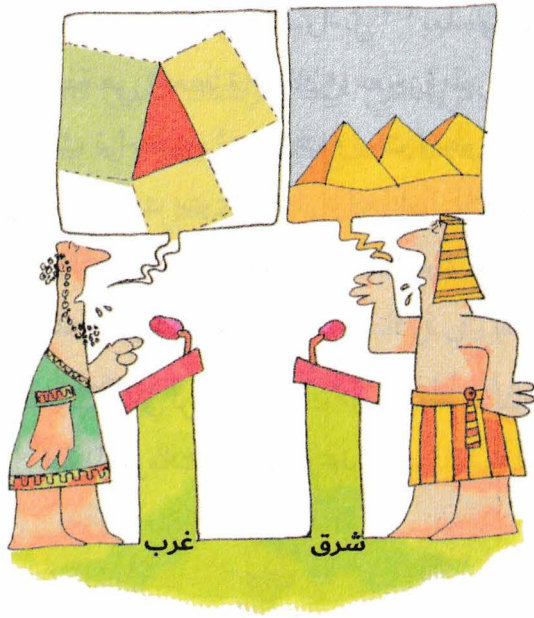
وعندما نتحدث عن الفلسفة فلا بد أن تبرز هذه المركزية، فمن قبل زعم أرسطو أن الفلسفة علم يوناني خالص، واختراع يوناني

لا يشاركه فيه أحد، ثم قال برتراند راسل^(١٥) بعده بأكثر من ألفي سنة، بأن الفلسفة هي «معجزة اليونان»، معجزة ظهرت في أوروبا، واكتملت هناك، تراجعت، ثم عادت ونمت وتطورت هناك، أما بقية الفلسفات فليست سوى تكرار وانعكاس للأصل اليوناني، وأن الأفكار والتصورات في الشرق ليست سوى تفسيرات دينية وأخلاقية تفتقد التجريد الفلسفي.

ولعل السبب الثاني لرواج رأي أن «أوروبا أم الدينا» راجع من الأساس إلى قلة المعلومات، وجهل وعدم فهم للفلسفات الشرقية عموماً!

أنهار الشرق

بوذا تحت شجرة التين كان ينظر إلى العالم والإنسان ويحاول أن يحل المشكلة بطريقة عقلانية روحانية، وكونفوشيوس مارس نفس الدور بطريقة مختلفة، لاوتسي، الفيدات في الهند، زرادشت ومزدك وماني في إيران.. كلها كانت فلسفات ذات رؤية أخلاقية من جانب، ورؤية فلسفية لتفسير العالم من جانب آخر، ومحاولة لتحديد العلاقة بين الإنسان المدرك، والعالم المدرك من حوله - وإن كان الشرقي لم يجعل فاصلاً بينه وبين الكائنات، متماهياً مع الطبيعة وقوانينها - ولم تكن هذه الفلسفات مجرد آراء يتداولها الخاصة والفلاسفة والحكماء بل صارت ضمن الموروثات الاجتماعية الراسخة لهذه الشعوب.



لم يكن في الإمكان فصل الدين والرؤية الإلهية، عن الفلسفة والرؤية الإنسانية للكون والحياة في تلك الأزمنة، وفي تلك البيئات التي تعيش على ضفاف أنهار وبحيرات من الأديان والروحانيات، لهذا اختلطت الرؤيتان، كما اختلطت الفلسفة بالأخلاق بالدين عند بعض الفلاسفة اليونان، والكلام عن فلسفة مجردة عند الفلاسفة اليونان مجرد مزاعم!

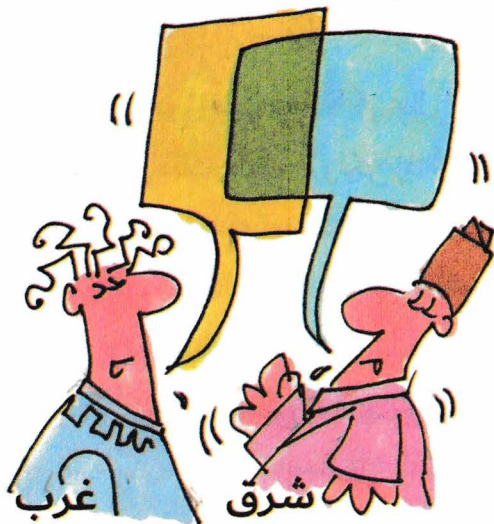
مكتبة

t.me/soramnqraa

الحضارة لا جنسية لها

أظن أن الفكرة - أي فكرة - ليست نتاج شعب، ولا ميزة معينة لشعوب مقابل شعوب أخرى، بل التراث الإنساني والحضاري

هو ملك للإنسان، والإنسان بأصوله كافة هو الذي حرك مسار التاريخ ليصل إلى ما وصلنا إليه، الفرق أن هناك شعوبًا تتقدم وشعوبًا وأممًا تتراجع لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية، ولا علاقة لها بتفوق عقلي وعرقي لشعب على آخر.



لا يمكن أن نسلّم علم الهندسة لإقليدس من دون أن ننظر إلى الأهرامات، فلا يمكن أن تبني الأهرامات وكل هذه المعابد العملاقة من دون وجود علم تجريبي وهندسة دقيقة ومن دون معرفة بعلم الفلك، نعم نظريًا نستطيع الزعم بأن الفلسفة بدأت عند اليونان، ولكن الواقع مغاير.

ولعل توسع الدولة الأخمينية^(١٦) ووصولها إلى ساحل أيونيا^(١٧) وأثينا ساهم في انفتاح اليونان، فقد بدأت الفلسفة مع طاليس^(١٨) مع احتلال الفرس لأيونيا، وقد سافر الفلاسفة إلى الشرق وعادوا

بأفكار وتراث مختلف أثروا به في أثينا الغارقة في الأساطير، بل وقد كان علماء بابل والكلدان والمجوس جزءاً من رجال الحملة الأخمينية، واستقروا في بلاد اليونان، وبالطبع هذا لا يعني إنكار أن فلاسفة اليونان وضعوا أسس مناهج وموضوعات الفلسفة التي ما زالت تؤثر في تصورنا للعالم والإنسان!

لا شك أن للشرق دوراً مهماً وفعالاً في مجال الفلسفة والفكر الإنساني - والحديث عن ذلك يطول -، ولكن إذا أردنا الحديث عن الفلسفة ككيان وعلم مستقل مجرد، بعيداً عن التأثيرات الدينية، فإننا سنبدأ مع اليونان، ومع طاليس أول الفلاسفة الطبيعيين، الذي عاش في «ميلتوس» على الساحل التركي وبدأ البحث عن أصل الكون بعيداً عن التفسيرات الأسطورية لكهنة وشعراء اليونان!

فلاسفة أم أنبياء

في الشرق اختلطت الأمور بين الفلاسفة والأنبياء والقديسين، فكونفوشيوس وبوذا ولاوتسي وزرادشت ومزدك وماني كانت لهم فلسفتهم الخاصة ورؤيتهم العامة للكون والحياة والإنسان، ونظرتهم إلى ما بعد الحياة، وهم تحولوا إلى قديسين وأنبياء وإن لم يدعوا إلى ذلك، وحتى الفلاسفة المسلمين بعد ذلك كان ينظر إليهم على أنهم أصحاب قدرات خاصة، مثلما كانوا ينظرون إلى الكندي والفارابي.. ويروون عنهم القصص الخرافية الدالة على عمق معرفتهم!



وفي بلاد اليونان أنشأ بعضهم مدارس دينية خاصة مثل فيثاغورس، بتعاليم سرية، مع معجزات وكرامات مرتبطة به، وكان له من الأتباع كثيرون، مثلما كان لأبيقور أتباع، وبعضهم أيضًا قام بمعجزات إحياء الموتى مثل إمبيدوكليس^(١٩)، وبعضهم نام في الكهف سبعين عامًا كالفيلسوف إبيماندس^(٢٠)، ثم عاد إلى قريته.. فالفيلسوف هو المتنبي في نظر اليونان، ويعني هذا أنه يستطيع أن ينبئ عن المستقبل وما سيحدث، مثلما فعل طاليس وتنبأ بسقوط مدينته، أو أنه يتنبأ بالماضي ويمتلك كثيرًا من المعلومات عما حصل للأولين، ولهذا كانت نظرهم أيضًا مبهمة إلى الفلاسفة بين التقديس والخوف والارتباب.

ولم يكن الفلاسفة في اليونان يسرون في الشوارع مكرّمين من قبل الناس، فكثيرًا ما كان سقراط يُضرب ويشتم، وكثيرًا ما لوحقوا بتهم الإلحاد والخيانة وإفساد الشباب، كما تم ذلك مع الفلاسفة المسلمين، وكما تم ذلك بعدها في أوروبا، فلم تكن حياتهم وردية،

ولم يفرش لهم البساط الأحمر، بل كانت دماؤهم تسيل من أجل رأي مخالف للسلطات الدينية والسياسية.

الحكماء السبعة

بدأت الفلسفة اليونانية مع الحكماء السبعة - يعرفون أيضًا بفلاسفة ما قبل سقراط - وهم أكثر من سبعة حكماء، ولكن يبدو أن العدد سبعة المقدس له تأثيره في هذا المسمى! وبعد طاليس كان هناك ديموقريطس^(٢١) وسولون، وهيرقليطس^(٢٢) وفيثاغورس وبياس^(٢٣) وغيرهم من الفلاسفة الذين بدؤوا في طرح فلسفتهم الطبيعية من خلال البحث عن أصل الكون وتفسيره، بعيدًا عن التفسيرات الأسطورية لـ «الشعراء».

أفضل الكشف عن

حقيقة واحدة.. على أن

أتوج ملكا على بلاد

فارس!!!



هيزيود الراعي

لماذا الشعراء؟ وما هي علاقتهم بالفلسفة والعلم؟ تروي الأسطورة عن راعي أغنام اسمه «هيزيود»^(٢٤) كان يرعى أغنامه في الشمال من بلاد اليونان فظهرت له آلهة الشعر والإبداع أو «الميزوات»^(٢٥) كما يسمون، وهن بنات الإله زيوس^(٢٦) وبدأن بإلهامه الشعر وتاريخ الآلهة وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وقصصهم ومؤامراتهم، وبالطبع هذه القصص التي نقرأها الآن كأساطير مسلية، كانت عبارة عن نصوص مقدسة لها كهنة يدافعون عنها، ومفسرون لها، ومتعصبون أيضًا لهذه الآلهة، إنهم الأساس وأصل كل شيء في الكون!

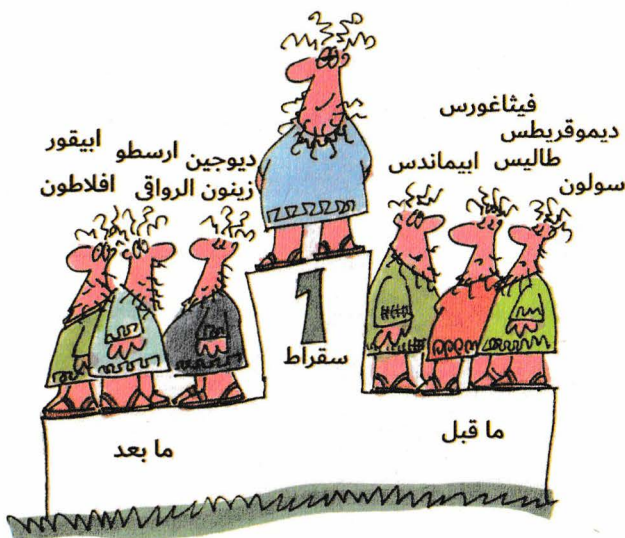
ولهذا عندما نتحدث عن أصل الكون عن طريق البحث والملاحظة كما فعل طاليس، فإنه في الواقع -برغم بعض تفسيراته الساذجة- له الفضل في كسر احتكار التفسيرات الدينية للكون، والعلاقات بين الظواهر الطبيعية!

سقراط المتهم

سقراط هو الحد الفاصل بين عصرين، وهو أشهر الفلاسفة، رغم أنه لم يكتب حرفًا واحدًا، الذي لا ندري هل نعرف عنه كثيرًا أم قليلًا -كما قال برتراند راسل- بسبب كتابات ومحاورات أفلاطون عنه، إلا أن ما نعرفه أن جميع المدارس الفلسفية التي أتت بعد سقراط كانت تنسب نفسها إلى هذا الرجل الذي كان يمارس

فلسفته من خلال البحث والجدال في أسواق أثينا، مع ما يناله من شتم وتقريع وضرب من الناس بسبب تجربته واستفزازه وتهكمه على معتقداتهم.

كان أفلاطون تلميذًا لسقراط، ثم صار أرسطو تلميذًا لأفلاطون، وأصبح هذا الثلاثي أشهر الفلاسفة على الإطلاق، بسبب آرائهم ورؤيتهم للحياة والكون!



بعد سقراط ظهرت فلسفات متعددة من الأبيقورية التي تمت مهاجمتها سواء في الزمن اليوناني وحتى المسيحي باعتبارها فلسفة فاسدة ومنحرفة، والرواقيون، والكلبيون وغيرها من الفلسفات اليونانية التي حاولت البحث عن السعادة والطمأنينة من خلال رؤيتها للحياة والموت.

لم تتوقف الفلسفة عند اليونان بل انتقلت إلى روما وظهرت الرواقية في أبهى أشكالها، ثم في العصور الوسطى ومع الكنيسة الغربية أصبحت الفلسفة خادمة للدين، والعقل خادماً للوحي، وتألقت في العالم الإسلامي بفلاسفة مثل: الكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد وابن مسكويه وغيرهم^(٢٧)، والذين ساهموا في الحفاظ على إرث الفلسفة اليونانية، ثم ظهرت وتألقت الفلسفة مع عصور النهضة والعقلانيين والتنوير المعاصر.. وستستمر!

الباب الثاني

معركة الفلسفة

الفصل الأول

لماذا لا يحبون الفلسفة؟



في إحدى الليالي القمرية، قرر «طاليس الملطي»
-الملطي- الخروج من منزله ليتابع حركة النجوم
والكواكب، يراقب ويسجل ويدون، فهو العاشق
لرقص نجوم السماء والمتميم بحركة الكواكب
والأقمار، في تلك الليلة كانت إحدى العجائز
تساعده وتمسك يده في الظلام، كان يسير
وهو ينظر إلى السماء، ثم وجد نفسه فجأة
وقد سقط في بركة ماء..

ولم تتمالك العجوز نفسها من الضحك على هذا الموقف، حتى
قالت: «إيه طاليس، ها أنت تنظر وتتابع السماء وأنت عاجز عن
النظر تحت قدميك» وكأنها في هذه العبارة اختصرت تصور نظرة
عامة الناس إلى الفيلسوف الذي يبحث ويغرق نفسه في القضايا
المعقدة، ويجهل الأشياء البسيطة!

الفيلسوف اليوناني ديموقريطس، وبسبب روحه الساخرة من الواقع ومن السلوكيات والأخلاقيات الاجتماعية، وبسبب سخريته تجاه تصرفات وعادات وأفكار الناس في مجتمعه، حمل لقب «الفيلسوف الضاحك»، وتروى عنه تلك القصة التي اشتكى الناس منه، بسبب ضحكته في مراسيم الجنائز، واحتفال الناس في الانتصارات السياسية، ساخرًا من طقوس حزنهم تارة، وفرحهم تارة أخرى، ولهذا طالبوا من أبقراط -الطبيب المشهور- علاجه، لأنه مصاب في عقله، حضر الطبيب وكشف عليه، ثم قال: «إنه أكثر عقلانية من كل المواطنين، وله ما يبرر ضحكته!»

كثيرون يرون المهتم بالفلسفة رجلًا غريب الأطوار يربي «تينا» ينفث النار فوق سطح منزله، وعليهم تجنبه، وتحذير الناس منه، فبسبب قراءته للكتب الفلسفية انحرف عقله، وساءت أخلاقه، وتوحشت تصرفاته.

فإن تدرس وتقرأ الفلسفة فهذا يعني أمام الناس أنك إنسان معقد تعيش في عالم آخر، وتعاني مشكلات يجب أن تحل، وعليك أن تراجع الطبيب فورًا، وعندها سيكتب الطبيب لك بعض الأدوية التي تجعلك إنسانًا طبيعيًا تشبه كل البشر، تهتم وتساءل عن:

سعر الخيار في السوق بدلًا من هل الإنسان مخير أم مسير!

كيلو البرتقال بدلًا من أن تسأل هل البرتقال سمي بـ«رتقال» نسبة إلى اللون البرتقالي، أم اللون البرتقالي سمي بـ«رتقال» نسبة إلى البرتقال!

هل هذا هلال؟ أم ابتسامة في
 السماء؟ أم سفينة فضاء؟ أو تفاحة
 تنكرت بقناع موزة؟ وهل كل ثمر اصفر
 مقوس تعتبر موزة؟! لا أعلم.. لابد من
 تذوقها أولاً.. ولكني لا أعرف مذاق
 الموز.. ولو عرفت مذاقه.. هل بإمكانني
 شرح مذاقي للآخرين؟! من هم
 الآخرون؟ ومن أنا؟ لعلني أنا موزة أنظر
 إلى إنسان!!



الفرق بين البقدونس والكزبرة بدلاً من الفرق بين «ديالكتيك»
 هيغل و«ديالكتيك» كارل ماركس!
 أنواع التفاح وأسعارها بدلاً من تحليل أسطورة التفاحة وربطها
 بالمعرفة!

وتعيش مثل البشر الطبيعيين الذين يهتمون بالأمر المادية
 حولهم، ويستمتعون بها وتترك مصاحبة الرجل الأعمى الذي
 يبحث في غرفة مظلمة عن قط أسود فيمسك بفأر رمادي، ويظنه
 كلباً أبيض..!

العدو رقم واحد.. الفلاسفة!

لعل الفلاسفة وصراعاتهم، ثم أسلوب كتابتهم، من الأسباب
 المهمة في النظرة السلبية إليهم، وهو سبب قد لا نجد له حلاً، وقد
 تكون ميزة لهذا العلم، وسر جماله الذي لو تم تعديله لفقدت

روحها، فنحن لا نستطيع فرض كيف يكتب الفيلسوف وما يكتبه.



قال الفيلسوف الألماني فيتشه^(٢٨)
عن إيمانويل كانت^(٢٩): «إن كانت
نفسه لم يفهم نفسه»، ويقال إن
هيغل وهو على فراش الموت قال:
«واحد فقط هو الذي فهمني» ثم
أردف قائلاً: «حتى هذا الواحد لم
يفهمني»، إنهم لم يفهموا أنفسهم
فماذا عن الناس؟!

ونتجه شرقاً، فهناك طرفة متداولة عن الفيلسوف «الميرداماد»^(٣٠)
وهو من فلاسفة الشرق في القرن السادس عشر في العصر الصفوي،
وقد اشتهر باستخدامه مصطلحات معقدة في آرائه، ويقال إنه في
يوم موته أتاه الملكان وسألاه عن ربه؟ فأجاب بأنه «إسطقسي نتج
منه كل الإستقصيات»، فتورط الملكان حول قصده، فذهبوا
عائدين يتباحثون مع بقية الملائكة عن قصده، وبعد نقاش وجدل
قال أكبرهم: «اتركوه، هذا الرجل لم نفهم ما كان يكتبه وهو حي،
هل تعتقدون أننا سنفهمه وهو ميت!»

وعلى هذا أيضاً تذكر قصة الميرداماد مع تلميذه الملا صدرا^(٣١)
الذي تم تكفيره، عندما قال له: أنا وصلت إلى نفس النتائج والآراء
التي توصلت إليها، ولكن لأنني أكتب بلغة فنية خاصة فلم يكفروني

الكتابة بطريقة رصينة دقيقة لشرح أفكارهم، نعم قد نجد فلاسفة يكتبون شعرًا رمزيًا، وروايات، وشذرات أدبية، ولكنهم الأقلية في بحر الفلاسفة الذين يبدو أنهم يعانون صعوبة في التعامل مع اللغة.

وإن كنا لا نستبعد أيضًا تعمد بعضهم استخدام هذه اللغة المبهمة لإخفاء عجزهم كما اتهمهم البعض، وبعضهم استخدمها استعلاء على الناس، فقد قال هيرقليطس عن كتاباته المبهمة: «إن الإله صاحب المعجزات في دلفي لا يفصح ولا يخفي، ولكنه يرمز» ولهذا كان يكتب بالرمز دون أن يفصح، لأنه كان يحتقر شرور الناس وحماقاتهم، ولأنهم مثل الحمير يفضلون الشعير على الذهب.

والسبب الآخر يكمن في أن المصطلحات الفلسفية - مثل أي علم آخر - لها خصوصيتها، ومصطلحات مثل: «الشك، الفساد، القوة»، لها معانٍ مختلفة بعيدة عما هو مفهوم بين الناس، ويضطر الفلاسفة في كثير من الأحيان إلى استخدام المصطلحات الخاصة للتعبير عن آرائهم لعدم وجود لغة معبرة عن أفكارهم كما يدعون، وكما أن للرياضيات والفيزياء والكيمياء خصوصيتها اللغوية فكذلك الفلسفة، فالصعوبة واحدة ولكن السهام دائمًا تتجه إلى الفلاسفة!

ومن أسباب النظرة السلبية من داخل الفلسفة، لعلها يعود إلى أن أغلب الفلاسفة ليسوا إعلاميين، ولا يعملون في مجال السيرك، ولا يهتمهم كثيرًا تصفيق الجماهير، بقدر أن يصفق لنفسه في نهاية كلمته أو كتابه، فهو يكتب للخاصة والدوائر المغلقة، ولذا لا يهتم

لماذا سألني كيف حالك؟ كيف حالي؟ لا أدري..أعتقد أنني
بخير..ولكن ماهو الخير؟ حتى أعرف الخير علي أن أعرف معنى
الشر؟ أو عليه هو أن يجيب عن مفهوم الخير بالنسبة له..أساساً
لماذا سألني عن حالي؟ ولماذا علي إجابته؟ ومن هو؟ أنا لا
أعرفه..أنا لا أعرف نفسي حتى أعرفه!!



كثيراً بالفلاشات والكاميرات، نعم هناك من اشتهر جماهيرياً كونه
شارك بصورة مباشرة في قضايا الناس السياسية والاجتماعية،
كـ«راسل، وسارتر، وفوكو، وجيجيك، وسيمون دي بفوار،
وحنا أرنت..»^(٣٤) ولكن الأغلب كانوا مرتبطين بالدائرة الثقافية
النخبوية، ولهذا كانت كتاباتهم للنخبة، حيث يرى البعض أن هذه
الشعبوية والجماهيرية دليل سطحية المفكر، فهو يخفي سطحية
أفكاره بإضاعة الفلاشات!

أما «إميل سيوران»^(٣٥) فيكتب: «وداعاً للفلسفة.. إنها مهنة
بلا مصير، تملأ بالأفكار الضخمة الساعات المحايدة والفارغة...
وهذه الأنساق الفلسفية ليست في نهاية المطاف سوى لغو فارغ
لامع.. وتقتصر أصالة الفلاسفة على ابتكار المصطلحات...».

كان «غورغياس»^(٣٦) من أهم الخطباء السفسطائيين في عصره،
يملك خيالاً كبيراً وكلمات براقية وجمالاً مبهرة، ولهذا كان يتبعه

الشباب المقبلون على التعلم، إلا أن أرسطو هاجمهم قائلاً عن خطبه: «تأثيرها كبير في المستمعين، ونحن قوم نميل إلى الاستماع لا القراءة، ولكن اسمع خطبه مرة أخرى، ودقق فيما يقول، وانظر إليها بعقل ناقد، ستكتشف أنها فارغة لا تحمل أي معنى، ولا ترشد إلى طريق، ولا تزرع فضيلة، إنها مجرد كلمات فخمة، وعبارات جميلة، ولكنها لا تعني شيئاً لأصحاب الحكمة والمعرفة والثقافة.. إن خطبه لا تليق إلا بالعامّة غير المتعلمين».

وعن هروب الطلبة من دراسة الفلسفة يذكر برتراند راسل -في كتابه صور من الذاكرة- بسخرية بعض الأمثلة حول حجم مشكلة بعض المهتمين بالفلسفة وبحثهم حول هل يبدو القمر عندما يكون مكتملاً في حجم عملة نصف جنيه، أم في حجم طبق حساء؟ ويتساءل هل يبدو هذا السؤال مهماً أم مجرد سخافة مسلية لا تعني شيئاً؟!

قبل الفلسفة.. كان مواطننا صالحاً.. يذهب إلى عمله ويحب أسرته ويتابع مسلسلات رمضان ويؤمن بأن الأرض مسطحة!

بعد قراءته لكتب الفلسفة صار فينومينولوجي إكزستانسياليزمي!



ثم ذكر قصته عندما أضع الطريق وتوقف في منتصف الدرب،
وسأل صاحب الحانوت عن أقرب الطرق إلى «ونشستر».

فنادى صاحب الحانوت رجلاً آخر في داخل المحل قائلاً:

• السيد يريد أن يعرف أقرب الطرق إلى ونشستر؟

رد عليه الصوت من الداخل:

• ونشستر؟

- نعم..

• الطريق إلى ونشستر؟

- نعم..

• أقصر طريق؟

- نعم..

• لا أعرف!

يقول راسل: أراد أن يستوضح طبيعة السؤال، ولكنه لم
يهتم بالجواب، وهذا ما تفعله الفلسفة الحديثة للباحث الجاد عن
الحقيقة، فهل من المدهش أن ينحاز الشباب إلى دراسة أخرى غير
الفلسفة؟

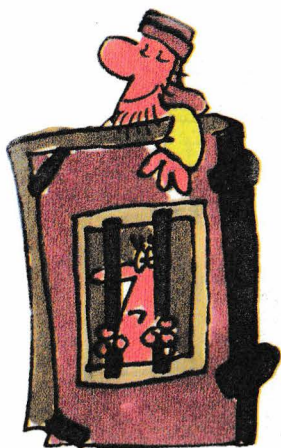
ولأن للفلسفة ألف وجه، في غرفة بألف مرآة، وبألف مفهوم
ومعنى، وبألف منهج وموضوع، فإن من الطبيعي أن يتخذ بعض
الفلاسفة، الفلاسفة الآخرين وفلسفتهم هدفاً لرصاصاتهم!

شوبنهاور^(٣٧) شبه مبادئ إيمانويل كانت الأخلاقية بأنها «وسيلة مريحة للحمير»، وقال عن هيغل: «كلما فتحت صفحات كتابه فينومينولوجيا الروح، بدا الأمر لي وكأنني أفتح نافذة على بيت المجانين»، أما كزينوفانس^(٣٨) فقد سخر من فيثاغورس وصرح بأنه رجل دجال، ينشر الخرافات مدعيًا أنه شاهد صديقه الذي مات في عيون كلب رآه في الطريق ليثبت عقيدته في تناسخ الأرواح، أما أرسطو فقد عارض أفكار معلمه أفلاطون مدعيًا أنه يحب أفلاطون ولكن يجب الحقيقة أكثر، أما ديوجين الكلبي^(٣٩) فقد كان يدخل أكاديمية أفلاطون ويسخر من تلاميذه ومن مجادلاته الفلسفية، وبارمنيدس كان يسخر من هيرقليطس، وفولتير هاجم ليبنتز^(٤٠) ونظرته الوردية للعالم المنظم الجميل.. والقائمة تطول، من هجوم على الأفكار تارة وعلى الفيلسوف نفسه تارة أخرى.. في النهاية إنهم بشر وليسوا ملائكة!

العدو رقم اثنين.. الكهنة

الأوزاعي وغيلان.

بينما كان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جالسًا في مجلسه وبالقرب منه الإمام الأوزاعي^(٤١) - كان مفتيًا وقاضيًا - انفتح الحديث عن غيلان الدمشقي^(٤٢) المعتزلي - الذي يؤمن بالحرية وأن الإنسان حر في اختياراته - وكيفية التخلص منه، فقال الأوزاعي: أحضره لي. فتم إحضار غيلان، وسأله القاضي ثلاثة أسئلة..



١- هل الله قضى عمّا نهى؟

٢- هل الله حال دوننا أمر؟

٣- هل الله أعان على ما حرّم؟

نعيد الأسئلة بطريقة أخرى:

١- هل آدم أكل التفاحة بمشيئة

الله أم بإرادته المخالفة للإرادة

الإلهية؟

٢- هل الشيطان لم يسجد لآدم بإرادته أم عصى الله بإرادة

الله؟

٣- هل الله حرّم على الإنسان أكل لحم الخنزير ثم أعانه على

أكله اضطراراً؟

لم يُجب غيلان الدمشقي على الأسئلة، أولاً لأنه عرف أن سبب اعتقاله واستجوابه ليس للتباحث بل لأنه معارض للسلطات الأموية، وثانياً يعلم أن هذا السؤال بأي إجابة أجاب سيكون زنديقاً كافراً في نظر رجال الدين.. وحتى صاحب السؤال نفسه، لا يملك الإجابة الصريحة والواضحة على أسئلته.

ومع امتناع غيلان عن الإجابة، قال الأوزاعي: «إنه مرتاب من

أهل الزيغ»، ثم قطعت يده وقدماه، ثم قطع لسانه ورأسه!

خلال شهر سأنتهى من
نحت إله الحكمة...وبعدها
سأسأله عن الحكمة من
وجود إله للحكمة!!



تهافت الغزالي.

من أشهر الكتب في الشرق التي هاجمت الفلسفة، لا شك هو كتاب الغزالي^(٤٣) «تهافت الفلاسفة»، وقد ردَّ عليه ابن رشد^(٤٤) دفاعاً عن الفلسفة بكتاب «تهافت التهافت» يفند فيها آراءه السلبية عن الفلسفة والفلاسفة.

ماذا قال الغزالي؟ قال في كتابه: «.. إنهم رفضوا وظائف الإسلام في العبادات، واستحقروا شعائر الدين،... واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده،... ولا مستند لكفرهم غير تقليد اليهود والنصارى... وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة، كسقراط، وبقرات، وأفلاطون، وأرسطو طاليس واماثلهم..».

فهو يصف الفلاسفة بأنهم ضد العبادات والطقوس الدينية -خاصة الحج- واستهانوا بالحدود الشرعية من قصاص وإرث،

وكل هذا سببه تقليد الغرب والانبهار بأسماء الفلاسفة، ويبدو أن تهمة الانبهار بالغرب التي تلتصق بكل فكر تنويري حاليًا، هو عرف قائم، ونتاج قديم، وعادة مستحبة.

تقدر تعبر عن رأيك بكل حرية..لعنة الله عليك
وعلى رأيك وحررتك!!



ويكمل الغزالي متحدثًا عن نظرهم إلى المعرفة: «البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء، والعمى أقرب إلى السلامة من بصيرة حولاء» فهم أصحاب «عقول منكوسة وآراء معكوسة» ثم يكفرهم قائلاً بأن تكفيرهم واجب، لأنهم يؤمنون بثلاث مسائل، أولها: قدم العالم -أنها موجودة مع وجود الخالق- والثانية: أنهم يرون أن الله لا يحيط بالجزئيات الحادثة للأشخاص -أي يعلم العلم العام أما التفاصيل فهو خيار البشر- والثالثة: إنكارهم بعث الأجساد بل تبعث الأرواح فقط يوم القيامة!

أما الشيخ عبد القاهر البغدادي^(٤٥)، فاعتبر الفلاسفة كفرة، لا

تؤخذ منهم الجزية بل يقتلون، أما ابن الجوزي^(٤٦) صاحب كتاب «تليس إبليس»، فاعتبر الفلاسفة قومًا لا يعترفون بالعلوم النبوية، ولا يأخذون علومهم من الأنبياء الذين يملكون العلم الإلهي، بل يستخدمون عقولهم التي تلبسها إبليس.

واعتبر جموع من رجال الدين أن ابن سينا^(٤٧) كاذب ساحر مشعوذ يفتن الناس بعلمه، واعتبر أبو حيان التوحيدي^(٤٨) صاحب كتاب «الإمتاع والمؤانسة» من زنادقة الإسلام، مثل أبي العلاء المعري^(٤٩) صاحب كتاب «رسالة الغفران»، وكفروا ابن حزم الأندلسي^(٥٠) واتهموه بأنه صاحب فكر ضال وأحرقت كتبه، وأحرقت كتب ابن رشد بتحريض من كهنة الدين لأنها ضالة مضلة، وصادروا مكتبة الفيلسوف الكندي وجُلد في ساحة الثلاثاء في بغداد وهو ابن ثمانين سنة حتى يتوب عن أفكاره، وكُفِّر ابن الراوندي^(٥١)، وضرب عنق صالح بن عبد القدوس^(٥٢)، وقُتل السهروردي^(٥٣)، وصُلب الحلاج^(٥٤)!

أما حيوية البلخي^(٥٥) اليهودي فاعتبر كافرًا ولقبه اليهود بحيوية الكلبي، أما سبينوزا^(٥٦) فبعد نقده لنصوص التوراة حاول أحد المؤمنين اغتياله تقريبًا إلى الله.

وقتل وسحلت هيبتيا^(٥٧) في الإسكندرية بدعم من الكنيسة، وانضم القسيس برونو^(٥٨)، ويان هوس^(٥٩)، والآلاف غيرهم إلى لائحة القتل والحرق والحرمان الكنسي.

لقد كانت وما زالت المؤسسات الدينية في مقدمة الصفوف في مواجهة رجال يسألون ويبحثون عن الإجابات ولا يهتمون كثيرًا بما يقوله البابا والحاخام والمفتي، إنهم يكرهون الفلاسفة لأنهم يطالبونهم بأدلة وبراهين أكثر من تلك التي حفظوها ويرددونها على مسامع الناس، فنحن أمام فكر متحجر يؤمن بأن ما يؤمن به حقيقة مطلقة لا تقبل الشك، في مقابل فكر فلسفي يبدأ من الشك باحثًا عن اليقين والمعرفة المبررة بأدلة تجريبية أو عقلية.

قرأت لك كتابين ومسوي
فيها عالم وفاهم وتعارض
الآلهة يا جاهل.. تبا لك.. إن
الآلهة ترى أشياء لا تراها!



وأن تكون كاهنًا يعني أنك تملك المؤسسات الدينية، ويعني تدفقًا للأموال، وسلطة سماوية بدعم من سلطة أرضية، وولائم يكون فيه الخروف المشوي سيد المائدة، ويعني أن كل مصالحهم

ستكون عرضة للخطر لو فكر كل الناس كما يفكر الفلاسفة،
فالمصالح تسبق حرقتهم على الدين، ودفاعهم عن مملكتهم على
الأرض تسبق الدفاع عن مملكة السماء.

الفلاسفة خطرون لأنهم ضد من يبيعون صكوك الغفران،
ومفاتيح الجنة، ويفرقون البركات، ويوزعون الحسنات، ويدعون
أنهم ممثلو الله على الأرض.. ولا شك أن رجال الفلسفة الذين
رفعوا راية محاربة الخرافات سواء في الشرق أو الغرب كانوا الخطر
الأكبر عليهم، ولهذا مارست هذه المؤسسات كافة أنواع التشويه
والقمع والتكفير ضد الفلاسفة!

ورغم تقرب كثير من رجال الدين إلى الله - وإلى السلطات -
بمحاربة وقتل الفلاسفة، والمفكرين، فإني لم أجد من الفلاسفة من
أفتى بجواز قتل رجال الدين تقريباً إلى العقل.

وقد حاول بعض من الفلاسفة



ورجال الدين مرات عديدة التوفيق
بين الطرفين... لقد حاول ابن
رشد التوفيق بين الدين والفلسفة
وأعلن أن «الحكمة الأخت
الرضيعة للشريعة» ولا يمكن
أن يأتي الله بما يخالف الحكمة
والعقل... كما اهتم القديس توما
الأكويني^(٦٠) بالفلسفة وسعى بكل

جهده إلى استخدام العقل في دعم أفكاره الدينية، وكثيراً ما استغلت الكنيسة الفلسفة لدعم مشروعها الديني.

وما زال هناك من يحاول ممارسة هذا التوفيق، وأظنهم فشلوا وسيفشلون، ليس بسبب العداء بين الفريقين، ولا بين الدين والفلسفة بل لأن للفلسفة والدين منهجين وخطين متوازيين لا يلتقيان أبداً، وفي إمكان من يشاء أن يتخذ أي خط يريد أو حتى يختار الخطين معاً كلياً في وظيفته، بحيث يجعل للعقل والتجربة مساحة في معرفته، وللدين مساحة لروحه ووجدانه، وكفى آلهة السماء المؤمنين شر اقتتال آلهة الأرض!

وأظن، أن محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة، أشبه بمحاولة التوفيق بين الطب وميكانيكا السيارات، هي مجرد محاولات لإثبات ما لا يمكن إثباته، فدعوا «ما لله لله، وما لسقراط لسقراط»!

العدو رقم ثلاثة.. العلماء!

«الفلسفة ماتت» هذا ما قاله ستيفن هوكينغ^(٦١)، معتبراً الفيزياء والعلم، المدخل الأكثر واقعية للنظر إلى العالم والإنسان وليس التأمل المجرد، أما أشهر العلماء المعادين للفلسفة والذي بدوره تفلسف ضد الفلسفة، فهو ريتشارد فيمان^(٦٢)، قائلاً بأنه في الوقت الذي كان سبينوزا يطرح آراءه الطفولية كان نيوتن^(٦٣) ينجز النظريات الأهم والرؤية العلمية التي غيرت مسار العلم، وقال ساخراً: «فلسفة العلم مهمة بالنسبة إلى العلم بقدر أهمية

علم الطيور بالنسبة إلى الطيور.. وأنهم -أي الفلاسفة- يتحدثون بغباء، ويتلاعبون بالكلمات، ويتحدثون عن الحياة في الوقت الذي لم يكتشف أحد ماذا تعني الحياة.



وأضاف أصحاب النظرة السلبية للفلسفة والفلاسفة، بأنهم مجموعة من الناس من المنغمسين في الأوهام والغارقين في بحر التأمل المجرد الذي لا يعني شيئاً، ولا فائدة لها عملية لهم للبشرية، فالعلم التجريبي، يبحث فيما هو موجود، يكشف العلاقات بين الظواهر، يغير من حياة الناس، فتتغير أفكارهم، وهذا التطور بدوره ساهم في تغير القيم الإنسانية، تحرر العبيد بسبب اختراع الآلات الزراعية، كما قال كارل بوبر^(٦٤) وتحررت النساء بسبب اختراع الآلات المنزلية، وتحررت البشرية وتواصلت فكرياً بسبب تطور أجهزة الطباعة ووسائل المواصلات، والقيم تغيرت بسبب العلم وليس بسبب فيلسوف قابع في قبوه يكتب كتاباً عن الوجود والعدم.

بعد دراسة معمقة للفلسفة..توصلت إلى اننا
كحجارة عبارة عن حجارة!!



كيف يمكن للفلسفة أن تشفي مريضاً، أو تنقذ طفلاً من الغرق، أو توصل الإنسان إلى الفضاء، إنه مجرد هراء ولعب بالكلمات، وقد كان مفيداً فيما سبق قبل ظهور العلم الحديث فقد كانت الفلسفة بديلة للخرافات، أما الآن فلا معنى لها، مثلها مثل علوم الخيمياء والسيمياء، لماذا نتعلق بها؟ إنها لا تختلف عن الإيمان بتأثير الأبراج السماوية على الناس، شيء مسلٍّ ومريح للبعض، ولكنه في الواقع لا فائدة منه.

ويرد المشتغلون بالفلسفة والعلم على ما سبق بالقول: مع صواب ما كتب نسبياً إلا أنها بالغت في النظرة المتشائمة للفلسفة، فالمساحات الفارغة في العلم ما زالت واسعة، وما زال العلم يلعب في هذه المساحات الضيقة جداً، ولهذا تأتي الفلسفة وتجعل للتأمل مكاناً في هذا الفراغ، نعم العلم قد يرسم لك تفاصيل جسدك ولكن لا يبحث معك عن مفهوم الإنسان والذات والهوية، نعم لو نقارن «علم» رجل في الشارع الآن مع علم أفلاطون، فلا شك سيجد

أفلاطون نفسه تلميذًا فاشلاً أمامه، ولكن هو نفسه أفلاطون الذي بكتبه الفلسفية ما زال عملاقاً ولا يمكن أن يتجاوزه أحد في مجال التفكير وطرح الموضوعات التي تطرق باب العقل الإنساني.

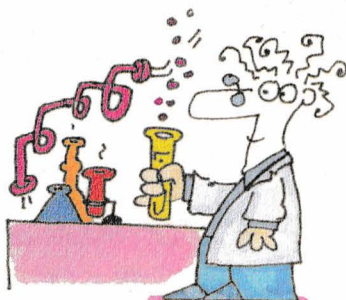


العلم تراكمي يسير بمسار عمودي، لا يهتم بالماضي بقدر فائدته لتطور المستقبل، والعالم يبدأ من حيث انتهى الآخرون، ورجل الشارع يتعامل بدوره مع آخر ما أنتجته التكنولوجيا، وهذا لا يتماشى مع الفلسفة ذات المسار الأفقي، ولا معنى لعبارة: «نبدأ من حيث انتهى الآخرون»، فلا أحد انتهى حتى الآن في حقول الفلسفة، ولهذا يبدأ من المنتصف أو من الآخر أو البداية ولا علاقة له بما اكتشفه العلم إلا في حدود ما يستفيد منه، العلم ليس بديلاً للفلسفة ولا الفلسفة بديلة للعلم.

ما زال الإنسان يسأل نفس الأسئلة الوجودية والمعرفية والأخلاقية، وكما أن رجل الشارع لا يفهم ما قاله أرسطو وكانت وهيغل، كذلك لا يفهم القوانين الفيزيائية، ولا ما كتبه «هوكينغ» عن

الزمان، إنه يريد أن يعيش بطمأنينة وسعادة، ولا شك أن الطمأنينة لا تأتي من خلال اكتشاف مزيد من الكواكب والنجوم مثلاً!

وإذا اعتبرنا العلم سيارة تسير في نفق، فإن النفق لن ينيره سوى الفلسفة والمنطق، ومنذ اليوم الأول الذي حاول الإنسان فيه الخروج من رداء الأساطير الدينية كان الفيلسوف طاليس أول الباحثين عن تفسير طبيعي علمي للكون بدلاً من قصص الإلياذة، والعلم استمر في النهوض لأن الفلسفة كانت الدافع لها دومًا في هذا المسار.. وستظل كذلك، وستقاعد الفلسفة وستستريح أمام المدفئة وتشرب القهوة مع ديكارت وتسامر، فقط عندما يجيب العلم على كل تساؤلات الإنسان.

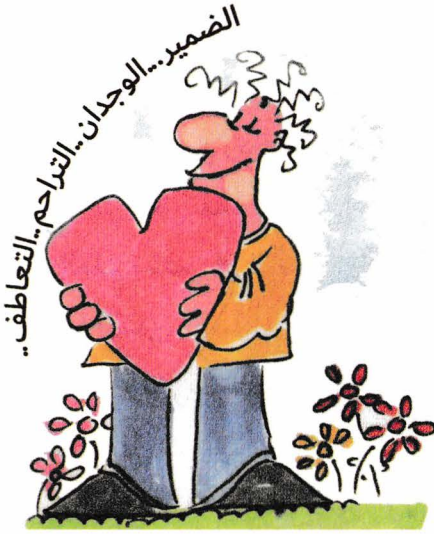


هل فهم العالم ينحصر في المختبر؟ أم المختبر مجرد وسيلة من وسائل فهم العالم؟

نعود إلى «فايمان» مرة أخرى عندما تحدث عن الذرة والفيزياء الكمية قائلاً: «إنه عالم مختلف لا علاقة له بالعالم خارجه، ولا توجد لغة كلاسيكية ممكن أن تشرح ما يحدث، حاولنا أن نعرف وفشلنا في معرفتها، ولكننا نتعامل معها فقط»، هذا ما انتهى إليه فايمان «البراجماتي»، نعم نحن لا نعرف، نحن نتعامل فقط!

العدو رقم أربعة.. الشعراء

ما علاقة الشعراء بالفلسفة حتى ينشب العداء بينهما؟



ينمو العداء عندما يتحول
الشاعر الذي يخلق في الخيال
وينظم الكلمات بطريقة موزونة
إلى مصدر للمعرفة.

كان الإغريق قديماً يؤمنون
بأن الشعر الذي يُكتب ويُلقى
على مسامع الناس عن قصص
الآلهة وعلاقاتهم ليست من
إنتاج البشر، بل هو إلهام من

الآلهة إلى الشعراء، والمسرحيات التي كتبت لتمجيد الأساطير
والأبطال أيضاً بإلهام من آلهة الأولمب، وما هذه الأفلام التي نراها
الآن والقصص التي نقرأها عن حرب طروادة وقصص أخيل
وهيكتور، وتحديات هيركوليس، التي نتلى بها ونعتبرها من
الأساطير، كانت من ضمن الموروثات الدينية المقدسة، وبها من
الأسرار والرموز التي لا يعرف جوهرها إلا كبار الكهنة المتصلين
بالآلهة، والتشكيك في القصص تعتبر إساءة إلى الدين وتدنيس
للآلهة!

ولهذا لا غرابة أن يعادي سقراط وأفلاطون وبقية فلاسفة
اليونان الشعراء وكتاب المسرح، لأنهم يرون في هؤلاء الشعراء

مصدرًا للخرافات بدلًا من المعرفة، ولا غرابة أيضًا في أن يتقدم «ميليتو» الشاعر بالشكوى في المحكمة ضد سقراط ويطلب بإعدامه لأنه كفر بالآلهة، وأفسد الشباب.

وفكرة الإلهام الإلهي وتسديد خطاه ومنعه من الزلل نراها أيضًا انتقلت إلى كتاب الأناجيل الأربعة التي دُونت بإلهام وتسديد إلهي، فالفكرة الأساسية في الإلهام كانت راسخة في الأذهان، ولهذا كان من السهل تقبل الناس لفكرة أن رب السماوات ألهم الحواريين بكتابة الأناجيل ليبشروا بها البشر، وبيقوا تضحية المسيح وقيامته خالدة!



أما في الجزيرة العربية -في الفترة الجاهلية- فكان الشعراء يذهبون إلى وادٍ اسمه «عبر»، وهذا الوادي مليء بالجن، يبحث الشعراء هناك عن قرين لهم من الجن يعلمونهم الشعر، وبالفعل كان العرب يؤمنون بأن هذه الأشعار المميزة والعظيمة لا بد أن

يكون مصدرها غيبياً، ولهذا كانوا يرون أن الكلام المسجوع الذي يرتله الكهان مصدره ما وراء الطبيعة، ولعل أمية بن الصلت^(٦٥) أبرز مثال على ادعاء الشعراء العلم الغيبي، وادعاء بعضهم النبوة وإخبار الناس بما جرى وما سيجري.

ولهذا أزعـم بأنه عندما تتهم قريشاً النبي بأنه شاعر، والقرآن يشير إلى ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٦٦) فإن الخطاب لا يتصل بأولئك الذين يتغزلون ويكتبون قصائد المدح والرثاء، بل بأولئك الذين يعتبرون شعرهم مصدرًا للمعرفة وإلهامًا إلهيًا خاصًا بهم.

ولعل أشهر من تعرّض للفلاسفة في الشعر العربي هو أبو نواس الشاعر^(٦٧) الذي بدأ حياته باحثًا متكلمًا^(٦٨) يدرس علم الكلام والفلسفة عند إبراهيم النظام المعتزلي^(٦٩) الذي بدوره بدأ حياته شاعرًا ثم أصبح من أشهر متكلمي المعتزلة.



أبو نواس ترك الفلاسفة واتجه إلى اللهو واللذة وشرب الخمر كـ«أبيقوري» معتق، واشتهر بذلك في بغداد وما زال... وقد لامه

معلمه النظام على هذا الفعل، ولكنه رد عليه شعراً يبين جانباً من خيال الشعراء الذين يرون النظرة إلى الحياة بطريقة مختلفة وأكثر جمالاً ورقياً من الباحث الذي يدعو إلى الفضيلة والمعرفة وهو بعيد عنها، داعياً إياه بالاستمتاع بالحياة بدلاً من التفكير بطريقة الفلاسفة، وقال قصيدته المشهورة:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
فقل لمن يدعي بالعلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء



أما في العصر الرومانسي -نهايات القرن الثامن عشر إلى منتصف التاسع عشر- فقد كان الشعراء يرون في الفلاسفة أفراداً بلا مشاعر يمثلون الرأي العقلاني البارد الخالي من العواطف الإنسانية والتجربة الوجدانية الفردية، في مقابل رؤية وجدانية مليئة بالمشاعر والأحاسيس المختلفة تجاه الكون.

فظهرت الرومانسية كتجربة فردية متخذة من التراث والواقع موضوعات يطرحها الشعراء والفنانون من خلال الشعر والفن

ويضعون الخيال في مقدمة العمل الفني، فالإنسان ليس مجرد عقل مادي وآلة تفكر، بل مشاعر وأحاسيس وخيالات وطموحات، ولا يمكن أن نحكم على علم الأخلاق والقيم بالعقل فقط بعيداً عن عواطف ومشاعر وضمير الإنسان!

العدو رقم خمسة.. النسويات

سجن الفلسفة، والقيم الاخلاقية
داخل الاطار الذكوري...



عندما سئلت «حنا أرنت»

هل أنت فيلسوفة؟ ردت: لا، أنا
مهمة وباحثة سياسية، ولعل
إجابتها تنم أولاً عن أن الفلاسفة
لا يدعون أنهم فلاسفة، وثانياً
أن موقفها من الفلاسفة الرجال
موقف سلبي، فهي مثلها مثل بقية
الفيلسوفات ترى أن هذا الاحتكار
الرجالي للفلسفة، هو أيضاً احتقار

للمرأة، فهم ينظرون إلى العالم والبشرية على أنه كائن ذكوري، لا
رأي للنساء فيه ولا وجود.

ومن قبل رأت «ماري وولستونكرافت»^(٧٠) أن تهमيش المرأة
سياً وثقافياً وتربوياً عامل هدم لها، وعلى النساء أن يأخذن
حقوقهن مثل الرجال، وكانت ترى أن الفلسفة كتبت بلغة ذكورية
وكان الفلسفة خاصة بالرجال.

و«سيمون دي بفوار»^(٧١) كانت ترى أن الفكر الفلسفي بدوره لألفي سنة ساهم في ترسيخ الفكرة النمطية عن المرأة، بحيث جعل الرجل هو المعيار الأخلاقي الذي من خلاله تسعى المرأة إلى المواءمة معه.



الفلسفة هي عبادة الرجل لذاته الذكورية

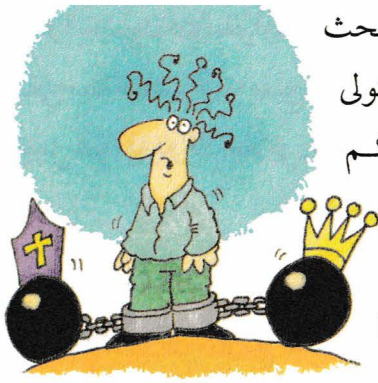
فالفلسفة بالنسبة إلى الحركات النسوية «الفيمينست» هي تاريخ للفكر الذكوري، ونظرة الرجل، ومشكلات الرجل، وإجابات الرجل عن العالم، وأخلاقيات الرجل في نظره إلى العالم والمجتمع أو السياسة.

وواقعاً كان للمرأة دور هامشي في المجال الفلسفي ورغم أنه تغير مع القرن العشرين فإنها ما زالت تشكل النسبة الضئيلة، ولهذا ما زالت الفلسفة تتعرض لسهام الحركات النسوية، وهي محقة إلى حد ما، فما زلن يتساءلن مثل ماري ستيل: إذا كل الرجال يولدون أحراراً، فلماذا تولد النساء عبيدات!

العدو رقم ستة.. السلطات
أثينا.

في بيت على أطراف مدينة إيليا -غرب الساحل الإيطالي- اجتمع مجموعة من رجالاتها، على رأسهم «زينون الإيلي»^(٧٢)

-أحد أشهر فلاسفة اليونان- لبحث
أوضاع المدينة بعد أن استولى
الطاغية «نيرخوس» على حكم
المدينة، ومارس طغيانه على
الجميع من دون رحمة، واتفقوا
في نهاية الأمر على التخطيط جديدًا
للتخلص منه.



بعد أسابيع من التخطيط للطريقة المثلى للتخلص من الطاغية،
وبعد جمع السلاح والمريدين، انكشفت خطتهم، بسبب أحد
الوشاة، وتم إلقاء القبض على زينون مقيّدًا إلى السجن.

وقف أمام الطاغية، فسأله عن الضالعين في المؤامرة على
المدينة، قال ساخرًا: «نعم أعرفهم، إنهم أنت يا لعنة المدينة»، ثم
خاطب المتواجدين حوله: «إنني مدهوش من جنكم وتذللکم،
ومن أنکم ترضون أن تكونوا عبيدًا للطاغية، بسبب خوفكم من
تلك التصرفات التي أكابدها الآن!» ثم قام
زينون بالبصق في وجه الطاغية، وتم سحله
إلى السجن.

مرة أخرى، أعادوه بعد أن قرر
الاعتراف، دخل القاعة المليئة بالحرس
والأنصار والمنافقين الموجودين عند
كل طاغية ورئيس وحاكم، وقف أمامه

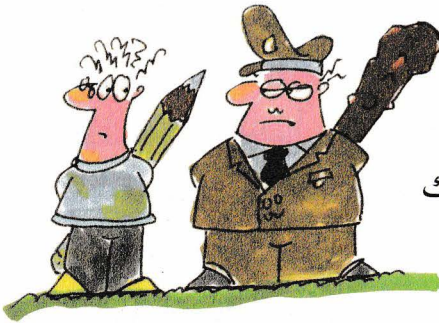


مكبلاً، أمره بالاعتراف وكشف المتآمرين، فما كان منه إلا أن ذكر أسماء مناصري الطاغية حتى يخيفه من أقرب أنصاره، ثم طالب بأدب جم من الطاغية أن يقترب منه، ليهمس في أذنه عن أهم المشاركين له والذين هم أقرب أقربائه، فأذن له، اقترب من الطاغية وما كان منه إلا أن قضم أذنه، وتحت ضربات حراب الحرس تم جره بعيداً، ثم قطع «زينون» لسانه بأسنانه ولفظه أمام الطاغية حتى لا يعترف، وهنا كانت نهايته.

لم يكن زينون وسقراط الوحيدين الذين عانوا من السلطات، أرسطو بدوره ترك أثينا خوفاً من محاكمته وإعدامه، أناكساغورس^(٧٣) لوجه بتهمة التجسس، بروتاغوراس^(٧٤) لوجه أيضاً من السلطات بتهمة الإلحاد، أما دياغوراس^(٧٥) فقد دوت سلطة أثينا اسمه على عمود برنزي في وسط أثينا: مطلوب دياغوراس حياً أو ميتاً، ولن قبض عليه حياً مكافأة مضاعفة.

لم يكن الفلاسفة يسرون في شوارع أثينا مكللين بالغار، وسط هتافات الترحيب والتشجيع من الناس والسلطات - كما يتصور

البعض - بل كان القمع والسخرية من قبل الشعراء وكتاب المسرح وعامة الناس ضدهم هي القاعدة، ودون ذلك استثناء.



الكوفة.

كان الجعد بن درهم من أوائل المعتزلة، مؤمن بخلق القرآن، وحرية الإنسان، وتنزيه الخالق عن صفات البشر، وقد تم اعتقاله في الكوفة من قبل واليها، وفي سنة (٧٤٢م-١٢٤هـ) صعد والي الكوفة على المنبر في يوم عيد الأضحى ليخطب خطبة العيد: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضجّ بالجعد بن درهم....» ثم نزل من المنبر واستل سيفه ونحر الجعد بن درهم في المسجد.

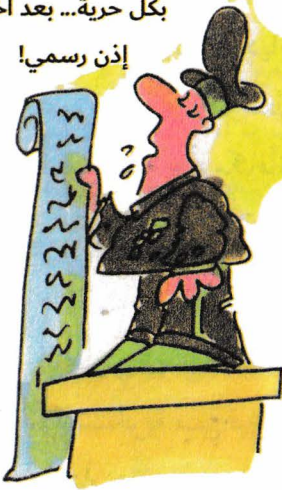
بغداد.

وقد سمحنا للمواطن

بالأكل والشرب والنوم

بكل حرية... بعد أخذ

إذن رسمي!



جمع الخلفية المهدي^(٧٦) أبناءه وأوصى

ولده:

«بنيّ إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم يخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تخرجًا وتحبًا، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر

الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى نور الهداية، فارفع فيهم الخشب - الصّلب - وجرد فيهم السيف،

وتقرب بأمرهم إلى الله الذي لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس رضي الله عنه، في المنام قلدني سيفين وأمرني بقتل أصحاب الاثنين» ويقصد بذلك المانوية.

وأنشأ بعدها في بغداد ديوان باسم ديوان الزنادقة وكان هناك قاضٍ للزنادقة، وكان يتم جلب من يشك في انتمائهم إلى المانوية، أو أي دين آخر، أو فيلسوف يشك في أمره، وتتم محاكمته ثم إعدامه ويضاف إليهم المعارض السياسي تحت نفس البند، فالسلطة رأت أن مجرد التفكير المختلف خطر على سلطانها.

وقد تم اقتياد أبو معشر البلجي^(٧٧) الفلكي المرموق، بعد أن صدف رؤية الناس لنقطة سوداء في الشمس، فكثرت التأويلات حول العقاب الإلهي، ونهاية العالم، فكشف لهم بأن النقطة السوداء ليست سوى كوكب عطارد، فهذا الناس واستقرت الأمور، ثم نبههم إلى أعاصير قادمة وحصلت بالفعل، ولهذا تمت محاكمته وجلده فقال: «أصبت وعوقبت» لأنهم اعتبروا فعله من فعل الغيب، ويسبب الفتنة في بغداد.

ففي بداية القرن الثالث الهجري كانت بغداد مركزاً ثقافياً للعالم كله، وكان في سوق الوراقين بالكرخ وحده مئة حانوت لنسخ الكتب وبيعها، وكانت المكتبات الخاصة والعامة تملأ مناطقها، وترجمة كتب اليونان والسرمان والفرس أحد أنشطتها المتعددة، وفي العصر العباسي كان الجدال الفكري إحدى ميزات بغداد، ومنها حول خلق وقدم القرآن، إلى أن تولى الحكم المتوكل العباسي^(٧٨)

فأصدر أمراً بمنع الجدل في مسألة الكلام، وجر معه أي كلام أو نقاش أو بحث فكري خارج عن الدين، وفي تلك الفترة بالذات صدرت كتب الحديث والروايات بالمئات، وصارت بديلة عن كتب الفلسفة والكلام، وكانت بداية انزواء العقل في التشريع في مقابل النصوص الدينية.

ومن بغداد إلى الري، فبعد هجوم السلطان محمود الغزنوي^(٧٩) على الري -طهران الحالية- كان أول ما فعله البحث عن كتب الفلاسفة وعلماء الكلام، وتمت مصادرة الكتب واعتقال المنحرفين، وتم جمع الاثنين، وحرق كل كتب الضلال وقيل إنه أحرق الفلاسفة والمتكلمين مع الكتب، وأرسل إلى خليفة بغداد يبيشه بفعلته في نصره السنة إرضاءً لله ورسوله.

روما.

وبعيداً عن بغداد والري، في روما، بعد ألف سنة من إنشاء أكاديمية أفلاطون في أثينا، قام القيصر جيسطينيان الأول^(٨٠) بإغلاقها لأنها مركز للفساد والانحراف، وقبله قام الإمبراطور «دوميتيان»^(٨١) بطرد كل الفلاسفة من روما لأنهم يسببون الإزعاج للإمبراطورية ويفسدون أهل روما!

ما السبب الذي يجعل السلطات تحارب الفلاسفة؟ رغم أنهم ليسوا دعاة سلطة ولا مطالبين بالعرش؟ لأنهم ببساطة يقوضون أركان الدولة، ويفسدون الشباب، ويشككون في المسلمات التي زرعتها السلطات بدعم من المؤسسات الدينية والاجتماعية لتثبيت

أركانها، ولهذا كان «فولتير» خطرًا عندما قال بأن الملك يمثل الشعب ولا يمثل الله... هؤلاء المزعجون تم التعامل معهم بعنف مفرط، فقط لأنهم خرجوا عن المألوف واستخدموا العقل في مواجهة أوهام وتوجيهات السلطة الحاكمة. مكتبة سر من قرأ

لقد كانت فكرة أن الإنسان حر في أفعاله وأقواله كفيلة بأن يتم نحر المروجين لها في المساجد في زمن الدولة الأموية والعباسية، وما زال الترويج للأفكار «المزعجة» للسلطات في أي بلد أشد خطرًا من ترويج المخدرات، وسقراط عندهم أكثر خطرًا من إسكوبار، ولهذا أنا موقن بأن الفلاسفة الحقيقيين الذين لا نعرفهم والذين كانوا مزعجين حقًا أكثر من أولئك الذين نعرفهم والذين تهادنوا مع المؤسسات الرسمية والثقافية... والحق أقول لكم، الفلسفة حقًا مفسدة، وما فائدة وأهمية الفلسفة إن لم تفسد عقول الشباب!

الفصل الثاني

الفيلسوف إطفائي الخرافات



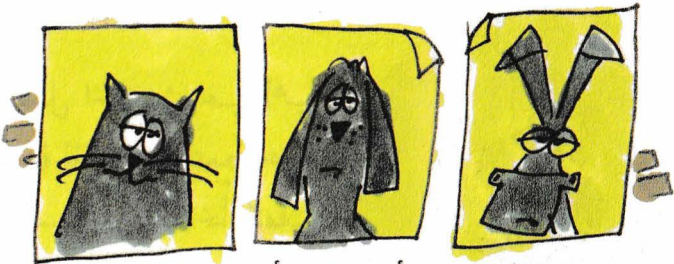
من السهولة أن تملأها بالخرافات في لحظات،
ومن الصعوبة- او الإستحالة- محوها !

قبل الحديث عن أهمية
الفلسفة للفرد والمجتمع دعونا
نأخذكم في رحلة داخل كهف
الأوهام والأساطير والخرافات
الذي عاشت فيها البشرية،
وكيف كانت تسيطر على الفكر
الإنساني، لتعرف كيف كان يفكر
وكيف أصبح يفكر..

قطة تبشر بعودة البحارة

في سومطرة يعتقدون إن وقفت المرأة عند عتبة الباب أو
الدرجة الأخيرة من السلم فستعاني من ألم وإرهاق عند الولادة،
وفي مدغشقر يمنع الجندي من أكل القنفذ لأنه سيتوقع على نفسه
ويجبن في المواجهة، وعند عرب الصحراء يعتبر القنفذ كائنًا يلبسه

الجن ولذلك لا يمكن كشفه بسهولة، وفي إفريقيا إخفاق الصيد عادة يكون سببه أن الزوجة أساءت التصرف في البيت، والهنود في المكسيك يرون في الصبار نباتاً نصف إلهي لأن أكله يسبب حالة من النشوة للإنسان، وعرب المواءبة في الأردن كانوا يعتقدون بأن المرأة التي لا تنجب لا بد أن تستعير ثوباً من امرأة أنجبت كثيراً حتى تنجب، وفي أرمينيا لطلب نزول المطر يتم تبليل زوجة الكاهن،



مطلوبين للعدالة.. حمار أسود.. كلب أسود.. قط أسود.. التهمة

التعامل مع السحرة والشياطين

وفي الخليج قديماً كان الضرب على القدور والأواني وترديد الأناشيد عن المطر نوعاً من طقوس طلب الغيث، وما زال البعض في مناطق الخليج يذهبون إلى الساحل ويضربون الدمام والسنج رغبة في عودة الصيادين بصحة وعافية وخير وفير، وفي التراث الكويتي القديم فإنه بعد أشهر الغوص تخرج النسوة على البحر وتردد «توب توب يا بحر.. ما تخاف الله من يا بحر» وإحداهن تضرب على الطبل والبقية يحملن سعف النخيل المشتعلة، ويبدأن في ترديد الكلمات، ثم يرمين السعفات المشتعلة في البحر، وبعضهم يرمين البحر بالحجارة حتى يخاف ويحقق مطالبهن بعودة أهلن،

وفي النهاية يغطسون قطعة في البحر حتى «تموء» مبشرة بعودتهم، وفي كوريا تعتبر الأشجار مسكنًا لمن ماتوا في الوباء أو للنساء اللاتي متن أثناء الوضع، ومسح الدم بالبيت والبناء عليه يطرد الأرواح الشريرة، ومع التطور التكنولوجي صار نحر الدجاجة على إطار السيارة دافعة لها من الشر، وفي البيوت الخشبية أيضًا يتم نحر الخراف لأن الخشب من الأشجار وعادة تسكنها الأرواح والشياطين، والنظر إلى المرأة أو انعكاس الصورة على الماء تلبس الإنسان الجن أو الأرواح الشريرة ولهذا ينصح بعدم إطالة الجلوس أمام المرأة، وفي كثير من الشعوب يعتبر التخلص من الأظافر والشعر بالدفن تحت التراب ضرورة بسبب ممارسة السحر والعتور عليها يؤدي إلى الضرر على صاحبها، أما الرياح القوية والغبار فهو كائن شرير يرسل معه الشرور والشياطين، وفي إندونيسيا والشرق عامة يرون أن للأرز الذي يزرع أرواحًا مثل روح الإنسان ويشكل الأرز إنتاجًا إلهيًا أكثر منه بشريًا، ولذا يولون براعم الأرز احترامًا جمًّا، فيحجمون عن إضرار النار بالقرب منها، أو إصدار الضجيج، أو الحديث عن الأموات والعفاريت، حتى لا تخرج منها الأرواح وتضعف قدرتها! (٨٢)

وما زالت هذه العادات الوثنية والخرافية متداولة بين الشعوب، ولا أعتقد أن ممارستها -إن لم تسبب ضررًا- مذمومة بل قد تكون جميلة وتضفي على حياتنا نوعًا من السحر والجمال بدل التعامل مع علمنا بطريقة آلية مملة!

أبو فلان

الإله مردوخ إله
الحرب، بعد
خسارته الحرب
وتغيير مسماه
الوظيفي



عادة وجود اسمين للشخص في
كثير من الشعوب قديماً شائعة - وما
زالت مستمرة في الشعوب الشرقية -
حيث يحمل الشخص الاسم المتعارف
عليه بين الناس والاسم الحقيقي الخاص
به، حتى يأمنوا من شرور أعمال السحر
خاصة، أما بعض الشعوب فلا يذكرون

أسماءهم لأحد ولا يتداولونها، بل يتداولون ألقابهم، فلقب مثل
أبو فلان وأم فلان أو عم فلان أو قوم فلان، أو إخفاء اسم الأم
بالذات... كلها لتجنب أعمال السحر التي تتم مباشرة بالاسم،
وفقدان الاسم الحقيقي قد يمنعهم من إتقان سحرهم!

حرق رجل القش

في كثير من القرى الأوروبية في الأحد الثالث من الصوم كان
يتم تجهيز رجل القش الذي يلبسونه الخرق البالية ثم يحرقونه،
ويغنون ويرقصون حول المجسم وبعدها يعودون إلى البيت ليأكلوا
البيض كمكافأة لإبعادهم الشرور والموت عن القرية، وفي جنوب
إيران كان الناس في نهاية شهر صفر يقومون بنفس الفعل، حيث
يقوم الأطفال بصنع رجل القش وحرقة في آخر ليلة من صفر إيداناً
بانتهاء هذا الشهر المنحوس!

وفي إيران أيضًا ما زالت تقاليد إحياء ليلة «يلدا» تمارس على نطاق واسع -وهي ولادة الإله ميترا- ويصادف نهاية ديسمبر بمناسبة الانقلاب الشتائي والعد التنازلي لليل، وهي ترمز إلى ولادة ميترا إله الشمس في الغار مثلما ولد المسيح، والتي تحولت عند الكاثوليك إلى عيد لميلاد المسيح، وقد أقر «أوغسطين»^(٨٣) بدمج ميلاد المسيح في هذا الاحتفال الوثني مراعاة لمصالح المسيحية ونشرًا للدعوة، ونبه ألا تكون النية عبادة الشمس بل عبادة خالق الشمس.

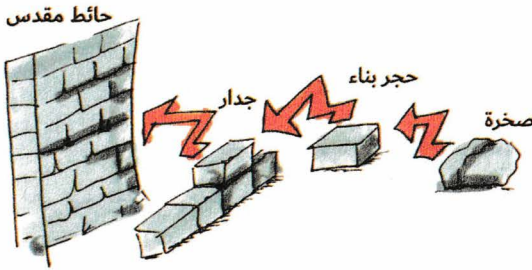
سجن الآلهة

كان العرب قبل الإسلام يؤمنون بأن الكهنة ترسل إليهم الأخبار والنبوءات من قبل الجن، يخبرونهم عمّا غاب عنهم، وأن الشياطين كانت تسترق السمع لملائكة السماء ثم تلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون للناس الأخبار بحسب ما يرد إليهم، فهي لا تعلم الغيب بل تتجسس على السماء!

ويروى أن بعد انتصار الآشوريين على جيش البابليين واحتلال مدينتهم، ساقوا «مردوخ» إله بابل الأكبر وصيروه خادماً ذليلاً عند الرب آشور، فقال أهل بابل مبررين ذلك: إن الرب الأعظم شاء لنفسه أن يتواضع وينهزم حتى يعاقب شعبه على شرورهم!

تعذيب الأطفال

كان المسيحيون يؤمنون بأن الأغلبية ستردى في الجحيم فالأغلب يميلون إلى الشرور، يتلبسهم الشيطان وينجس أكلهم ويمرضهم وينام مع نسائهم، ووصل بالقدّيس أوغسطين إلى حكم غريب وهو أن الأطفال الذين يموتون قبل التعميد مآلهم النار، وبرر القدّيس أنسلم^(٨٤) ذلك بالقول بأنه لا توجد مخالفة للعقل والمنطق أكثر مما في فرض الرق على أبناء الأرقاء، وبعضهم تنازل قليلاً بأن وضعهم في «الليمبو» limbo خارج الجنة ويسمى بالمطهر.



أما عند المسلمين فاختلفوا في مصير أطفال الكفار، بين من قال إنهم يعذبون لأنهم من نطفة كافرة، وبين من قال إنهم يحاسبون مرة أخرى، وبين من قال بأن تعذيب الأطفال يوم القيامة نوع من العذاب الإلهي لأبائهم الكفار!

مثل الله على الأرض

بمناسبة الجمعة الحزينة -يوم صلب المسيح- كانت بعض الكنائس في العصور الوسطى في أوروبا، تطلب من اليهود إرسال

مندوب عنهم إلى الكنيسة، ليتلقى صفعة على أذنه تذكرهم بخطيئة صلب المسيح!

وبدوره كان البابا جريجوري^(٨٥) راهبًا متعبدًا، بسيطًا، ينشر في رسائله وكتبه قصصه الخيالية على الناس، وكان الناس يسرون خلفه مصدقين بأن هناك قديسًا حرك الحجارة والجمادات ببعض الدعوات، وأشيع أن البابا ليو التاسع^(٨٦) المحبوب لما عاد إلى إيطاليا بعد رحلة إصلاح قام بها في فرنسا وألمانيا انشق له النهر كما شُقَّ البحر لموسى، وأن قديسًا آخر كان يختفي عن الأعين رغم وجوده بين الناس، وأن السموم لا تؤثر في من يحمل الصليب، وأن المرضى يكفيهم دعوات القديسين حتى يشفوا فورًا، وأن مخلفات وبقايا القديسين، من ملابس، وأدوات، وعظام... تشفى وتعالج الناس!



أما البابا نيقولا، فقد ظهر بنظرية بسيطة، وهو أن الرسول بطرس^(٨٧) وبأمر من المسيح ابن الله، أنشأ أول كنيسة، وصار ممثلًا للمسيح، ثم تناقلت رئاسة الكنيسة على من يليه ويليه، وهذا يعني أن البابا هو ممثل لبطرس الرسول، ما يعني أنه ممثل لابن الله، وممثل

لله، وما يقوله هو قول الله، وهو الممثل الشرعي والوحيد لله على سطح الأرض!

ولأن الناس يخافون من الله ومن المسيح ابن الله -وفقاً لرأي ول ديورانت-^(٨٨) لهذا كان الكاهن والقديس الطيب هو البديل الناجح للاعتراف وطلب والمغفرة من الذنوب، ولهذا السبب كثر الشفعاء وصار لكل مدينة وقرية شفيع، يغفر ذنوبهم ويحقق أمنياتهم، ولم يكن الشفعاء مقصورين على المدن بل صاروا الطوائف ونقابات العاملين، فلأن القديس يوحنا غمر في قدر مليء بالزيت المشتعل صار هو شفيع صانعي الشمع، ولأن القديس كريستوفر حمل المسيح على كتفيه صار شفيع الحمالين، ولأن القديس أبولينيا كسر الجلاد فكه صار شفيعاً لآلام الأسنان.. وكانت مخلفات القديسين سوقاً رائجة تُباع في الكنائس والأديار، إلى درجة أن بعض القديسين تم تقطيعهم بعد موتهم إلى عدة قطع لبيعهم على الكنائس، فالآثار المزيفة للرمح الذي اخترق المسيح، وعصا موسى، والألواح الحجرية التي كتبت عليها الوصايا، ورداء مريم المجدلية، ودم المسيح، وأثر قدمه... كانت أفضل تجارة على الإطلاق.

وهذه الحمى أصابت الاسلام والمسلمين، حيث كثرت الأضرحة والمزارات الوهمية، وبالإضافة إلى الآثار المزيفة، لشعر الرسول، وعمامته، وردائه، وحذائه، وسيفه، وكعب حماره، وسريره...

في القرون الوسطى، وضع البابوات عشرات التحريمات، لمواجهة الظواهر السلبية التي بدأت تدخل مع الحروب الصليبية في مراكز أوروبا التعليمية، ولمواجهة الغزو الفكري القادم من الشرق، اعتبر «تعليم اللغة العربية اشتغالا بالسحر الأسود»، وكانوا يعرفون الرياضيات والجبر العربية بأنه «سحر عربي خطر»، وكل ما يأتي من الشرق وأفكاره هو سحر وهرطقة وابتداع شيطاني وطقوس وثنية!

وقد أصدرت جامعة باريس في تلك الفترة تحريمتها، التي بدأت بأحد عشر تحريماً وضابطاً، وازدادت مع مرور الزمن وصارت أكثر من مئتي تحريم وضابط وممنوع، ومن هذه التحريمات القول «إن العالم قديم»، وإن الأرض ليست مسطحة، ورفض جميع المبادئ التي توصل إليها علماء المسلمين في علم الفلك ونظرتهم إلى الأرض، ومنع دراسة حركة النجوم والكواكب وتأثيراتها في الأرض، ف«الفلك لا يطيل عمراً ولا يقصره» كما قال أحد الرهبان ساخراً ممن يدرسون الفلك على طريقة الشرقيين.

وكانوا دقيقين جداً في بعض تحريمتهم، فقد حرم قول المعلم الجملة التالية: «ما من شيء اسمى مكانة من دراسة الفلسفة» أو أن يقال: «ليس في العالم حكماء سوى الفلاسفة»، ومنع البحث العلمي في كل المجالات العلمية والرياضية.. وهي أمور دراستها كفر صريح، والقول بأن الفلاسفة والعلماء حكماء وأصحاب معرفة فيها انتقاص من شأن البابا والرهبان سدنة المعرفة وحراسها!



كانت القطط مقدسة عند
المصريين القدماء، أما في
العصور الوسطى بأوروبا
فقد مورست ضدها
الإبادة لأنها زميلة
للساحرات وصديقة
للشياطين... لقد تحملت
الكائنات الحية الكثير من
المآسي بسبب حماقات
الإنسان -وما زالت!

ومن ضحايا التتحيات، في جامعة باريس معلم اسمه «سيجر
البرابانتي»^(٨٩) قال عنه أحد تلاميذه إنه «ألمع مدرس للفلسفة»،
وكان هذا القول كافياً لكي يحكم عليه بالموت، واعتبر محرضاً على
الشغب الفكري في جامعة باريس وحوكم، ثم تمت إدانته بـ ٢١٩
قضية وخللاً فكرياً من كتاب واحد في النفس والعقل! وقد تراجع
عن آرائه بعد حكم الإعدام، فحكم عليه بالمؤبد ثم حكم عليه
بالإقامة الجبرية في الدار البابوية، ثم اغتيل من قبل أحد المتطرفين
من دون تدخل ومعرفة البابا بذلك، كما قيل!

فلا غرابة في نظرة المسعودي المؤرخ الإسلامي الشهير... عندما
وصف أوروبا بأنها بلاد الثلوج، والبرد وقلة الشمس والحرارة، ولهذا
فإنهم قوم «عظمت أجسامهم، وجفت طباعهم، وتوعرت أخلاقهم،

وتبلدت أفهامهم، وثقلت ألسنتهم...» كان ينظر إليهم على أنهم قوم أجلاف، بلا أدب ولا أخلاق ولا حسن تدبير، متخلفون متبلدو الإحساس والعقل، ومعلوماتهم عن الكون غريبة ومضحكة، متهتكون خلقياً وأسرياً... أما سبب تخلفهم العلمي والأدبي فيراه المسعودي من جانب آخر، فالغرب واليونان خاصة، كانوا أهل علم وتطور وثقافة عالية ورفعة سامية... «إلى أن تظاهرت ديانة النصرانية في الروم، فغفوا معالم الحكمة، وأزالوا رسمها، وطمسوا ما كانت اليونانية قد بنته...».

حلم المأمون

الأحلام كانت -وما زالت- مصدرًا للمعرفة، والتشريع، والقضاء، والتجارة... فما زالت الرؤية المبهمة للأحلام تسير الناس، فقد آمن المسلمون -كغيرهم من الشعوب- بأن الإنسان النائم تخرج روحه وتخلق بعيداً، ولهذا وضعوا أصولاً للرؤيا والنوم، مثل تقليم الأظافر، والوضوء، والاغتسال من الجنابة، لأن الروح تفارق البدن فوجب أن تكون طاهرة لعلها تطوف حول العرش، وينام صافي القلب، قليل الأكل، ولا يأكل البصل والأطعمة الخبيثة، ولا ينام على بطنه بل على ظهره أو يمينه، وإن رأى ما يضر، يستغفر ويبصق على اليسار ثلاثاً.. وعليه ألا يكذب ويضيف أو يخفي في رواية الحلم بعد أن يفيق فقد يسبب ذلك ضرراً له، كما كذب الرجل في السجن على النبي يوسف الذي حلم بالطيور فوَقَّه

تأكل من رأسه، فأصبح واقعًا! ومن الأحلام المشهورة في التاريخ الإسلامي حلم المأمون العباسي^(٩٠) فقد رأى في منامه رجلًا وقورًا تبدو عليه سيماء الحكماء، جالسًا بجانبه، وسأله عن اسمه، فأجابه بأنه أرسطو طاليس، فسأله المأمون:

- ما الحُسن؟

- قال أرسطو: ما استحسنته العقول..

- ثم ماذا؟

- ما استحسنته الشريعة..

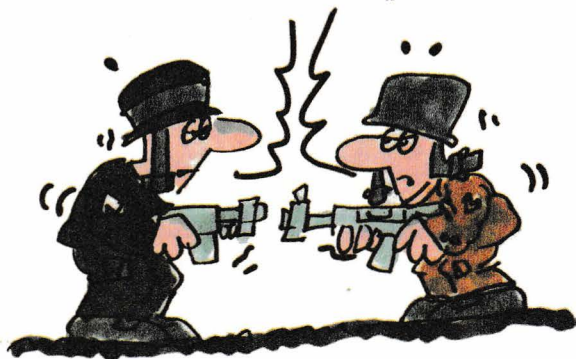
- ثم ماذا؟

- ما استحسنته الجمهور..

- ثم ماذا؟

- ثم لا..

في سبيل الله!



تتعامل مع الجميع بالعدل والمساواة وبمسطرة واحدة!!



وبعد هذا الحلم -الذي صار مبررًا لا يمكن معارضته لأنه رؤيا ورسالة من الغيب- بدأ المأمون جديدًا في ترجمة كتب الفلسفة اليونانية، وكل التراث الإنساني إلى العربية، وأرسل إلى كل الأمصار بإحضار وترجمة الكتب، بل هدد حاكم

صقلية يأمره بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة وإلا شن عليه الحرب، فاجتمع الحاكم مع رجال الدولة فأشار إليه المطران الأكبر «أرسلها إليه، فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدها»، فأذعن الحاكم وأرسل الكتب، وفسدت الأمة، وانتشرت آراء الفلاسفة، وتكاثر الزنادقة، وتجاسر الملاحدة.. وصار «العقل» مصدرًا للمعرفة بدلًا من «النقل»!

سنة ٨٦١

كانت مدينة كاشمر، في الشمال من إيران مشهورة بشجرة سرو مقدسة كبيرة زرعها زرادشت عندما ضرب بعصاه الأرض، وعندما سمع الخلفية المتوكل العباسي بالشجرة وعظمتها وتقديس الناس لها، أمر بقطعها تقريبًا إلى الله ومنعًا للبدع، وإرسال خشبها إلى عاصمته سامراء في العراق ليكمل بها بناء قصره، ورغم تحذير الكهنة من هذا الفعل وأنه سيجر الويل لمن يقطعها، فإن الخلفية أصر على فعله، وتم قطع الشجرة وأرسلت إلى سامراء، وفي نفس

اليوم الذي وصلت الأخشاب إلى سامراء قُتل الخليفة على يد ابنه، واعتبر قتله تحقيقًا للنبوءة، وما زالت عادة قطع الأشجار وخاصة المنزلية فآل شؤم، وقد يتسبب في موت أحد أفراد العائلة!

سنة ٨٠١

نكره اليهود... لانهم صلبوا

عيسى اليهودي!



كان اسمه هاشم،
وكان أعور من أبناء
قرى مرو^(٩١)، وكان
مكفناً للموتى في بداية
حياته، ويقال إنه قرأ
السحر والطلسمات من
الكتب القديمة، ولبس قناعاً
من الذهب يغطيه بخرقة

حريرية خضراء من الجنة، حتى لا يروا وجهه، ويروى أنه في إحدى
المرات كشف عن وجهه فأعمى نور وجهه عيون الناس.

قام «المقنع» ببناء دولة في مرو وشن الحروب، وادعى أن أبا
مسلم الخراساني تجسم في صورته، وكذلك تجسم به بقية الأنبياء،
وكان شعار أنصاره «أعطنا المدد يا هاشم»، لم يدع النبوة بل اعتبر
نفسه نوراً إلهياً، جاء في صورة إنسان... وعند هزيمته في قلعته،
يقال إنه دخل تنوراً... واختفى... ثم شاهدوا حمامات فضية تحلق
فوق القلعة!

سنة ١٨٩٣

في هذه السنة بصقلية، عانى الناس من شح الأمطار، وبدأت المزروعات تذبل والغذاء يقل، لجؤوا إلى الكنائس وأقيمت المواكب والصلوات، وعلقت أغصان النخيل، وبعد أن ملَّ الناس صاروا ينفثون غضبهم على الكهنة والقديسين برميهم في الحقول حتى تظطر، وكان عقاب بعضهم نزع ملابسهم والسخرية من قدراتهم ودعواتهم التي فشلت في هطل الأمطار!

سنة ١٨٣٠

ظهر دجال في أمريكا أعلن أنه ابن الله منقذ البشرية، وأنه ظهر ليدعو الناس إلى القيام بواجباتهم، وإن لم يقوموا فستكون له إشارة بداية انهيار العالم، ولاقت دعوته رواجاً بين الناس ولهذا السبب أتى إليه أحد أبناء بلدة ألمانية يطلبه أن يأتي ويدعو للقرية باللغة الألمانية لأنهم لا يتحدثون الانجليزية... وعند

اعتذر لعدم معرفته بالألمانية، تساءل الرجل: ما هذا الإله الذي يرسل من لا يعرف الألمانية..! وانتهت قصته بالسخرية منه... والسخرية هي السلاح الأقوى لدحر كل خرافة!

تقليد صيني درجة أولى... ساعات

رولكس... نظارات ريبان... عصا موسى... درع

داوود... مسباح القديس بطرس... عمامة

هارون الرشيد...



في سنة ٣١م سمع الملك الأبجر -الأعرج- المصاب بعدة أمراض، بالمسيح وآياته ومعجزاته، فبعث إليه من الرها بوفد برئاسة حنانيا المصور للذهاب إلى المسيح ودعوته إلى القدوم إلى الرها، ليعيش فيها مطمئناً ويشفيه بكلمته.

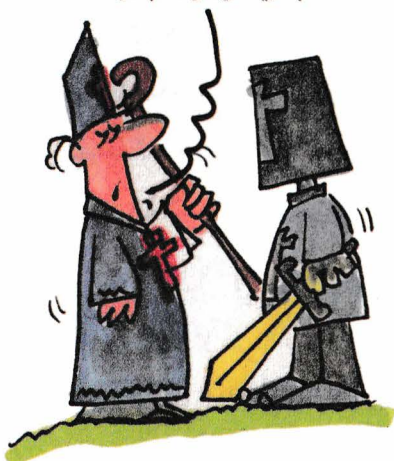
وصلوا إلى أورشليم وسلموا المسيح الرسالة، فكتب له: «طوبى يا من آمنتم بي دون أن تראني»، ثم اعتذر عن الذهاب وأرسل أحد حواريه معهم، وعندها رأى المسيح أن حنانيا يرسمه، فقام المسيح وغسل وجهه، ثم أخذ المنديل ومسح به وجهه.. فطبعت صورته على المنديل، وأعطاهما لحنانيا... ثم عادوا إلى مدينة الرها المباركة وشفى الملك بفضل المنديل -وهناك تفاصيل كثيرة حول كرامات هذا المنديل- وبعد قيامة المسيح دخل المدينة أحد المبشرين الـ ٧٢ للمسيح^(٩٢) لتصبح إحدى أهم مراكز الدعوة للمسيحية!

وفي سنة (٩٤٢م-٣٣١هـ) وبينما كانت الرها تحت الإدارة الإسلامية للدولة العباسية، طالب ملك القسطنطينية بالمنديل ليحضره إلى عاصمة الدولة البيزنطية، وقد تم رفض طلبه، وعندها جهز جيشاً وهجم على ديار بكر، واستولى عليها وأسر مئات المسلمين ثم طالب بالمنديل، الذي سيشفيه من أمراضه مقابل الأسرى!

عندها اجتمع الخليفة العباسي مع أهل المشورة، وكان منهم من اعترض بمبرر أن المسلمين أولى بعيسى من أتباع عيسى، ولكن

استقر الرأي في النهاية بأن دماء وحرية المسلمين أولى من المنديل،
فتم تبادل مئات الأسرى مقابل منديل^(٩٣).

انت الآن ممثل للرحمة الإلهية...
إذهب بحفظ الرب.. وخلص
البشرية من هؤلاء البشر!



وما بين الحقائق والأساطير في
التاريخ خيط رفيع، ولا يهمني هنا
عقائد الناس، بل ما يهمني طريقة
التفكير والممارسة التي تنتج من
هذه العقائد، نعم العقائد لا علاقة
لها بالمنطق والمعرفة، ولكن لا يجب
أن تكون لا منطقية ولا أخلاقية في
نفس الوقت، ولا أن يقتل ويؤسر
المئات من أجل الإيمان بأن هناك
منديلاً عليه صورة المسيح ستشفي
الناس!

سنة ٦٦٦

«وهنا لا بد من الحكمة: فمن كان ذكياً فليحسب عدد اسم
الوحش، هو عدد اسم إنسان وعدده ست مئة وستة وستون»^(٩٤)
إذن عام ١٦٦٦ ستكون سنة شيطانية، فتكرار الرقم ستة يشير إلى
الشيطان، وبها إشارات في الكتاب المقدس، ولعله تنبيه بظهور
الدجال، أو المخلص، فظهر «شبتاي ليفي» في تركيا، وسار خلفه
اليهود مصدقين بأنه المخلص، وباع من باع ما يملك متجهاً إلى

هذا الشخص، وخرج المارينوس -اليهود الذين تحفوا بالمسيحية في إسبانيا مع محاكم التفتيش- من هناك متجهين إلى هذا المخلص... الذي في النهاية تم اعتقاله من قبل السلطات العثمانية وصار مسلماً، ويقال إنه أخفى يهوديته هو وأتباعه طلباً للأمان!

وفي تلك السنة احترقت لندن، بسبب فرن خباز، ولكن الناس اتهموا ساعاتياً كاثوليكياً، فتم إعدامه، واعتبره البعض غضباً إلهياً بسبب شراة أهل لندن، وبعضهم قال إن الحريق هي من العلامات على نهاية العالم وفقاً لسنة ١٦٦٦!

ومن قبل في عام ١٠٠٠، كانت شعوب أوروبا تتهاى لنهاية العالم، فباع الناس أملاكهم وسافروا إلى القدس، والبعض تفرغ للصلاة فقط استعداداً للقيامة، وآخرون تبرعوا بما يملكون للفقراء والكنيسة لنيل المغفرة لأن أشراط الساعة ظهرت، ففي سنة ١٠٠٠ سيقوم المسيح الدجال وتقوم القيامة، وانتهت سنة ١٠٠٠ من دون حادثة تذكر!

سنة ٩٩٩

كانت أديار وكنائس أوروبا، تعاني من مشكلة الوقت والأذان، وكان على الرهبان أداء ثمان صلوات يومية في الليل والنهار، وبمواقيت محددة، وبقراءة مزامير محددة، وتكمن مشكلتهم في



كيفية تحديد الوقت، فقد استخدمت بعض الأديار شموعًا بحجم معين لمعرفة الوقت، واستخدمت أخرى ساعات مائية بدائية، وأخرى استخدمت «مؤذنين» همهم قراءة المزامير في الليل، ووفقًا لقراءتهم لجزء معين من المزامير يبدأ في الأذان للصلاة، خاصة في الليل عندما كانت معرفة النجوم وحركتها أمرًا صعبًا على فهمهم، وكثيرًا ما كانوا يختلفون في وقت الصلاة!

في سنة ٩٩٩ تم تعيين البابا سلفستر الثاني وتوصل «البابا» عبر دراساته للكتب العربية في كاتالونيا في تلك الفترة، إلى حل بعض المسائل، منها مواقيت الصلاة في الأديار، وحمل معه «الإسطرلاب» الذي صنعه مسترشدًا باختراعات المسلمين في الأندلس -وهو جهاز لحساب المسافات والمساحات والأبعاد والنجوم والمواقيت- إلى الأديار لتحديد أوقات اليوم والسنة، ولكنه حذر في رسالته من هذا الجهاز والاختراع الشرقي قائلاً في رسالته: «يمكن استخدام الإسطرلاب لإيجاد الوقت الحقيقي من اليوم صيفًا وشتاء... وهي مناسبة جدًا لإقامة الصلوات اليومية، فكم هو سار ولائق أن يسير الجميع بكل وقار في الوقت المحدد يؤمهم إمام واحد... ويؤدون إلى الرب الصلاة بكل انسجام»، ولكنه يحذرهم من الاستخدام المفرط لهذا الاختراع الشرقي القادم من بلاد الكفر قائلاً: «استخدامها العام ترف معرفي!»

إنه اختراع رائع لكن يجب ألا يستخدمه الجميع، ولا يستخدم في كل شيء، ولا بد من وضع ضوابط شرعية والرقابة على

استخدام الإسطرلاب، كان سيد الدير وحده يملك حق استخدام التكنولوجيا خوفاً من الانجراف واللهو في ما لا يرضي الله...

ومع ذلك لم ينجُ البابا من اتهامات معاصريه، فأشاعوا أنه يمارس السحر الأسود، ولديه علوم شيطانية، ومتحالف مع المسيح الدجال خاصة وأنه عيّن في كرسي البابوية سنة ٩٩٩، وأكبر دليل على انحرافه هو إدخاله العلوم والأجهزة الكافرة -متشبهًا بالكفار العرب- إلى دور العبادة!

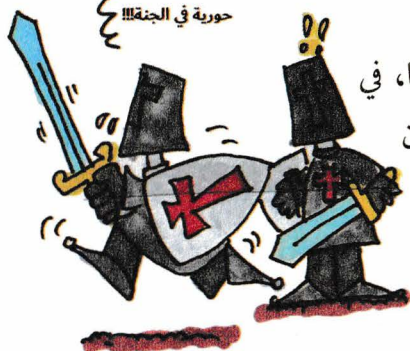
سنة ٥٢٦

ينقل رجل دين مسيحي، ما حدث لأنطاكية سنة ٥٢٦م: «في ليلة هادئة، والناس مستسلمون لنوم لذيذ وعميق... نزل عليهم العقاب الإلهي»، ودمر كل شيء فيها، من بيوت وحانات وأسواق، وخرج الناس من بيوتهم هرباً من هذا العقاب الإلهي، ملتجئين إلى كنيسة القديس بطرس...!

وسبب العقاب الرباني، يختصره رجل الدين، بالفجور والمعاصي، ويصف الوضع بأن: «رجال أنطاكية كرهوا الصوم، وأحبوا المآدب الباذخة... متبعين أولئك الذين عاشوا حياة طيبة وأكلوا مأكلاً طيبة»، المؤرخ المسيحي في العصور الوسطى رأى أن زلزال أنطاكية الكبير، سببه أن رجالها كانوا يحبون الأكل والمآدب، واعتبره سبباً كافياً لهذا العقاب الإلهي، ففي تلك الفترة الاهتمام بملذات الدنيا ومنها الأكل كان يعتبر فسقاً وفجوراً في نظر الكنيسة!

أما السبب الآخر فهن النساء طبعًا، ويشير أيضًا في تحليله لوضعهن: «أما النساء فكن يعربدن بأرديتهن القصيرة الفاضحة، ويتبرجن تبرجًا لا يعرف الحشمة... وكان بعضهن يلبسن أغطية مشغولة بالذهب العربي...» وهذا سبب «علمي ومنطقي» آخر للزلزال، فالله أمر الجبال بأن تزلزل، لأنه لم تعجبه مآدب وملابس أهل أنطاكية!

إلى أروشليم... اما النصر أو
الشهادة.. وأنام في حضن سبعين
حورية في الجنة!!!



١٠٩٥

في مدينة كليرمون بفرنسا، في عام ١٠٩٥، دعا البابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩) الذي وقف في الساحة برفقة الكرادلة والأساقفة، ليعلن شن حملة صليبية لانتزاع الأراضي المقدسة

من الكفار (المسلمين) ويدعو الناس إلى «الجهاد» وحمل الصليب، والانتصار أو الموت شهداء بلا ذنوب، بعد أن ينالوا صك غفران لكل ذنوبهم من الكنيسة!

خطب الباب قائلًا: «يا جنس الإفرنج، أيها الناس... أيها الشعب المحبوب والمختار من الله، وهذا واضح من كثرة أعمالكم المتميزة عن باقي الأمم... وإيمانكم الكاثوليكي... لقد جاءت الأخبار المحزنة من القدس والقسطنطينية، أن أهل فارس -يقصد

السلاجقة- وهو جنس ملعون عدو الله، واجهوا «جيلاً لم يثبت قلبه، ولم تكن روحه ثابتة مع الله»، فغزوا أراضي هؤلاء النصارى ودمروهم بالسيف.

وبعد أن أعلن تنجيس الأرض المقدسة أكمل يصف الفظائع: «لقد اغتصبوا، وحرقوا، واتخذوا بعض المسيحيين عبيداً لهم، والبعض الآخر أعدم. هدموا الكنائس أو حولوها إلى مساجد، دنسوا وهجموا على المذابح، ختنوا المسيحيين، ومنهم من قتل بطريقة فظيعة وذلك عن طريق شق البطن وإخراج جزء من الأحشاء وربطها بالبطن، ثم يقومون بضربهم وإجبارهم على المشي حتى يتم إخراج أحشائهم بالكامل، والبعض استخدموهم كأهداف لسهامهم. وأجبروا البعض على مد أعناقهم ثم قطعت رؤوسهم بضربة سيف واحدة».

ومع الحزن والتأثر البادي على الناس أكمل خطابه التحريضي: «إن من واجبنا الانتقام واستعادة تلك الأرض إذًا؟... لأن الرب قد أعطاكم الروح العسكرية أكثر من سائر الأمم، أعطاكم الشجاعة والأجسام الرشيقة لضرب من يقاومكم، (دعوا عقولكم) وتشجعوا كشجاعة آبائكم العظام»..

وبعد أن أمرهم بترك عقولهم جانباً لأنه لا وقت للعقل في ظل هذا الظلم، أكمل البابا:

يجب أن نذهب إلى القبر المقدس لربنا ومخلصنا، الذي تسكنه الآن شعوب نجسة... يا أشجع الفرسان، أحفاد الأجداد الذين لم

يُقهروا، لا تكونوا أضعف منهم وتذكروا شجاعتهم. إذا أعاقك حبك لأطفالك، أو الأقارب أو الزوجات، تذكروا ما يقوله الرب في الإنجيل: «من يحب أبًا أو أمًّا أكثر مني لا يستحقني»^(٩٥) «وكل من ترك بيوتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًّا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية»^(٩٦) «اتركوا الكراهية وأنهوا خصوماتكم، وأنهوا حروبكم الأهلية، وأوقفوا كل خلافاتكم. وانطلقوا على الطريق إلى القبر المقدس، تلك الأرض التي، كما يقول الكتاب، تفيض لبنًا وعسلًا، أعطاه الله للبشر أبناء إسرائيل. القدس هي أفضل البلاد، وأكثرها ثمارًا من غيرها... هذه الأرض التي جعلها مخلصنا مشهورة بميلاده، جميلة بحياته ومقدسة بمعاناته... لقد افتداه بموته ومجدها... هذه المدينة الملكية أصبحت أسيرة الآن من قبل أعدائها، وأصبحت

وثنية من قبل الذين لا يعرفون الله. إنها تطلب وتشتاق إلى التحرر ولا تكف عن التوسل إليكم لمساعدتها».

بعدها قدم صك الغفران الشامل لكل الخطايا والذنوب لمن يذهب للقتال: «احصل على مغفرة خطاياك وتيقن من مجد ملكوت الرب الذي لا يفنى».



وعندما أكثر البابا أوربان، من بيان ظلم المسيح وأتباعه على يد الكفار، والحاجة إلى تحرير الأرض المقدسة اندفع الحاضرون ليصرخوا بصوت واحد: «إنها مشيئة الله، إنها مشيئة الله».

فلما سمع البابا ذلك رفع عينيه إلى السماء وشكر الله، فأمر بالصمت بإشارة بيده وقال: «يا إخوتي الأعزاء، اليوم هناك يتم فيكم ما قاله الرب في الإنجيل: حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة معًا باسمي، هناك أنا في الوسط»^(٩٧) لأنه لو لا أن الرب الإله في أذهانكم لما قلتم هذه العبارة، لذلك أقول لكم إن الله الذي وضع هذه الكلمات في قلوبكم، وجعلكم تنطقون بها، فلتكن هذه الكلمات هي صرخة معركتكم... عندما تقابلون العدو في المعركة، سوف تصرخون جميعًا: «إنها مشيئة الله، إنها مشيئة الله». ونحن لا نأمر كبار السن أو الضعفاء بالذهاب، أو أولئك الذين لا يستطيعون حمل السلاح - فهم معذورون - أما للبقية فقال: إنه أمر الرب: «من لا يحمل صليبه ويتبعني، لا يستحقني!»^(٩٨)

فارتفعت الدعوات لتحرير الأرض المقدسة، وبين من تلقفوا دعوات البابا، رجل قصير وديميم، يعرف باسم «بطرس الراهب»، كان يسير في القرى والمدن يدعو الناس إلى الحرب المقدسة، وتنفيذ مشيئة الله التي تبارك السير إلى الحرب، وترك الأبناء والأهل والحقول والتجارة... في سبيل «الجهاد»!

سار «بطرس الراهب» وسار خلفه آلاف المؤمنين الصالحين، الذين يرجون المغفرة والثواب، وآلاف اللصوص القتلة

والأفاقيين الذين يريدون التكفير عن ذنوبهم، بالإضافة إلى حلم
النهب والسرقة... كان «الراهب» يركب بغلة بيضاء متجهًا إلى
القدس، وخلفه الأتباع ينتفون بعضًا من شعرات بغلته، محتفظين
بها للبركة!



بعد ألف عام قد تتحول رموز " البلي ستيشن " الى
رموز مقدسة، يرفض المساس بها!

قطعوا أوروبا متجهين إلى الشرق، وفي طريقهم نهبوا وأحرقوا
القرى والمدن التي لم تستجب لنداء الرب، بالإضافة إلى قتل آلاف
اليهود في أوروبا، فقد قيل لهم: «إنه شوهد في ليلة هادئة تجمع الأنوار
في السماء بعضها مع بعض، ثم انطلقت إلى الشرق»، وهي إشارة إلى
مشيئة الله التي تقتضي الانطلاق إلى الشرق وتحرير القدس من دنس
الكافرين! وقيل أيضًا: «إن إوزة تلبستها روح القدس، فكانت
تحدث وتتكلم وتطير متجهة إلى الشرق»، وتحدثوا عن العنزة
المقدسة التي تشفي الناس، وترشدهم إلى طريق تحرير القدس،
وكثرت الخرافات والقصص الغريبة والكرامات والعلامات،

التي تبشر كلها بالزحف نحو الشرق وتحريره.. وانتهت رحلتهم
العشوائية إلى الدمار!

ثم بدأت الحملة المنظمة مع أخبار تزعم أن المسلمين يعبدون
أصنامًا للنبي محمد، مع إغراءات بأن هناك الغايات السمر ينتظرون
أن يأخذهم الرجال البواسل.. فدخل المؤمنون بالصليب القدس
وقطعوا رؤوس الرجال، ورموهم من فوق الأبراج، ورموا
الأطفال من فوق الأسوار وذبح سبعون ألف مسلم، أما اليهود
فقد تم جمعهم في الكنيس وأحرقوهم هناك... ثم تعانق المقاتلون
في كنيسة الضريح المقدس يحمدون الرب على ما نالوه من شرف
الانتصار من أجل المسيح!

أما في الحملة الصليبية الثانية... فبعد أن خسر الصليبيون
الحرب، ارتاع الناس، حول كيف يمكن أن يخسر جيش الرب
والمدافعين عن دينهم ويذلون إذلاً عظيماً؟ كيف رضي الله بذلك؟
وشرعوا يهاجمون القديس برنار^(٩٩) الذي دعا إلى هذه الحرب، وبدؤوا
يشكون في القواعد الأساسية للدين المسيحي، إلا أن القديس برنار
قال: إن عقول البشر لا تدرك أساليب الرب وحكمته، ولعل هزيمة
الجيوش الصليبية كان عقاباً لهم على ما ارتكبوا من ذنوب.

سنة ١٢١٢

مع فشل الحملات الصليبية والتشكيك من قبل الناس في
مصادقية الدين، وانتشار فكرة أنه لا يمكن استرداد القدس إلا من

خلال التطهر والتجرد من الذنوب، ظهر في عام ١٢١٢ شاب اسمه «نيقولاس» لا يُعرف من هو ولا ماضيه، مدعيًا أن الله أمره أن يقود إلى الأرض المقدسة حملة صليبية من الأطفال -كونهم بلا خطايا- وعارضه رجال الدين ولكن الفكرة انتشرت وزحف الأطفال من كل أرجاء ألمانيا وخاصة من كولونيا إلى الساحل الإيطالي فمات من مات، ومنهم من وصل إلى ساحل جنوة ولم يحصلوا على سفن تقلهم، فعاد بعضهم واستقر البقية في جنوة.

وفي نفس العام ادعى «ستيفن» راعي الأغنام في فرنسا أن المسيح ظهر له وهو يرعى الغنم، وأمره أن يقود حملة إلى فلسطين، واتجه عشرون ألفًا من الأطفال إلى مرسيليا بعد أن وعدهم ستيفن بأن البحر سينشق لهم... وصلوا مارسيليا ووجدوا سبعة سفن تقلهم مجاءًا إلى فلسطين، ركبوا السفن مهللين منشدين أناشيد النصر، في الطريق أصابتهم عاصفة فغرقت سفينتان، والبقية اتجهوا بهم إلى تونس ومصر وتم بيعهم في أسواق الرقيق!

٥٠٠

في سنة ٥٠٠ للهجرة، تداول الناس في الأندلس حديثًا وخبرًا، وهو أن يهود المدينة أقسموا للرسول، إنه بعد خمس مئة عام من دعوة الإسلام، إن لم يظهر مسيحيهم المخلص فسيعلنون إسلامهم، ولهذا تمت ملاحقتهم في المدن والقرى من أجل تحويل عقيدتهم، وأمام هذه الورطة لم ينجحهم من تحويل عقديتهم إلا دفعهم الأموال...!

في منتصف القرن العشرين بدأت تظهر قصص الأطباق الطائرة وأسطورة مثلث برمودا، وهي منطقة في المحيط الأطلسي تختفي فيها السفن والطائرات بطريقة غريبة ومبهمه، وبين كل فترة وأخرى تشاهد الأطباق الطائرة تحوم فوق سماء الولايات المتحدة، وادعى كثيرون أنه تم اختطافهم من قبل الكائنات ثم أعادوهم إلى الأرض، وما زال كثيرون يؤمنون بأن الفضائيين قاموا ببناء عشرات المباني الضخمة والغريبة على الأرض مثل أهرمات مصر والمكسيك!

في إيران ومع الثورة الشعبية ضد شاه إيران بقيادة الزعيم الديني آية الله الخميني، ادعى الناس أنهم شاهدوا صورة الخميني على القمر، وأنها دلالة واضحة على التأييد الإلهي للثورة، فازدحمت أسطح البيوت بالناس بحثاً عن صورته، ولم يره سوى من يحمل في قلبه إيماناً قوياً وراسخاً!

في فترة الثمانينيات من القرن العشرين ومع نشوب الحرب الأهلية في أفغانستان ودخول الاتحاد السوفيتي في الحرب، ظهرت عشرات الكتب من نوع «آيات الرحمن في جهاد الأفغان» وكلها

تحدث عن الملائكة الحافظين، والكرامات والمعجزات التي كانت تلازم المجاهدين في جهادهم ضد الكفار الشيوعيين، وصدقها كثيرون من الشباب العربي، الذين تخلوا عن أحلامهم متوجهين إلى الجهاد تحت حفظ الرحمن إلى بلاد الأفغان... ولم يعودوا.

تطفئها

اختصرت هذه المقدمة ففي جعبة التاريخ كثير من هذه الخرافات والأساطير من كل أنحاء العالم، إنه تاريخ مليء بالهراء، وقد كانت الفلسفة المنقذة من الضلال للبشرية، وكان محققاً فولتير عندما قال: «الخرافات تشعل العالم، والفلسفة تطفئها»، فما أكثر البشر الذين يقتلون ويقتلون يومياً إلى الآن بسبب الخرافات والأوهام وتزييف الحقائق، ولعل أبا بكر الرازي كان محققاً عندما قال: «لولا ما انعقد من أسباب الديانات لسقطت المجاذبات والمحاربات والبلايا»، لقد رأى في استغلال الأديان السبب الرئيسي للحروب والقتال بين الناس، وأنه لولا هذا لعاش أغلب الناس في سلام.

ولنكن صادقين مع أنفسنا، فما تم ذكره ليس مجرد ماضٍ وانتهى، فما زلنا نفكر بنفس الطريقة وإن اختلفت الصور والأشكال... فالوعي الإنساني ما زال يعيش في نفس الدائرة، ومساحات جهلنا ما زالت شاسعة بحجم الصحراء الكبرى، وما تفعله البشرية الآن ليس سوى «إعادة تدوير» الحماقات والخرافات القديمة بطريقة حديثة.

الفصل الثالث

أهمية الفلسفة



من الحماسة أن تحمل مصباحًا في النهار
لينير دربك، ولكن لـ«ديوجين الكلبى» رأى
آخر، فقد كان يسير مصاحبًا كلبه ويحمل
مصباحًا في النهار ويردد: «إني أبحث عن
رجل نزيه»، لأنه كان يرى الجهل والكذب
والنفاق صفات متفشية في مجتمع أثينا،

فهؤلاء القوم في حاجة إلى قنديل في النهار حتى يروا أمامهم بدلًا
من العيش في ظلمة الجهل والخرافات والأوهام، فلا فائدة من
شمس مشرقة تنير طريقك، وعقلك ليلٌ بلا قمر!

طوال سنوات تعليمي الفلسفة، كان السؤال التقليدي الذي
يسأله الطالب هو «ما الفائدة من الفلسفة؟» وكنت أجيب من باب
التهكم - على السؤال وليس الطالب - قائلاً: الفائدة الأولى أنها باب
لرزقي، فأنا أستلم راتبي كل شهر بسبب الفلسفة، هذا إذا كنتم
تقصدون الاستفادة المادية، أما الثانية، فإذا كنت يا ولدي الطالب

قد استفدت من دراسة قوانين المثلثات، وحقول الفحم في الصين، والجبال البركانية في إندونيسيا، وقواعد النحو خلال الاثني عشر سنة الفائتة، فإنك بلا شك ستستفيد من الفلسفة، والفائدة الثالثة هي أنك لا تدري بعد سنوات عندما تقرر الزواج، أو التقدم إلى عمل ما، أو طلبت تأشيرة دخول لدولة ما.. قد تواجه بأسئلة عن كهف أفلاطون، وديالكتيك هيغل، وأصنام بيكون... وستكون في موقف محرج إن لم تجاوب.. تخيل لن تتزوج حبيبك لأنك لا تعرف الشك الديكارتي؟!!

لن يفيدك القارب بالصحراء...ولا الجمل في

الفضاء...ولا الفلسفة ان ستستخدمها

كسلاح للدفاع عن خرافاتك!



بعيداً عن «الغشمة» كنت أنتقل إلى إجابة أكثر جدية قائلاً لهم:

لا فائدة من بناء كنيسة في مكة!

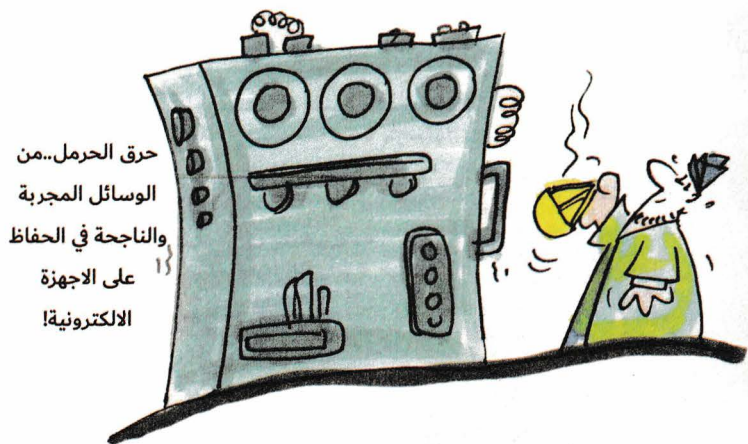
ولا فائدة من افتتاح صيدلية في قرية المشعوذين!

ولا فائدة من محطة بنزين في قرية للـ«الأميش»!

ولا فائدة من محل لأدوات الترحلق على الثلوج في الصحراء!

ولا فائدة من تعليم الفلسفة في مجتمع يعتقد بأن الأب، والمعلم، والخطيب، والمذيع، والوزير، والرئيس، والدولة دائماً على حق، ولا يمكن أن نتناقش في مسلمات ثابتة نؤمن بها منذ القدم!

ليس لأن الفلسفة أو الصيدلة غير مفيدة ولكن لأن المجتمع لا يشعر بالحاجة إليها وهذه هي المشكلة، الشعور بالحاجة إلى الفلسفة أو التفكير النقدي الحر في هذا العالم في حد ذاته معضلة تحتاج إلى عمل دؤوب، فمن السهولة نشر الجهل خلال سنة واحدة، أما إعادة بناء وترميم العقل فيحتاج إلى أجيال متعاقبة!



ولهذا كنت حريصاً على الدوام وأنا أعلم الفلسفة على أن يشعر الطالب بأهمية الفلسفة في حياته... وأن يمارس التفكير النقدي باستمرار أمام أي خبر أو معلومة أو نص تراثي... كنت أفشل كثيراً وأنجح قليلاً، ورغم نجاحي المتواضع فإني كنت أستمّر في المحاولة!

١. يرشدك التفكير بطريقة منطقية

عندما تكون هناك حفرة كبيرة بالقرب من القرية، يسقط فيها الأطفال، فمن المنطقي أن تردم الحفرة، ومن غير المنطقي أن يقرر أهالي القرية نقل قريتهم إلى مكان آخر!

عندما تركن سيارتك وتنزل لحاجة ما ثم تشاهد سيارتك تبتعد وقد سرقت، فمن المنطقي أن تتصل بالشرطة وتبلغهم، ومن غير المنطقي أن تأخذ قلمًا وتسجل رقم سيارتك!

عندما تعاني من الحر في الصيف وتشاهد شجرة بالقرب منك، فمن المنطقي أن تذهب وتستظل بالشجرة، لا أن تقف في انتظار أن تتحرك الشجرة أو تنتظر وصول ظلها إليك!

عندما يبتلع أخوك الصغير مفتاح البيت، فمن المنطقي أن تذهب به إلى الطبيب، ومن غير المنطقي أن تدخل البيت من الشباك!

من المنطقي والطبيعي أن تكلم نفسك أمام المرأة، ومن غير المنطقي أن تسمع الرد من المرأة!

إن أصابك المرض فمن المنطقي أن تذهب إلى الطبيب ليعالجك، تتناول الأدوية والعلاجات، أما غير المنطقي فهو أن تذهب إلى مشعوذ ييصق في إناء الماء، ويرقيك بسبعة رقيات، وينصحك

بالاغتسال بماء غسل به ميت، وعندها ستشفى بعد سبعة أيام. أو تذهب إلى ما يسمونهم بجماعة الطاقة فيقولون لك من أجل شفائك من مرضك عليك أن تقف أمام البحر وترفع يدك إلى أعلى بطريقة متوازية مع الأفق ثم تردد: أنا لست مريضاً، ترددها عشر مرات وستصبح في حالة جيدة!

أن علّقت على شجرة ما بعض الأموال، ثم ادّعت أنها ستثمر دولارات، أو علقت عليها هواتف وزعمت أنها ستنتج سنوياً ألف جهاز، لن يصدقك أحد إلا من فقد المنطق، ولكن مع ذلك هناك من يؤمن بأن هذه الشجرة قادرة على شفاء الناس، وفي إمكانها حل المشاكل الاجتماعية أيضاً، من خلال ربط بعض التعويذات عليها، التفكير المنطقي يقول بأن الشجرة نبات ينتج الثمار لأنها الشجرة جوهرها نبات، وليس مستشفى ولا بنكاً!

وعندما تسمع أصواتاً غريبة في جدران بيتك فإنك لا تحضر عندها كاهناً يحمل الصليب كما في الأفلام الأمريكية، ولا شيخ دين كما في أفلامنا الحياتية وتطلب منه أن يقرأ ويمسح بيده الجدران ويرشها بالماء المقري، بل كل ما تفعله أن تحضر فني أدوات صحية لعل هناك خيراً أو خللاً في التمديدات! وعندما تريد إقامة مشروع تجاري فالمنطقي أن تقوم بدراسة جدوى تبحث فيها حاجة السوق ورأس المال وغيرها ذات العلاقة، ومن غير المنطقي أن تذهب إلى عراف لتعرف هل يتوافق طالع النجوم والمشروع، أو تذهب إلى شيخ يستخير لك من خلال مسبحته الجدوى الاقتصادية للمشروع!

فلسفتي في
الحياة.. انه ما تكون
عندي فلسفة في
الحياة!!



الفلسفة والتفكير النقدي يساعدان الإنسان على تخطي هذه التصورات غير المنطقية، فيحل مشاكله بطريقة أكثر منطقية، ويبحث عن علاج حقيقي لأمرضه وأزماته بدلاً من البحث عن علاجات وهمية، أن تفكر بطريقة منطقية تعني أن تتدرج من المقدمات لتصل إلى النتائج بطريقة «متسقة» من دون تناقض، والاتساق يذكرنا بقصة من التراث العربي، تُروى عن الأصمعي والأعرابي -الأعرابي الجاهل الفطن دائماً موجود في كل القصص- فقد قرأ الأصمعي الآية «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله، والله غفور رحيم»، عندها اعترض الأعرابي قائلاً إنه ليس كلام الله، ف قيل له هل أنت من حفظة القرآن؟ فرد بأنه ليس من حفظته ولم يسمع بالآية من قبل، وعند المراجعة تبين أن نهاية الآية «والله عزيز

حكيم»، فقليل له كيف عرفت، فقال: «عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع»، الأعرابي حدد المسار المنطقي للآيات، واكتشف أنها غير «متسقة»، لأن النتيجة لا تتواءم ومقدمة الآيات، والتفكير المنطقي يجعلك تحكم على الأخبار والآراء والأفكار حتى لو لم تسمع بها من قبل أو تجربها.

التفكير غير المنطقي لا يخضع لقوانين، وليس خاصًا بشعب دون آخر، ولا دين دون آخر، ولا طبقة دون أخرى، ولا بزمان دون آخر.. فهو موجود ومتداول ويتعايش معه الإنسان، مشكلته عندما يتحول إلى حالة مُرضية للنفس الإنسانية تريجه إلى حالة مَرَضِيَّة توصله إلى الفشل، ويصبح عرضة للخداع، ويصبح حالنا مثل حال الأمريكي وصديقه الصيني عندما ذهبا إلى المقابر، وكان الصيني يحمل معه طبقًا من الأرز وضعه على قبر زوجته، والأمريكي وضع إكليلاً من الورد على قبر أمه، عندها التفت الأمريكي إلى الصيني ساخرًا، متى ستخرج زوجتك لتأكل الأرز؟ فرد الصيني قائلاً: عندما تخرج أمك لشم الورد، فالأولى بمن يحاول أن يكون عقلياً منطقياً أن يبدأ بنفسه قبل أن يسخر من لا منطقية الآخرين!

فأول خطوة في الفلسفة أن تكون منطقياً وتتساءل مثل سقراط: لماذا الحجارة التي أركلها بقدمي، عندما أنحتها وأجعل منها تماثيل تصبح مقدسة وعليّ احترامها!؟

٢. تدريبك على الجدل بعقلانية

سقراط أشهر الفلاسفة اليونان، لم يكتب كتابًا واحدًا، بل كان الجدل منهجه للوصول إلى الحقيقة، كان يعيش كفيلسوف بدلًا من أن يكتب كفيلسوف، كان يُشتم ويضرب في السوق ولكنه كان مصرًّا على نقاش العامة من الناس، متسلحًا بالعقل النقدي، العقل الواعي المنفتح على كل الإجابات، هذه الحروب النقاشية جعلته فيلسوفًا متمرسًا يناقش وينقض آراء الناس، وينتصر في معاركه لأنه يستخدم العقل لا اللسان واليد!

يسأل أحدهم:

- هل تعتقد أن الآلهة تعرف كل شيء؟

- نعم لأنها آلهة.

- هل تختلف

وتتصارع بعض
الآلهة؟

- نعم إن الآلهة

دائمة الصراع
والاختلاف.

- إذن الآلهة تختلف

حول ما هو

صائب وحقيقي؟

قتلته..لأنه اتهمني بأني أروج
للعنف والكراهية



لازم تفعل الخير، لأن الشرير

بعد موته تنتقل روحه الى

كائن أدنى..يمكن تنتقل إلى

دودة، أو سمكة، أو محامي

أو مقاول أو رئيس أميركي

- نعم أعتقد ذلك.

- إذن هذا يعني أن بعضهم قد يكون على

خطأ لأن الآخر على حق!

- نعم صحيح.

- إذن هذا يعني أن الآلهة

لا تعرف كل شيء!

وفي محادثة أخرى يسأل

سقراط «بروتاغوراس»:

- هل الخير في الاعتدال؟

- نعم.

- وهل الحكمة تعني الاعتدال في كل شيء؟

- نعم.

- وهل الاعتدال بالظلم يعتبر حكمة؟!

هكذا كان يسير ويجادل، وينقض الأفكار، ويستخرج الأفكار

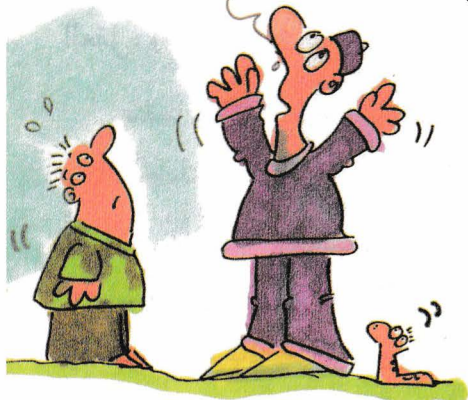
من يناقشه، والفلسفة تقوم بنفس الدور حيث تجعلك تناقش كل

الأفكار، لا وجود لمسلّمات لا تقبل النقاش، لا وجود لرأي غير

قابل للرد، ولا وجود لشخص مهما كان صاحب علم ومعرفة أن

يملك الحقيقة الكاملة، من يملك عقلاً نقدياً يملك معه لساناً وقلماً

نقدياً، وعند الحديث عن الجدل لا يقصد بذلك الذي يستخدم

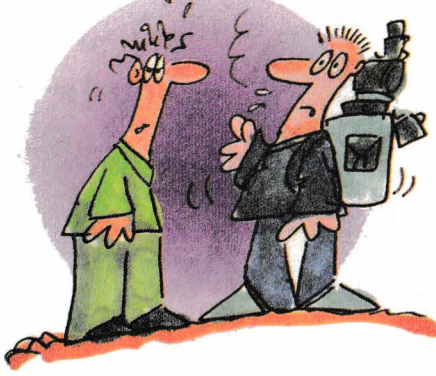


الأدوات المزيفة للنقاش، كأن يهاجم الشخص بدلاً من الرأي، أو يزيّف الحقائق، أو يحوّر الكلمات، بل الفلسفة والجدل الفلسفي يبدأ بمقدمات منطقية وجدل يرتبط من خلالها أولاً بالمنطق وقوانين العقل، ومن ثم بالمعرفة الإنسانية والتجربة.

عندما يقول سياسي إن هدي في حماية وخدمة الوطن وأمنه فلا بد أن تجادله وتساءله: وكيف ستخدمه؟ وإن ادعى القائد للحرب أنه لا بد أن تجادل مثل برتراند راسل، مع دخول بلده إنجلترا أتون الحرب العالمية الأولى، كتب «راسل» إلى صحيفة الغارديان وتساءل ردّاً على أحد دعاة الحرب بمبرر انقاذ الجنس البشري، قائلاً: «ويبدو لي أنه عندما كتب عبارة «الجنس البشري» كان في ذهنه فقط الحلفاء، لكن أليس الألمان أيضاً من ضمن الجنس البشري. ثم يعترض على السلطة التي تسجن الناس لحمايتهم «أليس من المثير للسخرية أن نتحدث عن حماية القانون للناس الذين حرّمهم هذا القانون من وسائل كسب العيش وأغلق عليهم السجون طوال فترة الحرب، مع فرص ضئيلة قصيرة لمحاكمات عسكرية؟!»^(١٠٠)

وسجن «راسل» بسبب موقفه هذا، لا بأس، وحتى وأنت في السجن عليك أن تجادل حول الحرية وحقوق السجين، وأذكر أنني جادلت ضابط السجن مرة حول بعض الحقوق ولم يرد عليّ بل اكتفى بنظرة واحدة، وعرفت أن الحق معه حتى لو كان معي، مثلاً حصل مع وكيل النيابة الذي هددني بالسجن بعد أن جادلته في أسئلته!

في رحلتي الاخيرة الى اليابان شفت شي
غريب .. هناك الشارع طوله خمسة
امتار وعرضه عشرين كيلو متر...!



التفكير النقدي والجدلي ليس صعباً كما تتصور، هو تعود،
أن تنظر بطريقة مختلفة إلى كل شيء، إلى المقال الذي تقرأه، إلى
الخطبة التي تنصت إليها، إلى الرواية التي تقرأها، إلى الأغنية التي
تسمعها، إلى الفيلم الذي تشاهده، إلى البيئة التي تحيط بك، هذا
التفكير النقدي سيكون ملازمك، ولكنني أحذرك، سيكون متعباً
لك ولمن حولك، ولكن لها ميزتها الخاصة والمهمة، إنه لن يسهل
خداعك بالكلمات البراقة، ولا الخطب الرنانة!

الفكر الفلسفي يجعلك حرّاً تفكر وتجادل، بدلاً من أن تكون
أداة استقبال فقط لكل ما يقوله السياسيون، أو بائعو الأوهام، أو
الإعلاميون أو الأحزاب السياسية والتوجهات الفكرية، فأهمية
الفلسفة تكمن في أن تجادل وتساءل وتساءل مثل محقق ماهر حتى
تصل إلى الحقيقة!

لا قرأت أنه ممنوع السباحة...ولا لبست سترة
النجاة...ولا حتى ملابس البحر...ولا تعرف
السباحة... ولا معاك أحد... والمطلوب مني
أنا إلي مالي علاقة فيك أن اتحمل مسؤولية
انقاذك...؟!



٣. تمهد لك الطريق

إنها الطريق للوصول إلى الحقائق
عبر التساؤلات، حول الإنسان،
والكون، والله.. حول واقعنا وما
وراء هذا الواقع،
حول حياتنا التي
نعيشها وحياتنا التي
ينبغي أن نعيشها، حول

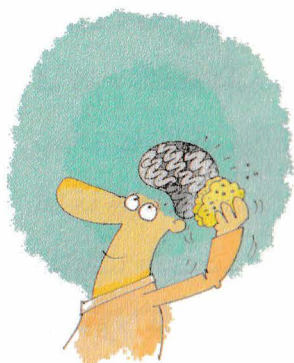
إيماننا ومعتقداتنا، حول بدايات العالم ونهاياته،

حول الزمان والمكان والكلمات التي نرددها، حول كل شيء...
في الفلسفة تشعب نهمك وفضولك عبر التساؤلات والإجابات،
الفلسفة في نهاية الأمر لا توصلك إلى جزيرة كنز المعلومات، ولن
تصبح الأعلم بين الناس، ولكن الفلسفة تكشف لك ولنا مدى
جهلنا، وهذا الإدراك بالجهل هو وقودنا للاستمرار في البحث
ل للوصول إلى الحقيقة!

٤. تعلمك السباحة

يقال إن نحوياً ركب السفينة للسفر مع بقية الناس، وسأل
الربان هل تعرف النحو؟ هل تعرف قواعد اللغة؟ وبدأ في عرض
عضلاته اللغوية على الربان المسكين، وفي النهاية قال له: عدم
معرفتك باللغة أضاع عليك نصف عمرك... وبالفعل حزن الربان

على فقدانه هذه النعمة... إلى أن أتت عاصفة وقلبت السفينة،
وعندها سأل الربان الرجل النحوي هل تعرف السباحة؟ قال: لا!
فقال له: لقد أضعت كل عمرك!



لو كنت في البحر وغير قادر على
السباحة فلن تفيدك الفلسفة، بل تحتاج إلى
مهارة جسدية، ولكن لو كنت في البر ولا
تعرف الفلسفة فستغرق في بحر الأوهام
والخرافات ولن ينجيك أحد سوى عقلك،
لعله في البحر قد تجد ما ينقذك ومن ينقذك،
ولكن في البر لا ينقذك سوى حسن تفكيرك!

وليس بالضرورة أن تقرأ كل كتب الفلاسفة حتى تكون ممن
يملكون عقلاً منطقيًا، بل يكفي أن تحرر عقلك من القيود التي
قيدت بها طوال عمرك من السجناء الذين يظنون أنهم يحسنون
صنعًا من خلال تقييدك بقيود الثوابت، والتعاليم، والتقاليد،
والعادات، والتراث.

٥. تحريضك على رمي سلة التفاح

غريب هذا الارتباط العاطفي بأفكارنا، بل وربطها بكرامتنا
وهويتنا، واعتبار الخطأ فيما نحمله من أفكار ومعتقدات إهانة
شخصية لنا، ولم يكن مخطئًا «فايمان» عندما قال ساخراً: «المبدأ
الأول، لا تخدع نفسك، أنت أسهل شخص يمكنه خداعك»، نعم

نحن نخدع أنفسنا لألف سبب وسبب، بل نحب ذلك، خاصة عندما يكون الثمن بسيطاً.

ولهذا إذا كنت تملك سلة مليئة بالتفاح، وبها بعض التفاح الفاسد، فكل ما عليك فعله أن ترمي كل ما في السلة وتفرغها، ثم تقوم بانتقاء الجيد من الرديء، هذا ما فعله ديكارت عندما بدأ بإعادة بناء تفكيره، الفلسفة تجعلك تقوم بهذا الفعل، وإن لم تجد تفاحاً جيداً فعليك بالبحث عنه خارج السلة وخارج نطاق بيتك ولغتك، فأنت لست مجبراً على حمل تفاح فاسد لا يمكنك أكله ولا بيعه، ولا عليك الدفاع عن تفاح لا يشتريه أحد!

يقول بارمينيدس في قصيدته التي يتمثل فيها معراجه إلى الآلهة في السماء:

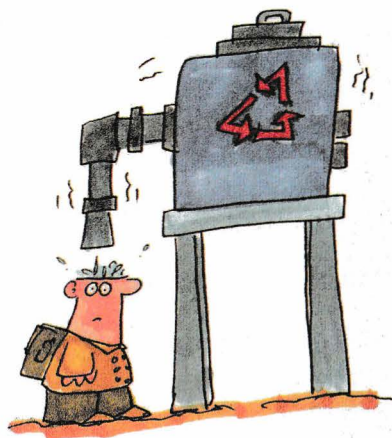
«لا تدع العادة الخبيرة تقودك عنوة في هذا الطريق،

طريق العين التي لا ترى، وطريق الأذن المليئة بالضجيج...

بل احكم بحديث العقل!»

٦. تجعلك تتبع عقلك لا نسبك

وفقاً لمنطق «إننا وجدنا آباءنا» وبالتالي كل ما يقوله الآباء حق، حتى لو كان باطلاً، لأن التمسك بهم يحفظ كيان المجتمع والأسرة والدولة، وأي فكرة غريبة تعني دمار كل شيء راسخ منذ قرون، لهذا يفضل الفرد سلطة الأسرة والآباء على سلطة العقل، إنها أشبه



بسلطة الأب في التراث الصيني - كما يشير هيغل - فعندما يشتكي ابن أباه لأي سبب كان، فإن كان على خطأ يُعدم، وإن كان على حق يجلد الابن! ففي كلا الحالين عليك بقبول سلطة الأب، وتعاليم الأب، وآراء الأب، فطاعة الأب أولى من اتباع الحقيقة... وما تفعله الفلسفة هو أنها تجعلك تحب أباك ولكن تتبع الحقيقة!

٧. تشجعك على شطب اسم المعلم

«قال المعلم» هكذا كان يقول التلميذ الفيثاغوري عندما يحتدم النقاش، ويختلف الطرفان، فبمجرد أن يقول: «قال المعلم» كذا، ويقصد الفيلسوف فيثاغورس، فهذا يعني انتهاء النقاش لأن فيثاغورس قال، وهو دائماً على حق، وبعد قوله لا أحد يقول.

إنها سلطة المعلمين في المدرسة، في الجامعة، في وسائل الإعلام، الذين تسبق أسماءهم ألقاب تبدأ ولا تنتهي، ومعلقة على جدرانهم



شهادات من كل لون وشكل،
وتقرأ أسماءهم على الكتب،
هذا الكرنفال من الشهادات
والصور كفيلة بأن تلمّع آراءهم
رغم تهافتها.

نعم تعودنا منذ الصغر أن المعلم
الذي علمني حرفاً صرت له عبداً،
وهو قول جميل إن تم استخدامه كمجاز
يدل على الاحترام الشخصي، وقبيح إن تم
استخدامه كسلطة تدعي أنها تملك الحقيقة، وعلينا جميعاً أن نصبح
عبيداً للمعلم الذي قال!

فأهمية الفلسفة تكمن في إلغاء «قال المعلم» وقال «المُرشد»
و«قال الرئيس» وقال «القديس» وقال «الولي»، ليقولوا ما يريدون
قوله، هو قال وأنت قلت، في النهاية العقل والتجربة والواقع هو
الذي يحكم بصحة أو خطأ أي شخص، لا اسم الشخص ومنصبه
ومكانته!

٨. تعطيك هوية مواطن عالمي..

كان المواطن اليوناني يعيش وسط الأسوار العالية التي كانت
تحيط بالمدن اليونانية التي تعيش كل منها على حدة، بديموقراطيتها
وطغاتها، مثله مثل الذي يعتبر قريته وطنه، ومن ينظر إلى القبيلة،

والعرق، والدين، والمذهب كاتتماءات... وهذا الانتهاء ينتج منه دفاع وتضحيات في سبيله.

أما الفلاسفة فقد كسروا بمعاولهم الأسوار، وحرقوا بمشاعلهم أعشاش العرق واللون والحدود، وسافروا متواضعين يبحثون عن الحقيقة في أي مكان كان، وعند أي شعب كان، لا يهمهم كثيرًا هذه التصنيفات، فالحقيقة دافعهم، ولهذا يردد ماركوس أوريليوس^(١٠١) القيصر الرواقي: «إننا مجرد نقطة في الفضاء»، و«العالم وطنك، والبشر إخوتك، وخير البلاد ما حملك»، ويعلن ديوجين الكلبي نفسه: «مواطنًا عالميًا»!



أما أناكساغورس^(١٠٢) فقد كان اهتمامه الأول منصبًا على السماء، ينظر إلى الأعلى بدل النظر إلى الناس، ويهتم بالسماء لا

الأرض، بالنجوم والكواكب لا البشر، باحثًا في الأجرام السماوية وحركتها، محاولًا كشف سر الكسوف والخسوف والنيازك، وكل ما يخص الطبيعة عن طريق الملاحظة والبحث، للوصول إلى نتائج عملية بعيدًا عن سطوة آلهة أثينا وقصصهم التي لا تنتهي عن الخلق والظواهر الطبيعية، ولهذا عندما قيل له: لماذا لا تهتم بوطنك قليلًا بدل الاهتمام الشديد بالعلم والمعرفة؟ رد متحديًا: «أنا أهتم بوطني اهتمامًا لا مثيل له»، ثم أشار بيده إلى السماء؛ كانوا يعتبرون العالم «نقطة في الفضاء» ووطنهم كل هذا الكون!

فأول شروط البحث عن الحقيقة ألا تحمل جنسيتك معك، فأنت تنتمي إلى عالم لا متناهي، لا إلى انتماءات ضيقة تحيطها جدران عالية!

٩. تفتح لك الأبواب

في صغري - قبل الفضائيات والإنترنت - كان تليفزيون الكويت يعرض علينا نهار كل عيد فيلم «عنتر وعبله» كفيلم مشوق... ورغم أن الفيلم مكرر وشاهدناه من قبل فإننا نشاهده مرة أخرى ونحن نعلم تفاصيل أحداثه.

فمن الطبيعي في الفن ومعياره الجمالي أن يحفظ الإنسان أغنية ويرددها، أو يردد أبياتًا من الشعر، أو يعيد مشاهدة مسرحية، أو يسمع الموسيقى، المهم أن يسمع ما يحب وما تشتهي ذائقته، وبهذا يشعر بنوع من اللذة والسعادة.

ولكن عندما يكون المعيار هو الحق والباطل، أو الخير والشر، فإنه عندما تقرأ وتسمع ما تحب فإنه أيضًا يجلب لك لذة وسعادة، ولكنها مزيفة، أن تقرأ كتابًا تعرفه مؤيدًا كل ما هو مكتوب فيه، أو تسمع لخطيب وأنت تعرف ماذا سيقول فتلك كارثة عقلية، وهدر للوقت.

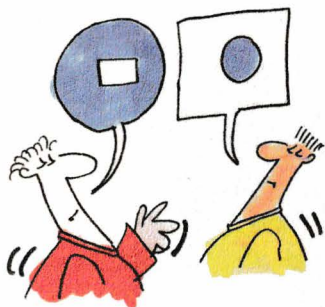


ما الفائدة من قراءة كتاب فيه كل ما أنت به مؤمن مسبقًا، فما حاجتك وأنت مسيحي مؤمن بأن المسيح ابن الرب وبقصص معجزاته، أن تقرأ كتابًا يحاول إثبات معجزاته وقصصه التي أنت مؤمن بها من قبل؟!؟

الفلسفة لا تفتح لك الباب وتجاملك، ولا تعرض «ما يطلبه المشاهدون»، ولا هي برنامج إذاعي يستقبل الاتصالات ليث الأغاني الأكثر شعبية، إنها طريق مخالف، تقرأ ما هو مخالف لأفكارك

وآرائك، تقرأ ما ينقض ما كنت تظنه معرفة، لا يحترم مقدساتك ولا يهتم أساسًا ماذا تقدس وماذا تعتقد وماذا تعرف، فالفيلسوف يطرح رأيه وفقًا لمنهجه لا وفقًا لمشاعرك الرقيقة، فأهميتها أنها تفتح الأبواب التي أغلقتها على نفسك بنفسك.

١٠. تنزع عنك رداء بيزنطة



جدل بيزنطي، مصطلح عربي

ولاتيني يستخدم عادة عندما يكون الحوار في أمور لا معنى لها ولا فائدة،

لقد استمرت هذه الحوارات البيزنطية

لعدة قرون في كنائس الشام ومصر وآسيا، حول هل المسيح الابن من نفس مادة الله؟ وما معنى أن الله والابن وروح القدس ثلاثة والله واحد؟ وهل المسيح واقف أم جالس على يمين الله؟ واستمرت نوعية هذه النقاشات لقرون حتى عندما كانت جيوش الدولة العثمانية تحاصر القسطنطينية - إستانبول - عاصمة الدولة البيزنطية.

وقد يكون الخلاف حول أي فريق كرة أفضل؟ وأي فيلم أمتع؟ وأي شعر أرقى؟ ليست ذات منفعة ولكنها لا تضر، ولكن الأمور عندما تتحول إلى عقائد فإنها تخلق حالة غريبة من الحروب الغريبة والعبثية.

فلمدة أكثر من مئة عام، ما بين ٧٢٦ و٨٤٢ دخلت أوروبا في حروب بين المسيحيين حول الأيقونات، وهل علينا رسم صور

المسيح والقديسين وتعليقها في الكنائس والبيوت أم لا نرسمها
-متأثرين في ذلك بالمسلمين- هذا التساؤل فقط قدم ضحايا
بعشرات الآلاف من الناس والرهبان وتدمير مئات الكنائس حول
هل نرسم صورة المسيح أم لا نرسمها!



يمثل الخير
المطلق..ولكنه يخفي
وجهه، واسمه،
وهويته...في مواجهة
الاشرار الذين الذين
يملكون هويات
واسماء واضحة!

في العالم الإسلامي في نفس الفترة كان النقاش حول هل القرآن
مخلوق أم قديم، وكان يتم التكفير والسجن بين الطرفين، ففي سنة
٨٤٥ حصلت حادثة التبادل بين الأسرى المسلمين والبيزنطيين،
ولكن الخليفة الواثق^(١٠٣) الذي كان يميل إلى المعتزلة وضع شرطين
وهو يرسل رسوله «عبد الله الشيعي»^(١٠٤) للتفاوض ثم سؤال
أسرى المسلمين سؤالين، هل القرآن مخلوق أم قديم؟ وهل نرى
الله يوم القيامة أم لا؟ فإذا أصر الأسير المسلم على أنه قديم ويمكن
رؤية الله يوم القيامة فلن يفتدى به ويبقى مع الروم... وهذا ما كان
فقد رفضت مجموعة القبول بخلق القرآن، وكان مصيرهم القتل
على أيدي الروم.

لا مكان للفلسفة في مثل هذا الجدل والدجل الفكري، لقد دخلت الفلسفة لفترات في هذا النفق المظلم لكن سرعان ما أنقذت نفسها وأزاحت عن نفسها مثل هذه الجدليات، ففي العصور الأولى للفلسفة كان النقاش يدور حول أصل الكون هل هو الماء أو النار أو الهواء أو الذرات.. ولكنها انتقلت بعد ذلك بفضل سقراط ونزلت إلى الأرض وبدأت تناقش الإنسان، وعادت مع أرسطو لبحث الطبيعة بطريقة تجريبية، وأكملت مع الأبيقورية والرواقية لبحث طريقة للحياة تكون مطمئنة وسعيدة، واستمرت تسقط مرة وترتفع مرات لأنها تحمل طبيعة حرة، تحارب ذاتها ذاتها، وتصلح ذاتها ذاتها!

فأهمية الفلسفة من جانب - كما عبرت عنها البراغماتية بوضوح - تكمن في أنها دائماً تترفع عن الخوض في قضايا لا معنى لها، ولا نفع منها!

الخطيب ألقى خطبة
عظيمة.. وقال كلام عميق ومهم
.. ما فهمت منه ولا كلمة !!



١١ . تقتل فيك متعة المشاهدة الساذجة
الاهتمام بقراءة الفلسفة سيخلق
مع الزمن في داخلك فيلسوفاً صغيراً
مشاغباً، يمنعك في كثير من الأحيان
من الاستمتاع واللذة ويجعلك دائم
التساؤل والاعتراض:

فعندما تشاهد مع مجموعة من الأصدقاء فيلم «كينغ كونغ» King Kong مستمتعين بالقصة، ولكنك كفیسلوف مبتدئ فجأة ستسأل كيف استطاعوا حمل «كينغ كونغ» ووضعه في السفينة ونقله بعد ذلك إلى بلادهم، وماذا أطعموه طوال أشهر السفر!

وعندما تشاهدون فيلم «سبايدرمان» spider man وقفزاته من مكان إلى آخر، ستسأل أصدقاءك هل بهذه الصفات يعتبر «سبايدرمان» إنسانًا معنكبًا، أم عنكبوتًا مؤنسًا!

وعندما تشاهدون فيلم «الجوكر» joker ستسألهم هل حقًا يمثل الجوكر الشر وباتمان الخير؟ يبدو أن الجوكر الذي يكشف عن وجهه وهويته أكثر إنسانية وأقرب إلينا من باتمان الخير المحنط الذي يخفي هويته بملابس غالية فحمة!

وعندما تشاهدون فيلم «ترومان» The Truman Show سترك أداء «جيم كاري» ومساحة الطرافة في الموضوع لتسأل: هل حقًا نحن أحرار في هذا الكون؟ ماذا لو كلنا في هذه المدينة مراقبون من قوم في كوكب آخر ونحن نؤدي أدوارنا لهم، وكيف يكون الإنسان حرًا وهو مراقب في كل حركة يقوم بها!

وعندما تشاهدون فيلم «غراوند هوج دي» Groundhog Day سينط الفيلسوف الصغير في عقلك، عن العالم الذي لا يتغير، إنه يكرر نفسه، تظن أنك ما تقوم به مختارًا، ولكن إن تنبأت بما سيحدث هل تعتبر حرًا، ألا تعتقدون أننا كلنا نسير ونعمل لهدف

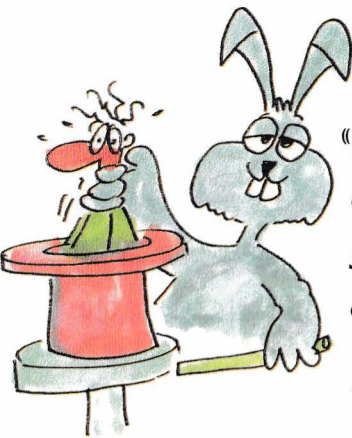
ما لا نعرفه، وهل الزمن حقيقي ثابت ويسير بطريقة مستقيمة كقطار لا يعود أم يتحرك بطريقة دائرية أو بصورة عشوائية!

وعندما تشاهد «الرجل الخفي» The Invisible Man سيثور الفيلسوف في عقلك وتساءل: هل ستعمل الخير إن كنت خفياً؟ أم ستميل إلى الشر لأنه لا وجود لسلطة تردعك، أعتقد ستميل إلى الشر، وعندها ستعيش ألماً فظيماً، وأزمة هوية، وهو أن الآخرين يجب أن يعرفوك، لا يكفي أن تعرف نفسك وتشعر بوجودك، أن تشعر بوجودك من دون شعور الآخرين يعني ببساطة أنك غير موجود!

وفي فيلم ماتركس The Matrix الشهير يستمتع الجمهور بالمغامرة، أما الفيلسوف الصغير في داخلك فسيتحرك وستترك كل شيء، وتبدأ بشرح كل مشهد على حدة من زاوية فلسفية: هنا المشهد حديث عن الواقع وما وراء الواقع، وهذه الممثلة تمثل القدر، وهذا المشهد يتحدث عن توحش الآلة...!

وعندما تشاهد فيلم تيتانيك، Titanic لا تهتم كثيراً عندها بهذه القصة الرومانسية ولا الموسيقى ولا علاقة الفقير بالغنية، بل تتساءل مع مشهد غرق السفينة عن الأخلاق الحقيقية للإنسان، هل نحن ما نحن عليه حقيقة في الظروف الطبيعية، أم الظروف غير الطبيعية تكشف طبيعتنا الحقيقية!

وعندما تشاهد فيلم «جوراسيك بارك» Jurassic Park ستسأل ماذا لو خلق الإنسان؟ كيف سيكون شكل الكائن الذي سيخلقه!؟



وعندما تشاهد فيلم «الفك المفترس» Jaws ستطرح سؤالاً حول هل الحيوانات كائنات شريرة يجب التخلص منها لمجرد أنها تأكلنا حتى تتغذى، أم نحن الأشرار؟ لماذا اعتبرنا القرش حيواناً شريراً والدولفين كائناً خيراً... من قرر ذلك؟

وبعد ما سبق لا شك لن يدعوك أحد للذهاب معه إلى السينما أو مشاهدة الأفلام، وسيمسح الاصدقاء رقمك من هواتفهم، لأنك مفسد الذات ومفرق للجتماعات، نعم قد تبالغ وترى الأمور بعيد عميق ما ورائي لا يقصده حتى صاحب اللوحة أو الأغنية أو الفيلم، كن ناقدًا ولكن حاول أن لا تبالغ في التفكير النقدي لكل شيء من حولك، استمتع بتغريدة الطيور من دون أن تبحث عن ترجمة لتغريدها، عليك أن تمارس التجاهل أيضًا عندما تشاهد عرضًا للأفكار الغبية المطلقة التي يطرحها البعض في حواراتهم، إن كنت لا ترى فائدة من الاعتراض أو النقد!

١٢. يساعدك على إخراج الفيل من القبة

عندما يعلن عن عرض الساحر العبقري في خفة اليد، فانت تدخله وأنت مستعد لخداك، ولهذا بقدر ما يمارس من خداع ستصفق له، رغم إدراكك أن العقل لا يقبل ما يفعله، فلا يمكن أن تختفي الأشياء بمجرد وضع ستارة عليها، ولا يمكن أن تقطع

شخص إلى نصفين وتعيده، ولا يمكن أن تخرج فيلاً من القبة، ولا يمكن أن تضع سيفاً حاداً في فمك وتخرجه بسهولة... أنت متأكد أنه لا يمكنه فعل ذلك ولكن مع ذلك تعتبره صاحب قدرات خاصة في إمكانه خداعك!

عندما نترك القطيع... سيأكلنا

الذئب..أما اذا بقينا مع القطيع

فسياكلنا الراعي!!



في كثير من الأحيان الإنسان يسمح للآخرين بخداعه، يؤمن بأن ولده الأذكى في العالم، وأكثرهم طرافة وخفة دم، ويؤمن بأن أباه كان حكيماً، وجده كان رجلاً متزناً صاحب أفكار وتضحيات عظيمة، ويسمح للسياسي بخداعه عبر وعوده

الكاذبة، وللتاجر عبر إعلاناته التجارية، ويسمح لنفسه بأن يخدع نفسه ويعتبر عرقه أفضل عرق وأنقاه، ولغته أجمل لغة، وثقافته أعلى ثقافة، وأن أفكاره البالية حقائق مطلقة!

أدعياء النبوة والمتصلين بالله يعدون بالآلاف طوال التاريخ الذي نعرفه، ويكفي أن يبدأ المدعي بمقدمات، وإيجاءات منطقية للناس حتى يتبعوه، بعدها يمارس كل أنواع الزيف والخداع تحت مسمى أن له اتصالاً إلهياً، وما دام هو على اتصال إلهي فهذا يعني أن لديه القدرة على فعل ما لا يفعل، بداية منطقية أو تخالها منطقية، ثم يبدأ مسلسل الخداع، ويطول حبل الكذب إلى مئات وآلاف السنين!

«إمبيدوكليس»^(١٠٥) الفيلسوف اليوناني مارس كل أنواع الإيحاء بحل المشكلات وعلاج المرضى، وبفضل علمه وقدراته السحرية الخاصة التي ألهمت خيال الناس، صارت معجزاته حديث اليونان، فتداولوا قصة موت امرأة ماتت وكان حاضراً وقتها، ورفض أن تقام لها مراسم الدفن، فظلت في مكانها لشهر كامل، وبعدها استفاقت من موتها! هذا القادر على علاج أمراض الناس المزمنة، ها هو أيضاً يحيي الموتى، معجزة تضاف إلى كراماته، إنها كرامة الإله الذي طالب أتباعه بالاستماع إليه: «أيها الناس، أنا على يقين بأنني أقول الحق، الآن أنا بينكم إله خالد، الموت والزوال لا وجود له في طريقي»، وهكذا كان يسير مطالباً الناس بالاستماع إليه واتباع حكمته، ها هو الإله ابن الإله بينكم، إنه يشفي الأمراض، ويحيي الموتى، أتى من الآلهة، ويعيش كآلهة، يستجيب لدعوات الناس البسطاء ويساعدهم، وفي النهاية يصعد ويرتقي إلى الآلهة.

في كثير من الأحيان المألوم يكون الذي يُخدع وليس المخادع، لأنه سمح للآخرين بخداعه، وأنت تقرأ الفلسفة وتملك عقلاً نقدياً يعني أنه لا يسهل خداعك ولا تهيب نفسك للخداع، وأن لا تكون مستعداً للخداع هي الخطوة الأولى لكشف الزيف!

١٣. تمنعك من المأمة

أنت جزء من جمهور الكرة تشجع الفريق الأحمر، تتحمس وتشجع وتراهن، وتنام وأنت حزين عند الخسارة، بعدها تذهب

إلى تجمع للحزب، لدينا مظاهرات
ضد سياسات الحكومة الجديدة
ونظام الضرائب، فتنزل إلى الشارع
محملًا باللافتات، تهتف وتطالب،
ثم تسمع من الأصدقاء أن فيلمًا
ما هو فيلم الموسم، الكل
شاهده، فتقرر أن تصبح



الفلسفة "تقسد" عقل المواطن... وتساويه بالملك!

ضمن جمهور هذا الفيلم، ثم تذهب إلى متحف اللوفر وتتجه إلى
لوحة الموناليزا لأن جمهور المتحف متجه إليها، اليوم مناسبة دينية
حزينة عليك أن تحزن، وغدًا مناسبة دينية سعيدة فتستعد للفرح،
وبعد غد العيد الوطني فعليك بلبس الملابس الوطنية وتتجه إلى
الشارع محتفلًا بهذا اليوم المجيد، وتفتح النت بحثًا عن الأغنية
الأكثر انتشارًا لتسمعها... في خضم هذا الحالة تكتشف مع الزمن
أن الصوف بدأ يظهر على جسمك بدلًا من الشعر، ثم تطول أذناك
وتتدلى على خدك، وينبت قرنان ملتويان على رأسك، وبدلًا من أن
تتكلم تمامًا!

ولهذا وقبل أن ينبت على جسدك الصوف، عليك أن تستعيد
ملاحك وتترك القطيع، وتختار ما تحبه لا ما يحبه الناس، وتشجع
من تحب لا ما يشجعه أغلب الناس، وتؤمن بما تؤمن به لا بما تؤمن
به الأكثرية... وهذا يتم عندما تحمل معك مفتاح بيت الفلسفة
المختلف عن بيوت الأغلبية من الناس!

١٤. تجعلك تدرك أنك تدرك

الحيوان يدرك الخوف، فيهرب، ويدرك الجوع فيأكل، وكذلك يفعل الإنسان، يأكل، يرتاح، يتألم، يتلذذ، مثل بقية الكائنات الحية، الفرق أن الإنسان يدرك أنه يدرك، يدرك أنه يمتلك الوعي لمعرفة الجوع والخوف والألم، لا يمكن لحصان أن يشرح معنى الألم والخوف لبقية الخيول، ولا يمكن له أن يفهم معنى الانتصار في السباق، إنه وعي الإنسان، ولهذا نقول إنه يدرك أنه يدرك كل ما حوله.

متى يدرك هذا الإنسان إدراكه بما يدركه؟ متى يدرك أن ما عرفه، وما قرأه، وما درسه، والشهادات التي حصل عليها، ووظيفته المرموقة لا تعني أنه فرد واعٍ؟

غالبًا ما تكون لدينا المعرفة التي تفتقد الإدراك الحقيقي، إننا أشبه بمن لديه عينان ولكنه أعمى، أو لديه جسد ولكنه مشلول لا يحس بالألم، وأذنان ولكنه أصم لن يسمع صافرات الإنذار ولن يشعر بالخطر، نمتلك العقل وأدوات التفكير ولكن لا نستعملها.

البعض يحمل شهادة في الطب، الفيزياء، والتاريخ... ولكن عقله مارس الحفظ فقط، ويعيد ما حفظه من علوم من دون إدراك،



ومن دون أن يغير نظرته إلى الكون كله، ولهذا لا تتساءل كيف يمكن لحامل شهادات عليا في مجاله يؤمن بأن ماء نهر «الغانغ» يشفي لأنه نهر إلهي، ويؤمن بأن الطباقية في الهند هي نتاج أعمال الإنسان في حياة ماضية وهو نتاج طبيعي، ويؤمن بأن لو أرسل رسالة لعشرة أشخاص سيتجنب الشر، ويؤمن بأن الجن يتلبس الإنسان ويجعله يتكلم الألمانية ولا بد من إخراج الجن عن طريق إصبع قدمه، ويؤمن بأن الجن يتلبس الكلاب السود، وأن سبب المرض هو عين حاسد، وأن الزلازل سببها غضب إلهي، وأن رقم ثلاثة عشر نحس والرقم ثمانية خير!

أن تكون واعياً أي أن تكون إلى الشك أقرب منك إلى اليقين، وإلى نقد الأفكار والآراء التي تطرح أمامك بدلاً من تقديسها، الوعي أن تدرك الحق من الباطل وتميز بين الحقائق والأوهام، وأن تتعامل مع بيئتك وفقاً للمنطق والعقل لا وفقاً للعادات والتقاليد والتراث، وأن تتمعن وتراجع وتحذر من المعلومات المدرسية الرسمية، فالمدراس تجعل الناس حمقى بعد أن يولدوا أسوياء، كما قال راسل.

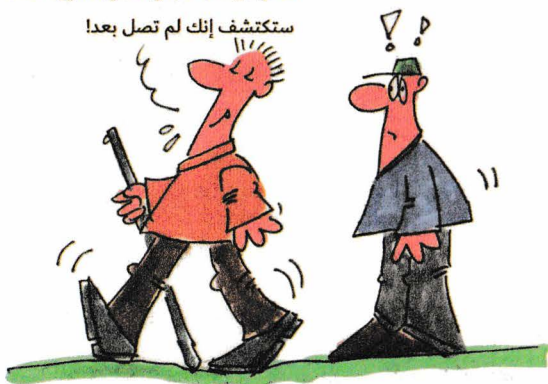
١٥. تعلمك مشي الحمامة

يقولون عن رحلة الفكر الإنساني وعن الفلسفة بأنها مغامرة فكرية، أو أنها رحلة فكرية من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر، ومن فكرة ومعتقدات إلى أخرى، وأقول بأنها «مجازفة فكرية»،

إنها مجازفة العقل على القيام بعمليات انتحارية وتفجير كل أركان الأفكار التي يحملها -أعذر عن الأسلوب العنفي متأثراً بالبيئة-.

الانتقال من سلطة دينية مطلقة يحكم فيها البابا كل أوروبا والعالم إلى سلطات علمانية ترفض أن يتدخل الدين في شؤون العامة لا شك كانت مجازفة، رفض التفسيرات التراثية والأسطورية للعالم، والبحث عن تفسير تجريبي علمي عقلي... لا شك كانت مجازفة لأنها غيرت نظرة الناس إلى الكون كله، مجازفة أن تؤمن بالنسبية في كل ما حولك من نظريات وأفكار ومسلّمات بعد أن كان الإنسان يؤمن إيماناً مطلقاً بأن كل شيء ثابت لا يتغير، ومجازفة أن تميل إلى «دارون» بعد أن كنت تعتقد بأنك النوع الأسمى في سلسلة الكائنات، لا شك مجازفة لم يعرف الإنسان عواقبها.

الفلسفة تعني أن تسير الى هدفك حتى
تصل...وعندما تصل تكمل مسيرك لانك
ستكتشف إنك لم تصل بعد!



هذه التحولات التي مر بها الإنسان وتقبلها من تغيير نظرتة إلى الدين، والأخلاق، والنظام السياسي، إلى تغيير منهجية التفكير

كلها كانت تخضع لـ«المجازفة»، وكثيراً ما دفع «المجازفون» ثمنها بالقتل والحرق، فلا أحد يقبل أن تتغير قناعاته التي تربى عليها منذ الصغر، فما بالك بقناعات ألف عام.

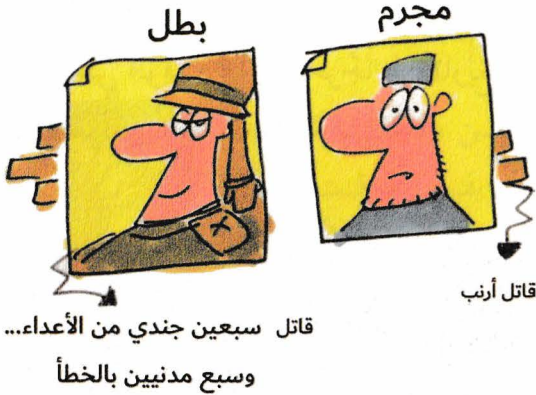
إن تقليد الغراب مشية الحمامة لا شك سيجلب له كثيراً من النقد والسخرية، ولكن في النهاية سيكتشف الغراب ومن يسخرون منه أن لا بد أن يمشوا كالحمامة بدلاً من المشي كالغراب، لقد قلدت أوروبا (الغراب) مشية المسلمين، (الحمامة)، ترجعوا وتابعوا وقرؤوا وشاهدوا وطبقوا وطوروا، فخرجت من ثوب الجهل ولبست رداء العلم، اعترض الرهبان وحاكموا المهرطقين ولكن في النهاية اكتشفوا أن مشية الحمامة هي المنقذة من فساد حياتهم، لقد جازفوا بتقليد المشية وقلدوها ثم أضافوا إليها وأبدعوا، فإن كنت تسير كالغراب فخير لك أن تختار طريقة أخرى للمشي، فطريقة المشي ليست قدرك بل اختيارك!

إنها «مجازفة» لأن من يعارضون التغيير والأفكار التي تبدو لهم غريبة ومرعبة «جنباء» يخافون من التغيير ويميلون إلى الرضا بقضاء وقدروا أفكارهم التي ورثوها مع بقية المتاع، إنهم جنباء لأن عقولهم وأجسادهم تعودت عليها!

إنها مجازفة الانعتاق من الكهف الأفلاطوني^(١٠٦) وتكسير القيود والخروج خارج الكهف، واحد فقط قام بهذه المجازفة، وظل البقية متنعمين بجهل اعتقادهم بأن الظلال هي الحقيقة المطلقة.

١٦. تدلك على أصعب الطرق

عندما تشاهد نهرًا أمامك، ستبحث عندها عن جسر ليعبر بك إلى الضفة الأخرى، لأنها الطريقة الأسهل والأكثر أمنًا، وعند مرورك على الجسر شاهدت شخصًا ما في الأسفل يقطع النهر سباحة، تأكد أنه فيلسوف يبحث عن أصعب الطرق للوصول إلى الضفة الأخرى، وإذا وجدت أشخاصًا يعبرون النهر سباحة إلا شخصًا واحدًا واقفًا ينظر إليهم فتأكد أنه فيلسوف يفكر في أسهل طريقة لعبور النهر، هذا الفيلسوف دائمًا يشك في ردة الفعل الجمعي من الناس، لهذا دائمًا يبحث عن طريقته الخاصة بالتفكير، والفلسفة هي البحث عن طريق مختلف لعبور النهر!



١٧. تكشف تناقضاتك

لأن الإنسان تعود على المتناقضات، منذ صغره، لهذا لا يجد حرجًا في أن يؤمن بفكرتين متناقضتين في نفس الوقت، وحتى

عندما يدرس مادة التفكير النقدي فإنه لا يستطيع أن ينتقد المعلم ولا المدير ولا المناهج ولا درس التفكير النقدي نفسه، وعليه أن «يحفظ» درس التفكير النقدي!

إنهم يجعلونه يؤمن بالمتناقضات ويستخدمهما حسب الظروف، ففي مدرسته يتعلم من مدرس التربية الإسلامية أن الشهب هي رجوم للشياطين حتى لا يسترق الشيطان السمع إلى الملائكة، وفي درس العلوم يتعلم أنها شهب ونيازك سماوية وعبرة عن حجارة لا علاقة لها بالجن والشياطين، وفي اختبار العلوم يكتب إجابة مختلفة عن إجابة التربية الإسلامية، ويحصل على درجة كاملة في الإجابتين!

يتعلم بأن لا فرق بين أبيض وأسود، ويؤمن بالقيم الأخلاقية والمساواة وفي نفس الوقت لا يجد حرجاً من تاريخ العبودية في التراث، ويضع لها المبررات الأخلاقية البالية!



يؤمن بحقوق الأطفال وفي نفس الوقت لا يجد مشكلة عنده
مذهبيًا في زواج الأطفال، إنه يؤمن بأن تزويج طفلة في عمر سنة
جريمة وفعل قبيح وفي نفس الوقت يرى وجود مثل هذه الفتوى
بجوازها أمرًا شرعيًا ومن يصدره إنسان صاحب علم وفضيلة
وبركة!

يؤمن بأن الحيوانات لا تتكلم ولا تعي، وفي نفس الوقت
يصدق قصص الحيوانات التي تتكلم وتناقش وتجادل القديسين
والأولياء الصالحين!

يؤمن بأن الحجارة والأخشاب والمعادن عبارة عن جمادات
لا تشعر ولا تنمو لا تثمر ولا تتكلم... ولكن في نفس الوقت قد
يؤمن بأن بعضها خيرة تجلب الخير وأخرى شريرة، وبعضها مؤمنة
وبعضها كافرة!

الموت لجعفر رجب



هو يؤمن بالعقل والتجربة
والعلم وفي نفس الوقت يؤمن
بالنصوص المخالفة للعقل والمنطق،
ويؤلف منهجًا جديدًا قديمًا كان
اسمه «الإرجاء»^(١٠٧) بزعم أنه لعلهم
في المستقبل قد يكتشفون صحته!

هو يؤمن بأن الأمطار والطبيعة لها قوانينها مثلها مثل قوانين
الأنهار التي بنى الإنسان لها السدود ولكن مع ذلك يتفق مع فتوى
منع القيام بأمطار صناعية لأنه تدخل في الإرادة الإلهية!

يذهب إلى الطبيب ليعالجه لأنه يؤمن بالعلاج بالأدوية
والتجربة ويذهب بعدها إلى ضريح أحد الأولياء الصالحين ثم
يذهب إلى مشعوذ يقوم بعمل السحر، وإلى شيخ دين يقرأ عليه،
وأخيراً يذهب إلى الطب البديل ويعالج نفسه بأكل الخس والجرجير
والخيار لأنه قيل له بأن علاجك باللون الأخضر... يقوم بكل ذلك
لأنه تعود على الإيمان بالمتناقضات!

هو يصدق عنده كلا المتناقضين والمتضادين في نفس الوقت،
ويعيش تناقضاته بكل اتساق، ولهذا عندما نتحدث عن أهمية
الفلسفة فإننا نتحدث عن المنهجية التي تجعلك تختار بين العلم
والخرافة، بين الحقيقة والزيف، بين الواقعية والأوهام، فلا مكان
لمعتقدات زائفة ومعرفة صادقة في نفس الوقت في عقل الإنسان،
هذا ما تفعله الفلسفة بكل بساطة!

١٨. تحرر عقلك

لعل أهميتها الكبرى والأساسية، وأكتبها بإيجاز: أنها تحررك
من تعاليم الآباء، والمعلمين، والكهنة، والسحرة، والسياسيين،
والشركات، والإعلانات التجارية، والأفلام، والأخبار الموجهة،
والأحزاب، والتجمعات، والقبائل، والعشائر، والمذاهب، والعادات،
والتقاليد، والأعراف، ومواقع التواصل الاجتماعي... إنها تحررك من
قيد التاريخ، والجغرافيا، واللون، والعرق، والطبقة، والفئة، والانحياز
العاطفي تجاه الموروثات والشخصيات!

كل المسلمين يعتبرون

مسلمين...بس بعضهم اسلامه

أكثر إسلاما من بعضهم!



لا شك تحتاج إلى جهد كبير، وليس من السهل أن تكون حرًا وموضوعيًا وعقلانيًا في كل أحكامك وقد يكون مستحيلًا، ولكن الفلسفة والتفكير النقدي يجعل تلك المساحة أكثر اتساعًا في عقلك!

١٩. تقوي أركان المجتمع

المجتمعات الهشة مثل البسكويت يسهل كسرها، تكون منكفئة خائفة على نفسها من أي تغيير أو تبديل أو تأثير خارجي أو داخلي، بخلاف الفلسفة التي تجعل المجتمع مفتوحًا، يتقبل التأثيرات ويتعامل معها بكل واقعية، في النهاية عندما يكون المجتمع واعيًا، يتقبل الآخر، يؤمن بالعدالة والمساواة والقيم الأخلاقية الكبرى، لن تخيفه أي من التغيرات التي هي من طبيعة المجتمعات الإنسانية... أما المجتمعات الخائفة والمغلقة الراضية لأي تفكير نقدي، فإنها رغم ثباتها الظاهري مصيرها سيكون مثل مصير الديناصورات التي لم تستطع التكيف مع البيئة الجديدة.



لعل من أهم فوائد الفلسفة بالنسبة إلى الفرد والمجتمع هو قبول التعددية، واحترام حق الرأي للآخر المخالف والمعارض، والإقرار بأن هناك ألف إجابة لكل سؤال، وبأن هناك ألف طريق للسير فيه، وأنه لا أحد يملك الحقيقة الكاملة، وأن تكامل المجتمع ورقه يعتمد على تعدد آرائه ورؤاه، لا بفرض أحادية التوجه والفكر والرأي.

إن بناء أسس العدالة والمساواة، ودعم القيم الأخلاقية في القوانين، وبناء جيل واع ناقد يحتاج مسبقاً إلى نظريات فلسفية داعمة لحقوق الإنسان الفرد وحرية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الباب الثالث

(مباحث الفلسفة)

ماذا تدرس الفلسفة؟

الفصل الأول

ماذا تعني المعرفة؟

ماذا تعني جملة «أنا أعرف» إن قلتها لأحدهم؟

تعرف أن الحرب العالمية الأولى بدأت في ١٩١٤ وانتهت في الساعة ١١,١١ دقيقة بتاريخ ١١-١١-١٩١٨، هل معرفتك بهذا التاريخ يعني بالفعل أنك صاحب معرفة بالحرب العالمية الأولى وتداعياتها والخسائر التي خلفتها والقيم الاجتماعية التي غيرتها، وكيف تأثر الناس بها، وما خلفتها من مآسٍ؟



تعرف الخليفة العباسي «المعتصم»، هو ثامن الخلفاء العباسيين،
وخلافته دامت ثماني سنوات، وثمانية شهور، وشهد عهده ثمانية
فتوحات عسكرية، وترك من الأولاد ٨ ذكور، و٨ إناث، وكانت
ولادته في الشهر الثامن من السنة (شعبان) وتوفي وله من العمر ٤٨
سنة، كل هذه المعلومات عنه هل يعني أنك تعرف المعتصم ولديك
معرفة به؟!؟

تعرف أن الإنسان نزل على القمر، وإن «نيل أرمسترونغ» أول
من وطئ القمر قائلاً: «خطوة بسيطة للإنسان لكنها قفزة عملاقة
لل بشرية» ولكن هل بالفعل نزل القمر وغرز العلم أم أنه كان مجرد
فيلم أقامته المخابرات في الاستوديو كما يزعمون؟! هل كنت معه
وشاركته التجربة أم قيل لك ذلك وشاهدته عبر التلفاز وظننت
أنك صاحب معرفة!

تعرف أن طعم الهمبرغر التעים الذي تأكله مختلف عن الطبق
اللذيذ الذي أعدته أمك التي تنصحك بأكل البيت، ولكن هل هذه
معرفة؟! أظن حتى البهائم أيضاً تأكل وتتذوق ولكن لا تعبر عن
تذوقها، ولكن هل تذوقها يعتبر معرفة مثل معرفتك؟

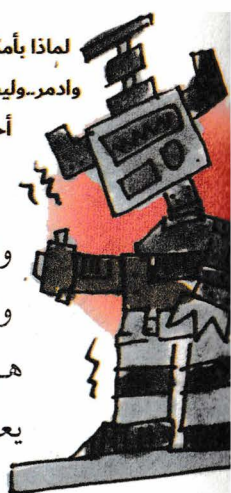
هل معرفتك بجميع قوانين كرة القدم، وأسماء اللاعبين،
والفرق، ومتابعة جميع منافسات الكرة، هل هذه المعرفة تجعل
منك «مارادونا»؟! أي هل تستطيع أن تقول بأنك تعرف كرة
القدم أكثر من مارادونا الذي مارس الكرة ولا يعرف كل هذه
المعلومات؟!؟

لماذا بإمكانك ان تقتل

وادمر..وليس بإمكانك أن

أحب؟!

هل معرفتك بكل ما حصل في بغداد
منذ نشأتها، وتاريخها، وحواريها وسككها
وأسواقها، ومناخها... من خلال الكتب
والدوريات والإنترنت، رغم أنك لم تزرها قط
هي نفس المعرفة لمن يعيش في بغداد من دون أن
يعرف كل هذه المعلومات!

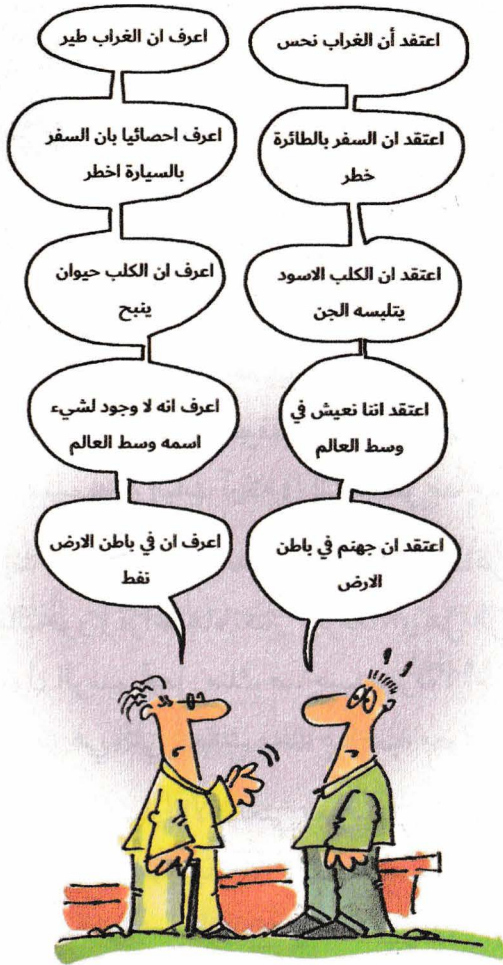


هل «سيوييه» الذي دون أسس قواعد
اللغة العربية هو من يملك المعرفة، أم الأعرابي الأمي الذي استند
واستعان به سيوييه في إثبات آرائه في النحو هو صاحب المعرفة!

هل إنتاجك للشعر وحفظه تجعل منك شاعراً رغم عدم
معرفتك بالبحور وقواعدها، تعتبر معرفة؟ أو هل الرسم من دون
معرفة أصول الرسم تجعل منك صاحب معرفة؟ أم معرفة قوانين
الرسم والشعر هي التي تجعلك منك صاحب معرفة؟

هل قيادتك للسيارة الآن تعني معرفتك بها؟ هل ستعرف أكثر
بعد سنة من القيادة والتجربة؟ إذا كانت نعم فهل ما سبقه كان مجرد
جهل، وأنك كنت تمارس القيادة من دون معرفة؟

هل تعرف جدك الذي لم تره؟ قد تجيب بنعم هو فلان بن
فلان، أنا ابن القبيلة، جدي من ذلك الفخذ، ولديه من الأبناء
والبنات فلان وفلان... هل بالفعل هذه معرفة؟ هل مجرد معرفة
أسماء معينة في تاريخ عائلتك وامتلاك بعض الصور القديمة، تعني
معرفتك بهم!



أنت تعرف دينك؟ تجيب بنعم، إذن لماذا دائماً تتردد على الكاهن
لتسأله عن دينك؟ هل معرفتك بأسماء الأنبياء والأئمة والحواريين
والصحابة والقديسين ورجال التاريخ ومعرفة قصص منقولة عنهم
تعني معرفتك إياهم؟!

هل إذا قررت ثم كتبت كتابًا عن سقراط يعني بالفعل أنني
أعرفه حق المعرفة، بل ما أفعله هو مجرد كتابة ما نقل إليّ من قِبَل
آخرين عن آخرين؟

كم عدد الذين كنت تظن أنك تعرفهم ثم اكتشفت في لحظة ما
أنك لا تعرفهم - لا تحاول أن تعدّهم فهم كُثْر - وأساسًا هل نعرف
أنفسنا بالفعل حتى نعرف الآخرين؟!

حقيقة أننا لا نعرف، نقول مجازًا إننا نعرف، وحتى اصحاب
العلم والمعرفة يعرفون في كثير من الأحيان العلاقات بين الظواهر،
ولكن إن سألتهم عن جوهر الطبيعة والكون فسيقولون لك: لا
نعرف!

عندما سُئِلت الكاهنة في معبد دلفي - أقدم وأهم معابد
اليونان - عمّن هو أكثر الناس معرفة، قالت: سقراط. وعندما قيل
لها: لماذا؟ قالت: «لأنه يعرف أنه لا يعرف شيئًا»، إنه كان يعرف
أكثر من غيره ولكنه أيضًا كان يعرف مدى جهله بالأشياء أكثر من
غيره، هذا اليقين بجهله عمّا حوله لا شك يعتبر معرفة... وأولئك
الذين يجيبونك على كل أسئلتك بكل ثقة، لا شك أنهم جهلاء.

ما نعتقد وما نعرف

إننا «نعتقد» في كثير من الأحيان ونسميها «معرفة»، نعتقد
حسب حواسنا أن الشمس تشرق من المشرق، ولكن نعرف أن
الأرض تدور حول الشمس، كنا نعتقد بأن الأرض مسطحة

ونعرف الآن أنها كروية، نعتقد أن القمر ينير ليلاً ونعرف أنه يعكس نور الشمس، نعتقد أن السياسي صادق في كلامه فنتخبه ثم نعرف أنه كذاب، نعتقد أن هذه السلعة جيدة من خلال الإعلان فنشتريها ثم نعرف أنها سيئة... هناك الكثير مما نظنه «معرفة» ولكنه مجرد «اعتقاد».

الشركات - التجارية والدينية والسياسية - تريد منك من خلال الإعلانات أن «تعتقد» بأنها ستبيعك سلعة ممتازة وسعرها مناسب وترفع من درجتك الاجتماعية وتستفيد منها، ولا يهمها أن «تعرف» حقيقة منتجها بل ما تعتقد عن منتجها حتى تباع وتربح.

المعتقد الديني

عندما نتحدث عن الاعتقاد فإن أول ما يخطر على بالنا هو «الدين» والمعتقدات الدينية المختلفة التي يؤمن بها البشر، منها الإيمان بصحة النصوص الدينية، والوحي الإلهي، وغيرها من المعتقدات الميتافيزيقية^(١٠٨)، ولكن الاعتقادات تشمل كثيرًا من الأمور بعيدًا عن الدين، مثل اعتقاداتنا المرتبطة بالطبيعة، والحيوانات، والتعامل مع الناس، فهناك من يعتقد أن سبب تراجع التعليم هو منع العقوبة البدنية للطلبة، وآخر يعتقد بأن العدالة تقتضي بأن توزع الثروة بالتساوي على الجميع، من يعمل ومن لا يعمل، وآخر كان يعتقد بأن العبودية نظام اجتماعي مناسب للبشرية لأن العبيد بشر أدنى مستوى من غيرهم، وهناك من يعتقد

بتفوق العنصر الجرمني على بقية الأعراق، وآخر يعتقد بأن نهاية العالم ستكون على الطريقة الماركسية، ومن يعتقد بأن أكل ملعقة عسل في الصباح تقيه من كل الأمراض، ومن يعتقد بأن أكل لحم الخنزير سيجعله ديوثًا، والتطعيم ضد شلل الأطفال يسبب التوحد، وأدخنة الطائرات تسبب العقم، وأن الأبراج السماوية وصفاتها لها تأثيراتها على الناس، وهناك آلاف المعتقدات المختلفة المرتبطة بالدين والتربية والصحة والإنسان والكون!

ما الفرق بين الاعتقاد والمعرفة؟

كعادي عندما أشعر بالتعب، وترتفع حرارتي، أكابر، وأكتفي بتناول حبة بنادول، حتى لا أذهب إلى الطبيب، في مقابل «اعتقاد» أولادي بأنني مريض، هناك «اعتقادي» بأن حالتي مجرد تعب بسيط، فيكون الحل الوحيد إحضار جهاز قياس الحرارة، وعندها يتحول اعتقادهم باني مريض إلى «معرفة» بأن حرارتي مرتفعة وأنني مريض وبحاجة إلى علاج، وبعدها اضطر إلى المثول للأمر الواقع والاتجاه إلى أقرب مركز طبي... كان اعتقادًا، ثم من خلال «مبرر» جهاز قياس الحرارة تحول إلى معرفة.

المعرفة تعني الحقيقة أو كما قال أفلاطون: «المعرفة هي اعتقاد حقيقي مبرر»، المعتقد عندما يصبح حقيقة يتحول إلى معرفة، وعندما يكتشف زيفها تصبح مجرد عقيدة، فالناس كانوا «يعتقدون» بأن الأرض مركز الكون والآن يعرفون أنها مجرد كوكب تائه بين

لا بد من ازاحة هذا
التمثال ووضعه تمثال
لشخصية اثرت بالفعل
في تاريخ البشرية ..اقصد
"غرندايزر" فهو من
انقذ الارض من وحوش
الفضاء



المجرات، كيف عرفوا؟ من
خلال البحث والتجربة وصلوا
إلى هذه النتيجة، رغم أن البعض
ما زال معتقداً بأنها مركز الكون
وأنها مسطحة، لا تستغرب ما زالت
الخرافات والأساطير والأوهام،
أقوى أثراً من المعارف!

فما تعتقد به في كثير من الأحيان
مختلف ومتناقض تماماً عما تعرفه.

حق الاعتقاد

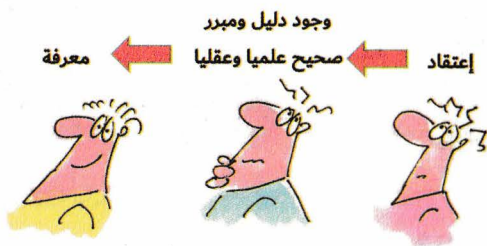
من الأشياء التي أعتقد بها أن بلوزتي الزرقاء المخرمة من كل
جهة، والتي اشتريتها قبل خمس وعشرين سنة والتي تشعرني بالراحة
كلما ألبسها لما فيها من صفات سحرية، وعندما ذهبت إلى شيراز
ووقفت أمام قصر «تخت جمشيد» آمنت بأني في زمن سابق كنت
جندياً من جنود الخالدين المنحوتة على جدار البيرسبوليس^(١٠٩)،
وأن «سنوبي»^(١١٠) الكلب المشهور فيلسوف حقيقي، وأنا مدينون
«لغرندايزر»^(١١١) لأنه أنقذ كوكبنا من وحوش الفضاء، وأن كرة
القدم أجمل اختراع بشري، وأن «سلفستر»^(١١٢) أكثر قط مضحك
في تاريخ الرسوم المتحركة، وأني أستحق جائزة نوبل ولكن أحتاج
إلى واسطة، وأن الموز فاكهة محترمة يجب أن تقدر، وأن الكاكاو من

نباتات الجنة التي أخذ آدم بذورها ليسعد بها ذريته، وأن هناك جنة في السماء وأن أمني ستفتح لي باب الجنة قبل الآخرين، وأن السعادة تكمن في الأشياء الصغيرة لا الكبيرة... اعتقادات من حقي أن أعتقد بها ما دمت لا أفرضها على أحد، ولا تضر أحداً، ولا تسلب حق أحد.

وهناك من يؤمن بأنه يملك مليار دولار في البنك، وأن سوبرمان رجل حقيقي بقدرات خاصة وخارقة، وأنه صاحب صوت جميل لا يقدر، وأن هناك مؤامرة تُحاك ضده من قبل النظام السياسي، وأنه تم اختطافه من كائنات الفضاء في صغره... إنها لا تعني شيئاً للآخرين، من حقه الاعتقاد بها، ومن حق الناس رفضه أو تجاهله أو السخرية منها!

ماذا تعني المعرفة؟

- ١- معتقدات نؤمن بها.
- ٢- سبب مقنع وحقيقي يبرر هذه المعتقدات.
- ٣- إثبات أن الأمر حقيقي، فتصبح معرفة.



ولكن هل الفكرة بهذه البساطة في المعرفة؟ يبدو أنها بسيطة،
ولكن لـ «إدموند غيتيه»: رأي آخر.

معضلة إدموند غيتيه

إدموند غيتيه^(١١٣)، كان مستمتعاً بعمله في جامعة «وين ستيت»^(١١٤) في ميتشغان، كان يرى في التعليم ملاذه بعيداً عن المؤتمرات والمجلات العلمية وصخب الحياة، إلا أن إدارة الجامعة طالبتَه بتقديم الأبحاث والدراسات، وبإلحاح من الهيئة التدريسية من أصدقائه قرر في سنة ١٩٦٣ كتابة دراسة فلسفية، وكانت دراسته الوحيدة عبارة عن ثلاثة صفحات فقط تحت عنوان: «هل يعد الإيمان الحقيقي المبرر معرفة؟» وصارت هذه الأوراق الثلاث من أهم العضلات التي طرحت في القرن العشرين، «غيتيه» قال ببساطة بأننا نعرف أن المعرفة تعني الاعتقاد، ومن ثم تبرير وحجة، لنصل إلى معرفة حقيقية... ولكن ماذا لو كانت الحجة خاطئة، هل تعتبر معرفة؟



ماذا لو شخص ما سأل عن الوقت، فشاهد ساعة المدينة أمامه

تشير إلى الثانية، ولكن الساعة كانت قد تعطلت على الثانية، وهذا يعني أنه عرف الوقت بدقة من ساعة معطلة، فهل هذه معرفة؟

ماذا لو كنت تشاهد مباراة كرة قدم قديمة، وانتهت بنتيجة اثنين مقابل لا شيء، سألك صديقك عن نتيجة مباراة اليوم فقلت: اثنان صفر، إجابتك صحيحة رغم أن حجتك خاطئة لأنك أخذتها من مباراة قديمة... فهل هذه معرفة؟

أردت دخول مجال التجارة وبدلاً من دراسة الجدوى، قمت بالاستخارة وطلعت الاستخارة جيدة، فدخلتها معتمداً على الاستخارة، وربحت.. هل هذه معرفة؟

قرأت في برج الأسد أنك ستحصل على هدية قيمة، لهذا كنت معتقداً بأن إدارة الشركة التي تعمل فيها ستقوم بترقيتك من موظف إلى رئيس للقسم، وفي اجتماع مجلس الإدارة تم اختيارك بسبب أقدميتك بين زملائك... فهل هذه معرفة حقيقية؟

أردت السفر وقبل ركوب الطائرة عطست، وهذا يعني في عرفنا أنه عليك أن تصبر، ولهذا تشاءمت وألغيت الحجز لتأخذ الرحلة التي تليها، وصدف أن سقطت الطائرة الأولى التي أجلت رحلتك منها... هل هذه معرفة؟

تعتبر الرقم سبعة رقم مقدس ورقم خير، ولهذا في داخل صالة القمار وضعت أموالك على الرقم سبعة في الروليت وفزت... هل هذه تعتبر معرفة؟

الأحلام، والمعتقدات الخرافية، التشاؤم والتفاؤل برقم معين أو مشاهدة حيوان معين، زيارة أضرحة ومشاهد دينية، كلها قد تقودك إلى نتيجة صحيحة، فقد تتشائم من الرقم ١٣ وبالفعل تشب النيران في هذا الطابق، وقد تطلب حاجة عند تمثال بوذا ويتحقق ما تريد، فليس بالضرورة ما بنيت على الباطل صار باطلاً، بل قد ترى نتيجة إيجابية من ربط مقدمات لا علاقة لها بالنتائج، فهل هذه بالفعل معرفة يعتمد عليها!

وكان «غيتيه» يقول: نعم المعتقدات مجرد معتقدات لا نعرف صحتها من خطئها، ولكن يبدو حتى المعرفة قد تعاني من نفس المشكلة، وهو أننا لا نعرف بالفعل أنها معرفة أم لا، وهذا يقودنا إلى السؤال التالي: هل المعرفة ممكنة أم لا؟

وهنا أيضاً إشارة إلى أنه قد اختلف معك في أدلتك على أي فكرة، ولكن لا اختلف معك في مبرراتك، نعم قلت إن الساعة الثانية مستدلاً بساعة معطلة، أتفق معك في النتيجة ولكن دليلك خاطئ، قد اختلف معك مثلاً في أدلة وجود الله مثل العلية أو النظام ولكن لا يعني أنني اختلف معك في الإيمان بالله، وهذا ما فعله بعض الفلاسفة الذين آمنوا بوجود الله ولكن بأدلة ومبررات ليست لها علاقة بالمبررات الدينية.



الفصل الثاني

إمكان المعرفة

هل المعرفة ممكنة؟

هل المعرفة ممكنة؟ نحن أمام إجابتين، نذكرهما من خلال فيلسوفين، قال: «بروتاغوراس» السفسطائي: لا، لأن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً - وليس آلهة الأولمب - ولأن الناس مختلفون، بيئة، ودينًا، وثقافة، وعلمًا... لهذا سيختلفون في كل شيء، فلا وجود لمقياس مشترك بين جميع البشر، ما تراه عدلاً يراه غيرك ظلماً، ما تراه حقيقة يراه غيرك زيفًا، ما تراه مقدسًا يراه غيرك شيطانيًا... لقد كان الشك طريقة سقراط في البداية لتنفيذ الآراء الفاسدة للوصول إلى الحقيقة، ولكن السفسطائيون استمروا في طرحهم حول الشك وبأنه لا نهاية للأدلة ولا وجود للحقيقة، وفي نهاية الطريق لا وجود لليقين بل لشك آخر..

في المقابل سقراط العدو الأكبر للسفسطائيين، كان يسير في الأسواق، ويناقد الناس، كان يبدأ بالجدل، والشك، ويصعد في جدله، ثم ينزل وينتهي إلى الحقيقة، وإلى تعريف واضح وحقيقي

للقيم الأخلاقية، وهكذا مارس فلسفته موقفًا بأن هناك معرفة غير قابل للشك من الممكن أن نصل إليها!

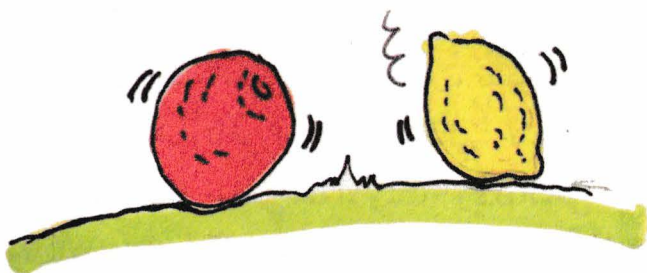
ماذا يعني الشك؟

قبل البحث في فلاسفة الشك لنسأل ما هو الشك؟

لا أدري.. هل انت برتقالة أو افندية او كرة

تنس أو كوكب المريخ...؟ ولا أدري هل

أنا ليمونة أم سقراط...؟ لا وجود لدليل!



في عرفنا العام وفي تعاملنا دائمًا الشك مرتبط بالاتهام، أنا أشك في أن فلانًا هو السارق، إنه لا يعرف ولكنه يظن أن هذا الشخص هو الفاعل، أو أشك في خبر سمعته أي أشكك في مصداقية الخبر، وأراه أقرب إلى الكذب.

الشك بالمعنى الفلسفي يعني البحث والنظر قبل الوصول إلى الحقيقة، وعندما يقول الفيلسوف أنا أشك فهذا يعني: أنا لا أعرف ولا أستطيع إصدار حكم ما، ولا يعني الإنكار أو الاتهام، هل تؤمن بكائنات تعيش في كواكب أخرى، إجابة الفيلسوف

«الشك»، ويعني لا أعرف، لا يوجد دليل على وجودهم، كما لا يوجد لدي دليل على عدم وجودهم.

هل تؤمن بتناسخ الأرواح؟ أنا أشك، لا يوجد دليل على الصدق أو الكذب... فالشك الفلسفي يعني: «عدم الحكم بالسلب أو الإيجاب» على أية قضية!

أنواع الشك

الشك المطلق.



نبدأ بأصحاب الشك المطلق، فهم يدَّعون عدم إمكان معرفة الحقيقة وإن وجدت فمن المستحيل إثباتها، وإن أثبتتها فمن المستحيل نقلها إلى الآخرين،

إنهم فلاسفة يدَّعون بالشك ويتتهون بالشك، كان السفسطائيون أفضل مثال على هؤلاء الذين في إمكانهم أن يشبّثوا القضية ونفيها في نفس الوقت، ولقد وصلت ذروة الشك المطلق عند الفيلسوف اليوناني بيرون^(١١٥).

التفاح الأصفر.

يقول بيرو -بيرون-: التفاح الأصفر قد يكون قبيحًا ولكنه في نفس الوقت قد يكون لذيذًا، كل ما حولنا خادع لحواسنا، نرى

الأشياء البعيدة صغيرة، والقريبة كبيرة، مشاعرنا تجاه الأشياء مختلفة، تذوقنا للأطعمة مختلفة، تفاعلنا الحسي والعاطفي مختلف، أدياننا ومعتقداتنا مختلفة، هذا الإنسان لا يتفق على شيء فلماذا يدعي امتلاك الحقيقة... يقول هذا الطعام لذيذ، لا بأس، كيف يمكن أن تثبت لي أنه لذيذ من خلال حديثك؟!

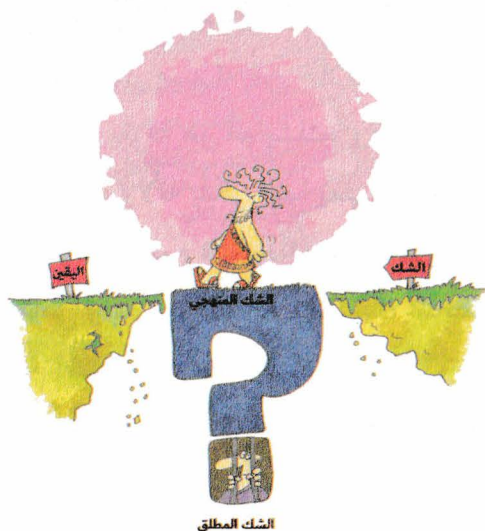


ويكمل بيرون، لا أعرف أي الأديان على حق ما دمت أسلك درب الفضيلة، ولا يهمني ما هو أصل الكون ما دمت أعيش فيه، ولا يهمني كل هذا، المهم أنني متوافق مع الكون من حولي... وهكذا عاش بيرون «لا أدرياً» شاكاً طوال عمره مطمئناً مؤمناً بأنه لا توجد معرفة حتى نعرفها، وقد نسبت إليه عشرة أنماط تثبت تعليق الحكم على الأشياء، أنه بدأ بالشك وانتهى بالشك ومات وهو يشك!

الشك المنهجي.

قال عدو الفلسفة والفلاسفة، الإمام أبو حامد الغزالي: «من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في متاهات العمى والضلال»، لعله قال هذا الكلام الرائع وهو يتقلب شاكاً بين الفرق والاتجاهات الفلسفية والمذاهب الدينية والطرق الصوفية، باحثاً عن الحقيقة، ويبدو أنه في النهاية وصل إلى يقين فساد الفلسفة ولهذا ألف كتابه «تهافت الفلاسفة».

كان فيلسوفًا رغم إنكاره إياهم، صعد شجرة الفلسفة ولم يستطع النزول منها رغم محاولاته، قال بأن أهل الفرق الباطنية، والمتكلمين، والفلاسفة، والمتصوفين كلٌ يدعي امتلاك الحقيقة، والحقيقة بعيدة عنهم، فبعد شكه في هؤلاء، وشكه في الحواس الخادعة، شك في العقل أيضًا رغم أنه يوصل إلى الحقيقة ولكنها ليست كاملة، ولهذا لا بد له من البحث عن مصدر آخر يوصل إلى اليقين، واستقر على أنه من خلال المجاهدة يصل الإنسان عن طريق الحدس القلبي إلى اليقين بعد أن يقذف الله نور المعرفة في قلبه، فالشك عند الغزالي بداية الوصول إلى اليقين الذي يأتي من الله!



تفاحات ديكارت وأحلامه

لعل رينيه ديكارت أشهر من طرح نظرية الشك المنهجي والمعروف باسم «الكوجيتو الديكارتي»، حيث بدأ نظريته بأنه علينا

أن نرمي كل التفاح من السلة حتى نتقي
 الرديء من الجيد أي نشك في كل التفاح
 في السلة، ونشك في كل معارفنا العقلية، ثم بدأ
 بفرضيات، بأن هناك شيطاناً يغويننا ويخدعنا
 دائماً في كل شيء، حتى في معارفنا
 الرياضية ويزين لنا بأن $2+3=5$
 وهو قد يكون ٧، من يعرف؟

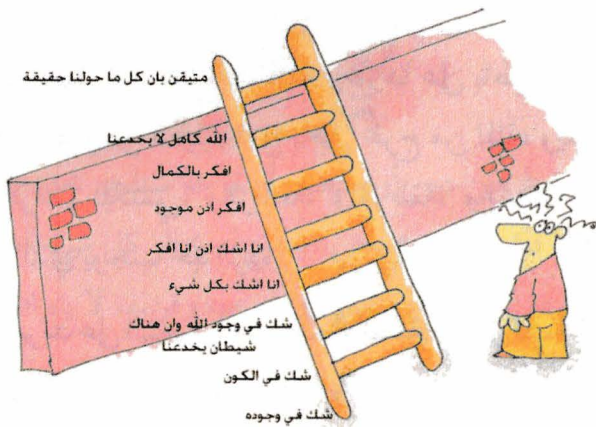


وما الذي يثبت لنا أن هناك واقعاً وكوناً؟ لعلنا في حلم، وهذا
 الشيطان يصور لنا أننا في الواقع، لعلني أعيش في حلم كائن آخر،
 وأنا غير موجود، وهنا ديكارت يشك في نفسه وفي وجود الكون
 ووجود الله... ثم أكمل مسيرته من خلال نقطة البداية وهو أن
 اليقين الوحيد الذي يعرفه هو أنه يشك، وكلما ازداد شكاً بشكه
 ازداد يقيناً بأنه يفكر، ولأنه يفكر فهذا يعني أن له وجوداً ككائن
 مفكر، ولأنه يفكر في مفهوم «الكمال»، فهذا يعني أن الفكرة أتت
 من الخالق الكامل وليس من الواقع والإنسان الناقص، والكامل
 من صفاته عدم الخداع... وبهذا وصل إلى إثبات وجوده ووجود
 الكون، ووجود الله عن طريق العقل وحده فقط، فقد بدأ بالشك
 في كل شيء، للوصول إلى اليقين بكل شيء.

أصحاب الحقيقة المطلقة «الدوغماتية»

لترك أصحاب الشك في شكهم، وانتقل إلى أصحاب الفكر
 المطلق، ففي عام ١٩٣٣ أعلنت ألمانيا النازية عن إقامة محرقة للكتب

في كافة أنحاء ألمانيا تعبيرًا عن مواجهة الأفكار الضالة والمنحرفة والمسيئة والمشبطة للروح الألمانية، فكانت كتب أينشتين وفرويد وقودًا لهذه المحرقة... هذه الحادثة المشهورة تعبر بوضوح كيف يفكر أصحاب المذهب «القطعي، اليقيني»^(١١٦) المؤمنون بالقيم المطلقة والمعرفة المطلقة غير القابلة للشك، وأنهم يملكون الحقيقة المطلقة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان وأمة.



لنترك السياسة وأحزابها وننتقل إلى الفلسفة اليونانية، التي نراها في محاولة أفلاطون في البحث عن «الحقيقة المطلقة»^(١١٧) من خلال نظرية المثل التي ترى أن هناك عالم المثل الحقيقي الذي لا يتأثر بالزمان والمكان، وظهرت إلى حد ما مع الرواقية الذين يتماهون مع القدر المرسوم لهم، ولا يهتمهم بعدها ماذا يحصل وماذا يجبئ لهم المستقبل، ونراها بصورتها الواضحة في «المثالية المطلقة» عند هيغل، وقد نراها في الأيديولوجيات كالماركسية، حيث

يرى أتباعها أن تعاليم ماركس صالحة لكل زمان ومكان، وترى في فلسفته علماً بمنهج وموضوع غير قابل للتشكيك، وتوصل الإنسان إلى حتميات تاريخية، ونراها أيضاً في الأحزاب الفاشية والنازية والقومية المتطرفة التي تمجد القوميات والعنصر القومي والتي تملك الحقيقة المطلقة.

ونراها بوضوح في الأديان التي تملك الحقيقة المطلقة، خاصة في المذاهب التي تقدس النصوص وتقدمها على كل مصدر، فمن النصوص نصل إلى الحقيقة المطلقة وغيرها على باطل، بل ومجرد الشك في النصوص الدينية فعل باطل مُخرج من الملة، ويدخله في دائرة الحرمان الكنسي، والزندقة، والهرطقة، والشرك، والكفر الصريح الذي يوجب حد الردة!

لقد مرت على الشعوب مثل هذه الأنظمة - وما زالت - كالنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، والأنظمة الفاشية، والنظام الماركسي في كوريا الشمالية، والماوي في الصين، والأنظمة الدينية في إيران وأفغانستان... لا يوجد أخطر على البشر من بشر يؤمنون بأنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، لا مشكلة في الإيمان اليقيني المطلق كإيمان شخصي، ولكن الكارثة تحل عندما يتحول هذا اليقين وامتلاك الحقيقة المطلقة إلى نظام سياسي ومؤسسات مؤثرة، وقوى اجتماعية ضاغطة، ثم فرض هذا الإيمان المطلق على الجميع كنظام شمولي «توتاليتاري»^(١١٨).



فلا خطر من دين أو مذهب أو توجه سياسي محدد بل الخطر في امتلاك فكر «مطلق» يلغي الجميع، ويحظر كل شيء، من علم، وثقافة، ودين، وأدب، وشعر، ومسرح، وفن... لا يتوافق والقيم العليا للدولة!

لقد تعمدت الابتعاد عن التفسيرات الفلسفية للفكر المطلق للدخول إلى عالم الواقع لبيان خطورة الإيثار بالحقيقة المطلقة في مقابل الحقيقة النسبية.

الفصل الثالث

حدود المعرفة

التجربة حدودنا

ما هي حدود معرفتنا؟ ما هي الحدود التي توضع أمامنا ويقول لنا رجل الجمارك توقف، لا يمكنك العبور إلى الجانب الآخر؟ أين هي المدينة المحرمة التي يحرم دخول العقل فيها؟

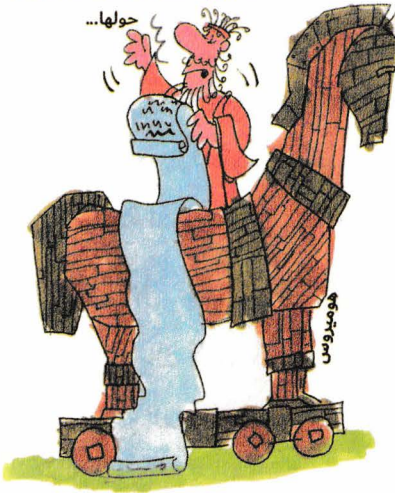
يتساءل جون لوك^(١٩) ماذا لو ولد إنسان أعمى، هل في إمكانه إدراك الألوان مهما قمنا بالشرح، هل يمكنه إدراك شكل الشمس والقمر، هل في إمكان الأصم أن يدرك الموسيقى ويميز بين الأصوات؟

إنه يشير ببساطة إلى أن التجربة محدودة بحدود حواسنا، ومعرفتنا محدودة لأن حواسنا محدودة، فنحن نعرف ما يمكننا الإحساس به فقط، ولا شك هناك عالم واسع لم نجربه، حاول الإنسان أن يخترع التلسكوب ليعطي لحاسة النظر بعداً أوسع وأكبر مما يملكه ولكن في النهاية كل اختراع هو امتداد للحواس ولقدرات

الإنسان، وليست حاسة جديدة، فحدود معرفتنا ما زالت في حدود حواسنا!

أما «إيمانويل كانت» فرأى أنه من خلال الحواس والعقل نصل إلى المعرفة، ولكن ليس إلى الحقيقة كما هي، بل كما نتصورها ويحللها العقل وتعطينا المثال للحقيقة وليست الحقيقة كما هي، لأن الحواس المحدودة تعطي إشارات محدودة للعقل، وعقولنا تعطينا تمثيلاً للواقع وليس الواقع كما هو!

النجوم لا تكذب...ولكن المنجمين يكذبون



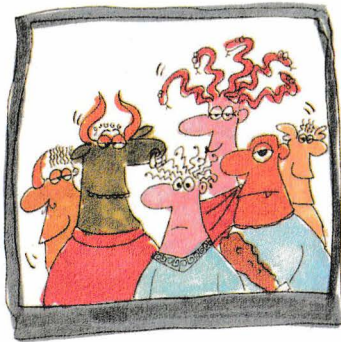
ويكمل «كانت» بأن ما نعيشه من واقع مختلف عن «عالم الشيء في ذاته»، فهو عالم بعيد عن قدرة الحواس، «عالم النومينون»^(١٢٠) إنه عالم لا يمكننا إدراكه بالحواس، عالم خارج إطار الزمان والمكان ولهذا يظل مجهولاً بالنسبة إلينا غير قادرين على كشفه، وهنا يتحدث عن ما وراء

الطبيعة، العالم الذي لا يمكن أن تصله الحواس، فالله خارج هذا الزمان والمكان ولهذا لا يمكننا أن نعرف كنهه وذاته... هو لا يثبت ولا ينفي وجود الله وإن كان إلى الإيمان أقرب، ولكنه يشير إلى عدم قدرة الإنسان على فهمه، فمهما امتلكننا من المعرفة فمعرفتنا ناقصة ومحدودة!

الفصل الرابع

مصادر المعرفة

إنه السؤال البسيط الذي سأله «راسل» حول كيف عرفنا ما نعرف؟ ومن أين أتت معارفنا؟ قبل البحث لتتابع قصة رجل من قبائل العرب القديمة يدعى «خرافة»، وقد ذهب في رحلة بعيدة وطويلة وعاد إلى أهله، ثم بدأ يسرد بطولاته الغريبة في محاربة الجن والعفاريت... وصار كلامه حديث تندر من العرب، ولهذا قيل عن الكلام المرسل الذي لا دليل عليه والمليء بالأساطير والأكاذيب والأوهام «أحاديث خرافة»، وصار كل حديث لا يتواءم مع العقل والعلم عبارة عن خرافات!



هذه الخرافات ظهرت بسبب جهل الإنسان، وعدم قدرته على تفسير الظواهر الطبيعية من حوله، مما أدى إلى ربطها بقوى خرافية، وتحولت الخرافات إلى تفكير منظم عبر الأساطير، حيث حاول الإنسان تنظيم أفكاره في تعاطيه مع الطبيعة، وحتى في تفسيره للسلوكيات الإنسانية.

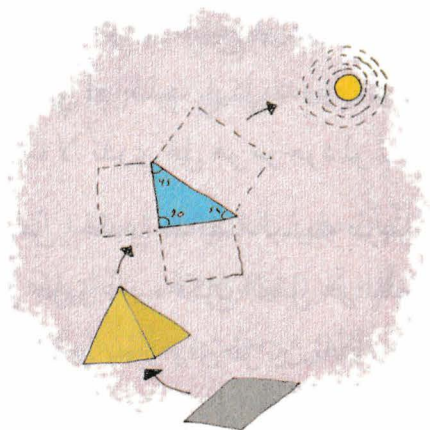
في اليونان على سبيل المثال كان الشعراء يقومون بدور الرواة وينسجون القصص عن الآلهة، وكان «هيزيود» و«هوميروس» يقومون بنشر القصص الأسطورية شعراً، التي تحولت بدورها إلى عقائد... «بيوسيدين» إله البحر هو السبب في تقلب البحار، وهو المتحكم في أجوائها، ولا بد أن تُقدم إليه القرابين، والإله «تيميس» هو المسبب للأمراض والوباء والشفاء، و«زيوس» هو صانع الرعد، وهو الذي يرسل البرق إلى الأرض ليثبت قدرته للناس، و«أطلس» هو الذي يحمل قبة السماء على كتفه بخدعة من «هيركوليس»، والإله «هيرمس» هو الذي أوجد الشرور من خلال خدعة صندوق «بنادورا»، إنها آلهة تخطط وتتآمر، وهناك رموز وأسرار في قصصهم لا يدركها العامة من الناس!



فالشاعر سابقاً كان يعمل كنبى أو عالم يروي ما حصل في السماء، ويفسر ما يحصل في الأرض، لأن الفرد لا يمكن أن يصبح شاعراً إلا بإلهام إلهي، ولهذا فكلامه وحي من آلهة السماء!

من هذا الواقع ظهرت الفلسفة اليونانية أو فلاسفة «أيونيا»
ومنهجهم طاليس للبحث عن طريق مختلف علمي يفسرون من
خلاله العالم، فلا يمكن أن تكون المعرفة كلها من الآلهة.. لا بد
للكون والإنسان من مصدر آخر ودرب مختلف عن هذا الطريق
الأسطوري!

وكان من المهم البحث من مصدر آخر للمعرفة غير الآلهة؟
وعلى طريقة شكسبير نقول كيف نعرف ما نعرف، «تلك هي
المعضلة»، وهي القضية التي شغلت بال الفلاسفة طويلاً..



المثاليون: الحواس تخدعنا... إذن العقل مصدر المعرفة^(١٢١)

أعرف أن وزني ٧٠ كيلو غراماً، ولكن هل بالفعل ٧٠ كيلو؟ أم
أقل أم أكثر قليلاً؟

هل معرفة أن البطة تبيض هي نفسها معرفة أن $8=5+3$ ؟

هل جمع ثلاث تفاحات مع أربع سيارات هي نفسها جمع أربعة
مصارعين بثلاثة طيور؟

وهل هذه الدائرة التي نرسمها هي بالفعل دائرة أم مجازًا
نسميها دائرة؟

السؤال الأخير يجيب عليه أفلاطون بالقول: لا إنها مجرد ظلال
وانعكاس للدائرة الحقيقية الكاملة الموجودة في عالم المثل، فهذا
العالم الحسي مخادع وناقص.

ديكارت بعدها طرح نفس الفكرة، الأشياء تنكسر بالماء
وتخدعنا، المباني الأسطوانية تصبح مربعة، لا ندري إن كنا بالفعل
نعيش الواقع الحسي أم الحلم، باركلي بدروه تساءل كيف يمكن أن
نثق بوجود شيء، لا ندري هل هو موجود لو لم نره؟!

هذه الحواس الخادعة الناقصة ليست طريقًا موثوقًا للمعرفة
فلا بد إذن من طريق آخر، فكان العقل هو الملجأ لهم، إنه العقل
الفعال المتأمل، الذي يسير وفق قوانين ثابتة ومطلقة، هو مصدر
معارفنا لا الحواس الخادعة.

إيكيا

عندما تشتري قطعة أثاث من شركة «إيكيا» السويدية، فإنك
تستلم عدة صناديق، عبارة عن أخشاب ودفتر للتعليمات، ثم
عليك أن تقوم بتركيب هذه الأجزاء، إن إيكيا تقدم إليك الأشياء

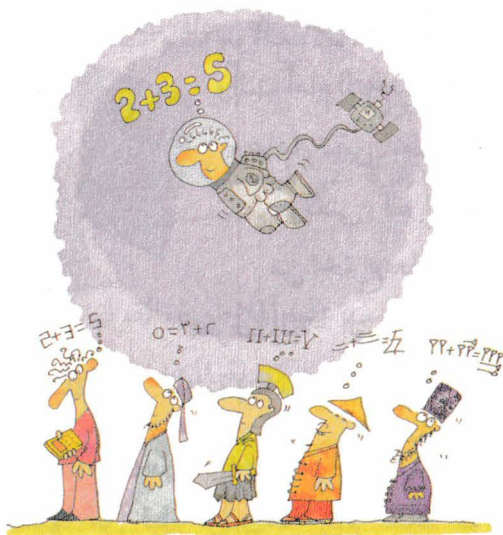
وتفترض أنك قادر على حل هذه المسألة وتركيبها،
 وأنت أمام التحدي تقوم بهذا الفعل،
 وعادة تبقى بعض القلاووظات
 -وتعني البراغي ولا أعرف
 من اخترع هذه الكلمة ولا أريد
 التعرف إليه- التي لا تعرف أين يمكن
 أن تضعها، ولكنك تنهي المهمة بنجاح ظاهرياً.



هذا الأثاث السويدي، يبدو أنه اعتمد في طريقة عمله على
 معلومات تلقتها من قبل أربع مئة عام الملكة كريستينا ملكة
 السويد^(١٢٢)، عندما كانت تستقبل في قصرها كل صباح في الساعة
 الخامسة فجرًا الفيلسوف الفرنسي ديكارت ليعلمها وحاشيتها
 الفلسفة...

ديكارت آمن بأن عقول الناس تعمل بنفس الطريقة المتشابهة،
 لا شيء مختلف، تتألم وتحزن وتفرح بنفس الطريقة، «فالعقل أعدل
 الأشياء قسمة بين الناس»، حيث يملك البشر نفس القدرات
 والمهارات والمقولات الفطرية.

يعرف العقل أنك إذا ضربت بيدك الجدار بقوة فستألم، وتعرف
 أنك لا تستطيع أن تدفع الجدار ولهذا لا تحاول أن تقوم بهذا الفعل
 لأنه مخالف للعقل، وتعرف أن الفصل أصغر من المدرسة من دون
 أن تذهب وتقيس وتتأكد، وإذا قال لك صديقك وهو جالس معك
 في المقهى اذهب إلى بيتي وتأكد هل أنا هناك أم لا، فمن الطبيعي



ألا تذهب، ومجرد ذهابك حتى تتأكد يعتبر فعلاً أحق... وعندما تحضر أثاث إيكيا أيضاً ستقوم بنفس الفعل والطريقة مثل غيرك لتركب ما هو مفكك، كما نقوم بتركيب الأحرف لتشكيل الكلمات ثم الجمل المفهومة لتعبر عن لحظة ما.

وعندما تضع شخصين في جزيرتين متشابهتين بنفس الظروف سيقومون بنفس الأفعال تقريباً من دون أن يكون بينهما اتصال، ولهذا عندما كتب «ابن طفيل»^(١٢٣) كتابه «حي بن يقظان» عن الشخص الذي عاش في جزيرة معزولة فإنه افترض مسبقاً كيفية عمل عقل الإنسان، ولهذا عندما تقرأه لا تشعر بغرابة أفعاله وتساؤلاته!

ففي كثير من الأحيان تتشابه أفعال وتساؤلات البشر في الهند

عالم المثل



واليابان والكويت والسويد.. ليس بسبب
تأثرهم ببعضهم ببعض بل لتشابه آلية
عمل العقل وقدراته كما قال
ديكارت!

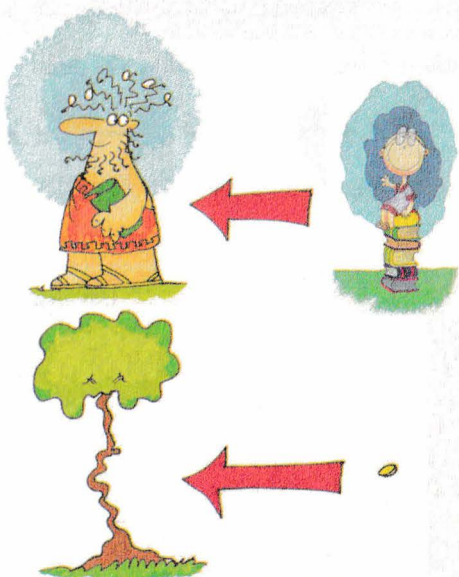
نعم نحن مختلفون في درجات
الذكاء والقدرات، ولكننا متشابهون في حملنا
لقوانين الفكر الفطرية، والله لأنه عادل لا
يمكن أن يميز بين البشر في قدراتهم العقلية
الأولية!

العقل مصدر معرفتنا

يرى أفلاطون أن الإنسان لا يتعلم، بل كل الأفكار في ذهنه
فطرية، لقد نزل الإنسان إلى الأرض من «عالم المثل»^(١٢٤) الذي كان
يعيش فيه ومن ثم فإن كل ما يفعله الإنسان هو التذكر، فهو يتذكر
مفاهيم العدالة والحرية والإنسانية والفضيلة وكل شيء حوله...
فهو يتعلم ما يتعلم من خلال التذكر!

ولكي يثبت أفلاطون أن العلم عبارة عن تذكر وأن الإنسان
لا يقوم بشيء سوى تذكر ما هو موجود بالفعل، يذكر مثالاً في
محاورة «مينون»^(١٢٥) وهو اسم خادم سقراط، حيث يطلب منه
سقراط بعد أن يرسم مربعاً، ثم يرسم من المربع ضعف المربع الذي
أمامه، ويقوم مينون -الجاهل الذي لم يدرس من قبل أي شيء عن

الهندسة- برسم مربع قريب منه على الأرض ويرسم مربعاً آخر ويبدأ سقراط بتوجيهه إلى أن يصل مينون إلى رسم المربع المضاعف للمربع الذي أمامه من دون تعلم القياسات ولا الدراسة المسبقة، يذكر أفلاطون هذا المثال ليثبت أن التعلم يتم عبر التذكر وليس الاكتساب، فكل ما نتعلمه لا نكتسبه، بل نتذكره.



البذرة بالفطرة شجرة ولكنها تحتاج الى زراعة وري واهتمام..وكذلك العقل الانساني بها فطرة المعرفة ...وتحتاج الى تفعيل.

أفكارنا فطرية

ديكارت بعد أن فند شكه في اليقين العقلي - كما أوضحنا من قبل - رأى أن الأفكار في عقولنا فطرية تولد مع الإنسان في قوالب جاهزة، يقوم الإنسان بتفعيل هذه الأفكار، بلا شك لا يولد

الإنسان وفي ذهنه الشعر، ولكن في داخله جاهزية فطرية لكتابة الشعر، لا توجد شجرة بل بذرة للشجرة، ومن خلال تفعيل العقل تتحول البذرة إلى شجرة... فالمعرفة في عقولنا فطرية كبذرة الشجرة ولديها إمكانية النمو والتعلم في داخلها.. فالإنسان يتعلم لأنه في داخله أساسات فطرية تساعد على المعرفة، من دونها لن نتمكن من المعرفة.



هذه المدرسة العقلية آمنت:

١- الأفكار فطرية موجودة في الإنسان منذ ولادته.

٢- الحواس خادعة ولا نثق بها.

٣- العقل مصدر المعرفة.

٤- المعرفة العقلية ثابتة ولا تتغير، فالحكم مثلاً بأن الكل أكبر من الجزء، والجسم لا يشغل حيزين من الفراغ، واستحالة أن يأتي شيء من لا شيء، لا تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان... فالعقل أحكامه ثابتة ومطلقة وهي المعرفة الوحيدة التي نثق بها!

٥- تتصف المعرفة من خلال الاستدلال العقلي بالضرورة والشمول، ولذلك يعتبرون الرياضيات والمنطق، مثلاً أعلى لليقين، لأن الصدق فيهما ضروري وشامل.

ماذا نعني بالضرورة والشمول؟

الضرورة: تعني الأحكام التي لا يمكن الشك فيها، ولا يختلف عليها اثنان، وهي ضرورة وواجبة وليست ممكنة، ف $2+1=3$ بالضرورة = ٣، و ٣ بالضرورة هي حاصل جمع ٢+١، أو لكل حادث بالضرورة علة، أو كل إنسان بالضرورة حر الإرادة وكل حر في الإرادة بالضرورة هو إنسان بخلاف كل الكائنات الأخرى. الشمول: يعني أن الحكم العقلي صادق في كل زمان ومكان، ولا يتغير بتغير الأحوال، ف $3+5=8$ سواء الآن، أو قبل ألف عام، فوق المريخ، أو تحت الأرض.

التجريبيون، الواقعيون: الحواس مصدرنا الوحيد^(١٢٦) في مقابل العقلين المثاليين ظهر المذهب التجريبي الذي يرى في الحواس والتجربة مصدرًا للمعرفة يسبق العقل، فبعد أفلاطون العقلاني الذي طار بالمعرفة إلى عالم المثل أعاد تلميذه أرسطو المعرفة إلى الأرض.



كان أرسطو باحثًا وعاشقًا للطبيعة، لهذا لم يترك حملة الإسكندر إلى الشرق تمر مرور الكرام، بل دفع كثيرًا من الأموال إلى القادة حتى يجلبوا ما يستطيعون من أحافير ومن غرائب في طريقهم إلى الشرق، فامتلاء متحفه بالمحنطات والغرائب التي صنفها أرسطو وفقًا لملاحظاته ودراساته (يبدو أن سرقة تراث الشرق لملء متاحف الغرب من عادات وتقاليد أوروبا).

وعندما دبَّ الخلاف بين المعلم أفلاطون وتلميذه أرسطو، وبعد أن لامه أفلاطون على ذلك كونه صاحب أفضال عليه، ردَّ



أرسطو بأن القضية ليست شخصية بل اختلافاً في الأفكار والآراء، ثم قال: «إنني أحب أفلاطون وأحترمه، ولكنني أحب الحقيقة أكثر»، والحقيقة عند أرسطو مرتبطة بالتجربة والحواس ومنها ننطلق

إلى العقل والمنطق، فلا عالم مثل ولا أفكار فطرية ولا تذكر، بل أفكار ومعرفة تأتي بالاكْتِسَاب والتعلم، ولهذا لم يكن يحلو له إلقاء دروسه إلا وهو يمشي بين آلاف القطع المعروضة في متحفه.

صفحة بيضاء

جون لوك الذي خالف ديكارت في تمسكه بالعقل والفطرة، قال ببساطة: إن العقل صفحة بيضاء، نولد وعقولنا أشبه بصفحة بيضاء، لا أفكار مسبقة ولا فطرية، بل من خلال تجاربنا نملاً هذه الصفحة، نعم الحواس تخدعنا ولكن من خلال التجربة نستطيع معرفة أنها خادعة أم لا.



ولهذا خرجت مدرسة أخرى مخالفة للعقليين تؤمن بالتجربة وترى:

١- لا وجود لأفكار فطرية في ذهن الفرد.

٢- الحواس والتجربة هما مصدر المعرفة.

٣- المعرفة نسبية ومتغيرة، وليست ثابتة مطلقة.

علل ديفيد هيوم^(١٢٧) معيار الصدق لمن يريد أن يصل إلى المعرفة هي التجربة فقط، وكل فكرة لا نستطيع أن نجربها فهي باطلة ومجرد فكرة، ففكرة التناسخ وانتقال الأرواح إلى جسد آخر وفقاً لعمل الإنسان مجرد فكرة وعقيدة لا معنى لها لأنه لا يمكن إثباتها بالتجربة.

والإنسان الفاقد لحاسة معينة منذ ولادته لا يمتلك أفكاراً عنها، ولا يمكن أن تتحول إلى معرفة بالنسبة إليه، مثل الأعمى الذي يفقد معرفة الألوان.

ثم أضاف، البعض يرى في الخيال خروجاً عن الحواس ولكن تمهل قليلاً، فحتى ما تتخيله لا يمكن أن يخرج عن دائرة الحس والتجربة، لو تخيلت جبلاً من ذهب لا وجود له، ولكن الجبل والذهب موجودان كل على حدة، ماذا لو تخيلت فيلاً يلعب الكرة، ثعباناً يطير، كلباً يطبخ السوشي.. كلها خيالية ولكن مرتبطة بحواسنا.

تحليل فكرة السببية: السببية هي الاعتقاد بأن لكل ظاهرة علة أو سبباً، فإذا حدثت العلة حدث المعلول، مثال: إذا وصلت درجة الحرارة إلى الصفر (علة) تجمد الماء (معلول).

يرى هيوم أن قانون العلية، لا يتضمن الضرورة ولا الحتمية -كما قال العقليون- أي ليست صادقة في المطلق لعدة أسباب:

- ١- أنها مجرد عادة ذهنية ترسخت في الذهن عن طريق التكرار.
- ٢- ليس في وسع التجربة البرهنة على وجود تشابه بين المستقبل والماضي، فمن يضمن أن الماء سيتبخر بالحرارة بعد مئتي عام، أو أنه تبخر قبل ألف عام.

٣- تكرار مشاهدتنا للأشياء وارتباطها عندنا عن طريق تداعي المعاني، تحولها إلى قانون العلية، رغم أن التعاقب الزماني لا يعني أن هناك علة ومعلولاً، فصياح الديك قبل شروق الشمس لا يعني أن الديك سبب في شروقها.



هيوم لا يقول إنها ليست سبباً بل يقول إن السبب نتيجة وليس ضرورة فعلية، وأن التعاقب الزماني لا يعني بالضرورة سبباً، فلو أقيم حفل ماجن في مدينة ما، ثم حدث زلزال في نفس المدينة، هذا التعاقب ينتج منه القول عند البعض، أن سبب الزلزال عقاب إلهي، رغم أنه في نفس الليلة أقيمت كثير من الصلوات، وقد لا يموت

في الزلزال من أقاموا الحفلة الماجنة، وكثيرًا ما نتفعل بأشخاص أو أشياء معينة بسبب التزامن بينهم وبين حدث سعيد أو صفقة ناجحة، هو مجرد تزامن زمني وليس سببًا لها.

البراغماتيون

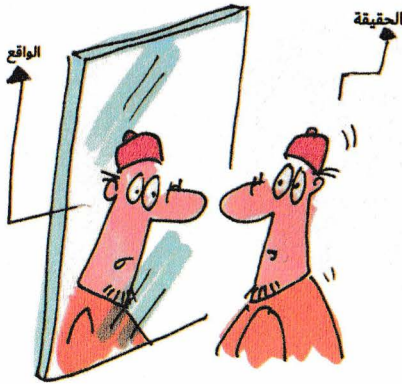
أن نبحث في مصدر المعرفة، العقل أو الحس أو الحدس أو السماء أو الشياطين مجرد هراء، عند البراغماتية^(١٢٨) المعرفة مرتبطة بالمنفعة، كل ما ننتفع منه معرفة، وغيرها علوم لا معنى لها، ليس مهمًا أن أعرف جوهر الكهرباء بل كيف أستخدمها، وليس مهمًا أن أعرف أصل النقود وتاريخ تطور النقد بل كيف أكسبها، وليس مهمًا أن أعرف تاريخ كرة القدم بل كيف ألعب الكرة وأسجل هدفًا... وليس مهمًا أصل المعرفة ولا من أين أتت المعرفة بقدر أهمية كيف نستفيد من المعرفة فيما ينفعنا، المعرفة تعني أن أعرف ما هو نافع للناس قبل كل شيء، ولا يهم مصدرها وأصلها وفصلها!



الفصل الخامس طبيعة المعرفة

في الواقع والحقيقة

يبدأ الإعلامي أو المفكر في لقائه التلفزيوني غالباً بعبارة مكررة وهي «في الواقع والحقيقة»... ماذا تعني بهذه العبارة؟ هل هناك فرق بين الواقع والحقيقة حتى يذكر المفهومين معاً؟



للإجابة على هذا السؤال نقول: في الواقع والحقيقة، لا فرق بين الواقع والحقيقة، وفي الواقع والحقيقة هناك فرق بين الواقع

والحقيقة! لا أريد أن أعقد ما هو بسيط ولكن الإجابة هنا مرتبطة
بالمذاهب الفلسفية.

في الفلسفات الواقعية التجريبية التي ترى في الحواس مصدرًا
للمعرفة، وفي الواقع أساسًا للمعرفة، ترى أن ما هو واقعي أمامي
هو حقيقي، فإذا رأيت جبلاً أمامي فهذا جبل حقيقي، وإذا سمعت
طيلاً يغرد فهذا حقيقي، وإذا رأيت المطر يبلل ملابسني فهذا ليس
وهماً بل حقيقة أشعر بها وأراها، فالواقع لا يختلف عن الحقيقة،
سواء أدركته أم لم أدركه، وإذا لم أرَ الجبل فهذا لا يعني أنه غير
موجود، فالحقيقة مرتبطة بواقعنا قبل كل شيء!

في الواقع عندنا انتخابات...

الحقيقة ما عندنا ديمقراطية!



أما في الفلسفات المثالية العقلية
فلا بد أن نميز بين طرفين، الأول
الإنسان المدرك للأشياء من حوله،
والعالم الواقعي الذي يعيش فيه،
والحقيقة مرتبطة بعلاقة الإنسان
الذي يدرك الوقائع، فنحن ندرك
الزمان ولهذا نقول إن للزمان
وجوداً ولكن الزمان لا وجود له
إن لم ندركه، وما لا نسمعه ولا نراه
لا وجود حقيقي له، فحقيقة الأشياء مرتبطة بنا
كمدركين وليست في ذاتها حقيقية وواقعية!

باركلي وشجرتة

قال الفيلسوف الراهب باركلي^(١٢٩): هل هناك صوت لسقوط شجرة في غابة لا وجود لكائنات فيها؟ لا أحد سمع صوت سقوط الشجرة، إذن لا وجود لصوت الشجرة لأنه لا وجود لكائن مدرك لصوتها، فكل ما في الوجود متعلق بإدراكنا وعقلنا وتصورات عقلنا للأشياء، فالأشياء من حولنا حقيقتها مرتبطة بعقلنا وأفكارنا، ولهذا نضع لها أيضًا صفات مثل الملمس واللون والرائحة ونعتبر صوتها عاليًا أو منخفضًا، وملمسها ناعمًا أو خشنًا، إدراكنا وضع هذه الصفات وليس الواقع، فالجبال ليست أرضًا مرتفعة بصخور صلبة خشنة ولا الأشجار تعتبر نفسها خضراء عالية، الإنسان المدرك لها يعتبرها كذلك.



فما حولنا موجود لأننا نحن موجودون وندرکہا، وكل ما حولنا تصوراتنا، فهذه الكعكة التي أمامنا موجودة لأننا ندرکہا، ماذا لو ذهبنا بعيدًا عنها، هل تختفي؟ يقول باركلي: نعم لا وجود لها بالنسبة إلینا، ولكن لها وجودها الحقيقي بالنسبة إلى الله، إنه

يربط الحقيقة الكاملة بالله وحده أما البشر فيملكون تصورات عن الأشياء فقط، والواقع لا علاقة له بالحقيقة... هكذا تصور باركلي العالم.

إمانويل كانت والمثالية النقدية

في مقابل مذاهب التجريب والعقل، ظهر بالمثالية النقدية، ماذا يقصد بالمثالية النقدية؟

المثالية تعني: أن هناك

شروطاً أولية يضعها العقل من دون الاعتماد على التجربة، وهي سابقة على التجربة.

النقدية تعني: أنه يرى أن

هناك حدوداً للعقل، لا يتخطاها في مجال المعرفة، فمجال العقل ينحصر في حدود زمان ومكان محددين.

أي إن المعرفة غير ممكنة من جانب واحد فقط، فالواقع (المادة) من حولنا لا معنى لها من دون (صورة) العقل، والعقل لا معنى له من دون مادة وواقع خارجي.

إذا سمعت عن خبر انفجار، فلا شك ستسأل، أين ومتى حصل ذلك؟!

إيمانويل كانت -الفيلسوف الذي كانت تضبط نساء نورمبرغ ساعات بيوتهن على موعد خروجه للتنزه- قال إن الزمان والمكان مزروعين في عقولنا مثل بقية المقولات^(١٣٠) ولا يمكن تخيل الأشياء بدون الزمان والمكان، فسؤال متى؟ مع أي خبر وسؤال أين؟ أسئلة بديهية مزروعة في ذهن الإنسان وليست مكتسبة، وهذه الفكرة إضافة إلى أنها فطرية نحن نشعر بها حسياً من خلال متابعتنا لتقلب الليل والنهار، ومشاهدتنا لمرور الرمال ونزولها إلى أسفل في الساعة الرملية، وحركة عقارب الساعة في الساعة المعلقة بالحائط، هذه الحركة تشير إلى الزمان وتجعلنا نحس بوجودها في فطرتنا، ولا يمكن أن نتصور الأشياء خارج إطار الزمان والمكان، لا يمكن فهم أي خبر من دون ربطه بالزمان والمكان.



لنضرب مثلاً توضيحياً من خلال قصة «ليلي والذئب» - نبداً القصة بكان يا ما كان في قديم الزمان، في غابة بعيدة، فتاة اسمها ليلي، تلبس رداء أحمر، وقررت الذهاب إلى بيت جدتها محملة بالkek - لا أدري لماذا جدتها لا تسكن معهم ولماذا الذئب لم يأكلها في الغابة؟- وتنتهي القصة ولكن ما نعرفه من القصة أنه بدأنا بمكان وهي الغابة وزمان وهو في قديم الزمان، ثم بدأنا نتحدث عن جوهر القصة، وعلة ذهاب ليلي إلى جدتها...

لنترك ليلي ونذكر خبراً صحافياً، اقرأ معي هذا الخبر «ضرب تسونامي اليابان، صباح اليوم، مخلفاً دماراً كاملاً، وقتل الآلاف فيها، بسبب حدوث زلزال في المحيط الهادي...»

لوجود «المقولات» في الخبر لهذا نفهم الخبر، فجوهر الخبر تسونامي، الزمان، صباح اليوم، المكان: اليابان، العلة: زلازل، الكم: قتل الآلاف.

مثال أخير لطبيعة المعرفة عند «كانت»، إنك تشاهد تساقط الماء، تسمع صوت تساقطها، تشعر بأن القطرات تنزل عليك، تلاحظ الغيوم، تشعر بالبرودة... وهذه كلها حواس غير منتظمة، هذه الحواس وضعتها في إطار زمني، وهي لحظة تساقط الماء مع الغيوم والبرودة، وفي نفس المكان الذي تقف فيه، وربط الحواس بعضها ببعض في إطار الزمان والمكان، تصل إلى فهم أن ما يجري يسمى المطر، وبعد ذلك تلاحظ كمية المطر، وكيفية سقوطها، وتبحث عن علة سقوطها، وجوهرها.. وهناك تصبح لديك المعرفة الكاملة.

قل لأي إنسان: حصل حادث مروري، هذا الإنسان سواء كان متعلماً أو جاهلاً، لا بد أن يسأل سؤاله التقليدي أين؟ متى؟ ثم يسأل عن سبب الحادث وكيف حصل والإصابات وغيرها هذه الأسئلة يعتبرها «كانت» فطرية موجودة في عقل الإنسان قبل التجربة ولا يمكن أن يفهم العالم ويصل إلى المعرفة بدونها.



الباب الرابع

«الأنطولوجيا» مبحث الوجود

الفصل الأول

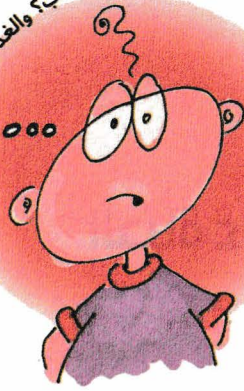
الحياة عبارة عن «تيرمينال»

بينما قال ديكارت أنا أفكر وهذا يعني أنني موجود، قال الوجوديون نحن نوجد أولاً ثم نفكر.. وأقول: إننا عالقون بين الوجود واللاوجود، بين الحقيقة والزيف، بين الماضي والمستقبل، محجوزون بين عديمين، ما قبل الولادة وما بعد الموت.

إننا اشبه بـ«توم هانكس» وهو عالق في المطار في فيلم «تيرمينال»، وجدنا أنفسنا في عالم ضيق تتحكم فيها القوانين، تحركاتنا محدودة، نمارس حريتنا في نطاق ضيق، نشعر بالاغتراب مع واقعنا وبيئتنا، لغتنا لا تسعفنا لنعبر عن ذاتنا، نهرب من واقعنا بالفن، نمارس ما يسمى بحريتنا في التيرمينال «الأرضي»، تراقبنا الكاميرات وتحاسبنا إدارة المطار، في انتظار المخلص «السماوي» الذي سينقذنا من هذه الورطة!

نبحث عن حقيقة وجود الكون والله... ثم نتساءل وماذا عن وجودنا، هل أنا ذو وجود حقيقي، وهل «حقيقتي» الفانية هي نفسها «حقيقة» الله الخالدة، هي نفسها حقيقة الكون الالاهائية...

أمس.. أين ذهب؟ والغد من أين سيأتي؟



نعرف حقيقة بعض العلاقات
في الطبيعة ولكن هل ندرك فعلاً
جوهر الطبيعة؟

نعرف كثيراً عن جسم
الإنسان ولكن هل نعرف ما هو
الإنسان كإنسان؟!

نردد دائماً إن شاء الله، والله معاك، وفي
أمان الله، والله يحفظك، والله يهديك، والله يرزقك، والله يوفقك...
ولكن هل بالفعل ندرك ما هو الله، ووجوده الحقيقي، أم إنها مجرد
تصورات بشرية عن الله!

هذه التساؤلات الطفولية العميقة تستمر حتى نهاية العمر مع
أن الأغلب يرضخ للإجابات المريحة الجاهزة، فينسى تساؤلاته
الطفولية حول من أين أتينا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ وينسى حتى
تساؤلاته حول لماذا للخروف بأربعة أرجل، ولماذا القمر يتحرك
معنا بدل أن يتحرك عكسنا ونحن في السيارة؟ لماذا اقتنعنا بالأجوبة
السادجة؟ هل لأنها مقنعة أم لأننا نريد إجابة تريحنا لا إجابة
تقنعنا؟!

ما هو أصل الكون؟

كيف وجد الكون؟

من خلق كل شيء؟

كيف ظهر كل شيء من لا شيء؟

هل الكون ثابت أم متغير؟

من يتحكم في هذا الكون؟

ما هو الإنسان؟

هل نحن موجودون حقًا أم نحن في حلم؟

هل لنا وجود حقيقي أم مجرد ظلال للحقيقة؟

هل نحن حقيقيون أم مجرد نقطة في بحر الحقيقة وانعكاس على

مرآة الواقع!

هل نحن الواقع وما حولنا مجرد وهم!

هل الإنسان حر؟ أم مجبر؟ أم حالة وسط بينهما!؟

ماذا تعني الروح؟

ماذا يعني الموت؟

وماذا وراء الموت؟

هل الله موجود؟

لا .. النار



هل هو المتحكم في كل شيء مباشرة أم من خلال القوانين؟ أم أنه صنعها كصانع الساعات ثم اكتفى بمتابعة ما يحدث؟

أسئلة كلية يسألها الإنسان، وهو يختلف عن مباحث العلم، نعم العلم قد يبحث عن مظاهر الطبيعة، نمو الأشجار، سلوك الكائنات، معالجة الأمراض الجسدية والنفسية للإنسان، يبحث في العلاقات بين المظاهر الطبيعية للوصول إلى القوانين بهدف التحكم فيها... أما الفلسفة فهي تبحث في الإنسان كإنسان، كمفهوم كلي، تبحث في الكون والحياة كمفهوم عام مجرد... قد يجيب العلم على بعض تساؤلاتنا الجزئية ولكن تبقى التساؤلات الكبرى مجهولة، وما زلنا نبحث عنها!

نجدف قليلاً في بحر الوجود، فحرك مجدفك معي حتى نصل إلى ميناء الحقيقة... إن وجد!

الماء أصل الوجود

كان السؤال الأول للفلسفة اليونانية: ما هو أصل الكون؟ ما العلة الأولى لكل هذا؟ من أين أتى كل شيء؟ لا يمكن أن يأتي كل شيء من لا شيء، فلا بد أن يكون هناك شيء أتى منه كل شيء، وهو الأساس لكل شيء؟ هو نفس التساؤل الذي ما زال العلماء يسألونه حتى الآن حتى توصلوا إلى نظرية «الانفجار الكبير» كإجابة مقنعة، حتى الآن!

الفلاسفة الطبيعيون - كما لقبوا - في أيونيا، كان هذا السؤال

يشغل حيزًا كبيرًا من تفكيرهم بعيدًا عن التفسيرات الأسطورية التي كانت تملأ آفاق جزر اليونان.

«طاليس الميلي» وبعد عدة رحلات شرقية عاد وهو يحمل فكرة واحدة، بأن كل شيء في هذا العالم متعلق بالماء، سواء الإنسان أو النبات أو الأرض المحاطة بالماء وما تحتها وفوقها ماء، وتفسيره للماء وأصل الكون في نظرنا حاليًا قد يبدو ساذجًا، ولكن أهمية طاليس تكمن في أنه أول من خرج من عباءة الدين اليوناني لي طرح أصل الوجود من خلال البحث والملاحظة والتأمل!

وبعده الفلاسفة الطبيعيون أكملوا الطريق باحثين عن أصل الكون، فقال أنكسيمندر^(١٣١) أن الهواء المحيط بنا هو أصل الكون والعلة الأولى التي خلقت منها بقية الأشياء.

أما بارمنيدس فقد عاد من معراجه المتخيل من السماء قائلاً: هو عالم أزلي، «ما يوجد يوجد، ويستحيل عليه ألا يوجد»، قال ببساطة للناس: لا يمكن أن تأتي الأشياء من العدم، ولا يمكن لهذا الواحد الحقيقي أن يسير إلى العدم، بل هو وجود ثابت!

ديموقريطس قال بل هي ذرات تتغير، ومع تغير الذرات بتركيبها وتفكيكها تصير الأشياء، إنه عالم متغير والذرات متغيرة ولا وجود لعالم ووجود ثابت!

وظهر فيثاغورس بعد رحلته الشرقية ليعلن أن العدد هو أصل الكون، وإذا فهمنا العلاقات الرقمية والرياضية فسوف نفهم بنية

الكون، إنه العدد هو الذي يتحكم في الأشكال والأفكار، ألا ترون
التناغم الهندسي الرياضي بين أصغر شيء في الكون وأكبر وأعظم
الأشياء.



الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن سينا وصلوا إلى «الفيض
الإلهي» - الذي ذكره من قبل «أفلوطين»^(١٣٢) - وأن العالم قديم،
وأن الخلق لم تكن عملية ميكانيكية وأوامر بالصنع والخلق، بل
هو فيض إلهي قديم ومن العلة الأولى فاض كل شيء... وكل ما
حولنا انعكاس للحقيقة الإلهية، وهذا كان المدخل للطرق الصوفية
في طرحهم فكرة وحدة الوجود، واتصال العالم الحسي بما وراء
الطبيعة.

محاولات أولى لكشف العالم والوصول إلى الحقيقة، إنها
البدايات في فهم الإنسان للكون... وما زلنا في البدايات لفهم
الكون!

ما الذي يحرك هذا العالم؟

ما هو القانون الذي يسيّر العالم، كانت الإجابة التقليدية حاضرة وجاهزة: إنهم الآلهة الذين يتحكمون بصورة مباشرة في كل الظواهر الطبيعية، وحتى الإنسانية، «زيوس» يتدخل مباشرة وينزل المطر بأمر مباشر منه، وكل ظاهرة طبيعية لها إله مسؤول عنها، هذا التفسير الأسطوري ومع انفتاح أثينا على الشرق جلبت لها أفكارًا وآراء أخرى حول من يحرك العالم...

ذرات ديمقريطس

ديمقريطس المادي، قال إن الذرات هي التي تخلق وتحرك كل شيء وتفني كل شيء، اتصالها يشكل الأشياء البسيطة والمعقدة وانفصالها يشكل فناءها، جوهرها الحركة، ومن خلال التنافر والتجاذب تتشكل الموجودات، من نباتات وحيوانات وأشكال وألوان، وكل الظواهر من حولنا نتيجة تفاعل الذرات.

لوغوس هيرقليطس

أما هيرقليطس، فنسب كل ظواهر الطبيعة إلى الصراع الدائم بين الأضداد ويكشف عن نسبية الأشياء أماننا، فهي نسبية أمام «اللوغوس» الواحد المطلق، ولكن الإنسان بطبعه جهول لا يستوعب ما يراه، المستيقظ وحده يرى العقل الكلي في حين أن النائم يرى عالمه الخاص فقط، وهذا هو واقع أغلب الناس. ومن

خلال الصراع تتشكل وتتحرك الأشياء، وهو قريب جدًا من الأفكار الشرقية حول التضاد الذي يحرك العالم.

علة صورية..المخطط



علة غائية..الشرب منه



علة فاعلة..الإنسان



علة مادية..الفخار



علل أرسطو الأربع

تدخل أرسطو قائلاً: إنها العلل التي تحرك هذا العالم، والغايات، ولكل شيء في هذا العالم أربع علل:

١- علة مادية.

٢- علة صورية.

٣- علة فاعلة.

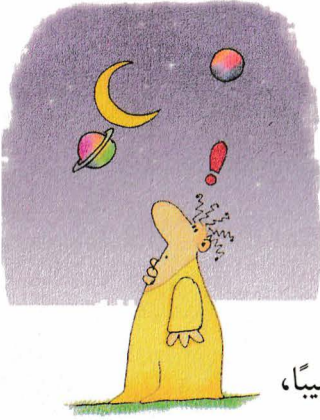
٤- علة غائية.

هذا الكرسي الذي أمامك علته المادية الخشب أو الشجر، وعلته الصورية هو المخطط الذي رسمه الشخص قبل صناعته أو تصوره في خياله، وعلة فاعلة هي الذي صنعه وهو النجار، وعلة غائية وهي الهدف من صناعته، وهو الجلوس.

وكل شيء في الكون له علة، والأهم هي العلة الغائية، ولا وجود لشيء دون غاية في الكون، حتى فسر غائية وجود مؤخرة للإنسان بأنه حتى يتمكن من الجلوس ويرتاح لأنه يمشي على قدمين، واستمرت العلة الغائية مهيمنة على تفكير الناس لقرون طويلة حتى أتى العلم الحديث، وألغى هذه العلة، فهو يبحث في العلاقات بين الظواهر الطبيعية وليس غاية وجودها!

هذا التحول كان خطوة أولى من أن هناك آلهة تتحرك كل شيء وتأتي بأمرها الطبيعة، إلى مرحلة أن هناك صانعاً للقوانين وأن العلة الأولى للكون وضع قوانين تتحرك من خلالها الظواهر الطبيعية، أي إن الله هو خالق القوانين ومن خلالها تتحرك الظواهر الكونية، إلى أن نصل بعدها إلى العلم الذي وضع القوانين لهذه العلاقات الطبيعية فقط دون تفسير لها، فلم يعد تفسير الظواهر الطبيعية وعللها غاية البحث العلمي!

الفصل الثاني ما الذي يجعل أنا، أنا؟



متى أستطيع القول بأنني أنا هو أنا، فالتغير المستمر في الإنسان يجعلني مرتبكًا، هل أنا هو أنا الآن، أو قبل سنة أو عندما كنت طفلًا، أو حتى عندما كنت حيوانًا منويًا؟ أو أنني لم أصبحه حتى الآن فأنا أسعى إلى أن أصبح طبيبًا، وعندها يشيرون إليّ بأنني الطبيب فلان، وتسبق اسمي وظيفتي ويتم تحديث مسامي فيصبح أنا المستقبل مختلف عن أنا الحالي.

ولكن حتى تحديد الوظيفة هل سيجيب على سؤال من أنا؟! رغم أننا نتعامل في كثير من الأحيان مع الناس من خلال وظائفهم ونسأل بعد اسمهم عن وظيفتهم، ولكن هل بالفعل تعني أنه متوافق مع الطبيب وهل مسمى الطبيب يعني في النهاية أن هناك شخصية محددة لكل الأطباء!

هذا التغير الدائم يجعل مفهوم الأنا متغيرًا حتى خلال لحظات العمر، لعل كلمة واحدة في لحظة معينة تغير من شخصية الإنسان وتجعله يعيش عقدة تلازمه طوال حياته، أو تجعله ناجحًا متفوقًا، أو تغير مسيره إلى طريق آخر وقد تجعله مجرمًا في لحظة غضب!



إذا اشتريت سيارة، ثم غيرت لونها، وغيرت إطاراتها، ثم غيرت ديكوراتها الداخلية، ثم غيرت بعض قطعها بسبب حادث، ثم غيرت محركها.. هل تبقى هي نفسها سيارتي؟

إذا اشتريت نظارة ثم غيرت عدستها وبعد أشهر غيرت إطارها.. هل تبقى هي بالفعل نظارتي رغم أنني أعتبرها نظارتي؟

إذا اشتريت هاتفًا جديدًا ونقلت إليه كل المعلومات والأرقام والألعاب من الهاتف القديم هل يعتبر هو نفسه الهاتف أم تغير؟ ماذا لو لم أغير هاتفي ولكنني غيرت الرقم وكل المعلومات والألعاب، هل سيظل هو نفسه هاتفي القديم؟! تغير



نحن دائمو التغير ولكن من يحدد من أنا؟ هل هو أنا؟ أم المجتمع؟ أنا أعتبر إنسانًا صالحًا ويعتبرني المجتمع رجلًا فاسدًا ومجرمًا، ساعدت رجلًا على «القتل الرحيم» وأنقذته من

الألم بعد أن طلب مني ذلك بكامل قواه العقلية والنفسية، اعتبرني القانون والمجتمع قاتلاً، بينما أعتبر نفسي رجلاً صالحاً أنقذت إنساناً من الألم، من يقرر من أنا؟! مكتبة سُر من قرأ

ثم يبرز سؤال آخر، إن كنت أتغير، فلماذا أعاقب على فعل فعله «أنا» غيري قبل عشر سنوات؟ وما زلت أتحمّل مسؤولية فعله، نعم إنه أنا من فعله ولكني الآن لست ذاك قبل عشر سنوات، هو الذي فعل وليس أنا!

وأنت الآن بعد أن تقرأ هذه الفقرة، لا شك لن تكون ذلك الشخص الذي كنت قبل قراءته!

لماذا نحن هنا؟

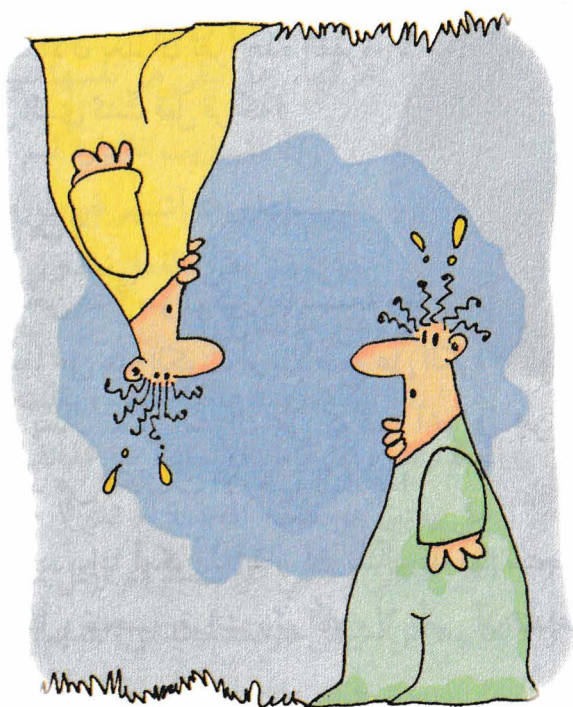
لماذا نحن هنا؟ سؤال كثيراً ما نسمعه وقد نردده، ما هو الهدف من وجودنا على هذا الكون، أو بالأصح على الكرة الأرضية -لعل هناك من يسأل نفس السؤال على كوكب آخر في مجرة أخرى- حديثنا فقط عن الكائنات الأرضية البشرية!

الجواب.. إذا أمكن للأبقار أن تسأل فلعلها ستجيب: كي نعيش، نأكل، ننجب بقرات وثيراناً، ولا بأس أن نساعد البشر بإعطائهم الحليب!

الحصان سيجيب: إننا هنا من أجل خدمة البشر، والفوز في السباقات، ومساندة عصابات المراهقات!

والخراف سيجيون: نعم هدفنا أن نتج الصوف ويستفيد
البشر من لحومنا!

لعل كل الكائنات لها إجابات متشابهة أما بالنسبة إلى الإنسان،
فالسؤال خاطئ، الحيوانات تملك نفس الصفات والماهية، أما
الإنسان فليس الجميع يملكون نفس الماهية بل الجميع مختلفون...
ولهذا فلا بد من تغيير السؤال من «ما هو هدفنا في الحياة؟» إلى «ما
هو هدي في الحياة؟».



فنحن كبشر لا نملك نفس القدرات، ولا نعيش نفس
الظروف، ولا نملك نفس الإمكانيات، ولا نعيش في نفس الزمان

والمكان.. حتى تتشابه أهدافنا وطريقة عيشنا، أما ما هو هدف وجودك في الحياة فسأجيبك بوضوح:

- لا أعرف، إنه هدفك أنت وليس أنا... فجنّي المصباح يحقق أمنياتك المادية فقط أما تحديد هدفك في الحياة فهو عاجز عنها، ولكن إن طلبت من الجنّي تحديد هدفك في الحياة عندها قد يجيبك جنّي المصباح قائلاً: وهل يجب أن تملك هدفاً في الحياة؟! هل عندما تدخل مطعماً ستقف على الكرسي وتصرخ ما هو هدف وجودنا في المطعم؟ أنت في المطعم لتأكل، فحاول أن تختار وجبة شهية أو مشبعة أو رخيصة وفي الحياة حاول أن تعيش لا أن تصرخ: لماذا أنا هنا؟! أنا جنّي المصباح هديني أن أحقق ثلاث أمنيات لكل إنسان احمق يفرك مصباحي، أما أنت فلست جنياً للمصباح ولا يجب أن تحقق هدفاً كبيراً وعظيماً... دعونا من الجنّي الذي يبدو أنه لم يكن في مزاج حسن عند خروجه من المصباح ونبحث في السؤال من زوايا أخرى.

عش حراً واختَر هدفك

لا شيء مغرٍ في هذه الحياة، إنها بلا فائدة، قاسية، موحشة، غريبة.. إذا كان علينا أن نختار فلنختَر ألا نوجد هنا، هل هناك هدف لوجودنا؟ وهل يجب أن يكون هناك هدف؟ من زعم ذلك؟

على حافة الهاوية.. تشعر أن جزء منك يريد أن يرمي نفسه

وجزاء منك
يريد النجاة.. في هذه اللحظة تشعر أنك حراً



وإذا كان سقراط قال بأن الحياة التي لا تبحث ولا
تسأل عنها غير جديرة بأن تعيشها، فإن «ألبير كامو»^(١٣٣)
قال إن الحياة ليست جديرة بأن تُعاش أو حتى أن تسأل
عنها...

أما سارتر زميله الوجودي
فيتقدم قائلاً بأننا كأفراد
لا نختار وجودنا... فان
وجدنا، فلحظتها علينا
اختيار ماهيتنا وأهدافنا التي
نستطيع تغييرها وإنجازها، نختار
أهدافنا والمعنى من وجودنا!
هيشيل^(١٣٤) قال: هدفنا في الحياة أن
نعيشها بعيداً عن التفكير فيما وراء الحياة،
وما بعد الموت!

نيتشه يرى هدف الإنسان أن يختار
هدفه بنفسه بعيداً عن العادات وما يفرضه
المجتمع عليه!

كير كيغارد^(١٣٥) الفيلسوف الوجودي
المؤمن، قال بأننا نعيش القلق الوجودي دائماً،
هذه الحرية التي منحت لنا تخيفنا، إننا أشبه بمن

يقف على طرف الهاوية، وننظر إلى الأسفل، نخاف أن نسقط وجزء منا يرغب في القفز إلى الأسفل، هنا نحن نقرر ماذا نفعل، إنها حريتنا أن نسقط أو نتراجع... نمارس حريتنا ونختار.

تريد أن تعرف هدفك؟ عليك أن تبحث عنه، نعم الآخرون «قد يمنعونك من الوصول إلى هدفك ولكنك في النهاية أنت من تختار...»، من المحزن أن تعيش مقيداً، ولكن لا قيد يرغمك على الحياة في القيود... «القيود في إمكاننا سحقها تحت الأقدام» هكذا تحدث سينيكا^(١٣٦) الفيلسوف الرواقي، وهو يدعوك إلى الحياة وتحقيق هدفك!

وإذا كان ألبير كامو متشائماً عديمياً أقرب إلى حافة القبر منه إلى الحياة فإن «سينيكا» يردد: «لا أحد عجوز إلى الدرجة التي تمنعه من أن يأمل في يوم آخر...»!

مكتبة

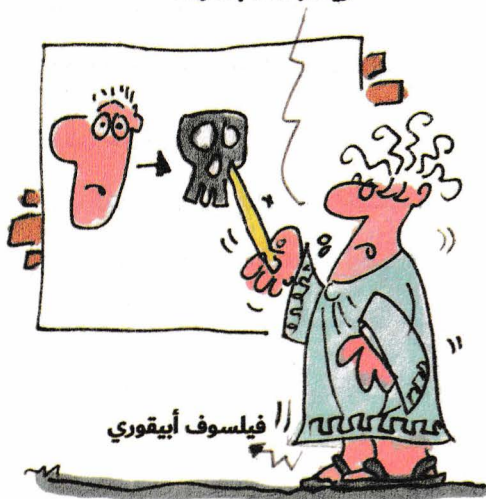
t.me/soramnqraa

من أجل الآخرة

الهدف الآخر الأخروي الذي طرحته الأديان، وركز عليها الفلاسفة في القرون الوسطى كان الهدف الإلهي وتحقيق الأهداف التي وضعها الدين لك، وبأن الإنسان يعيش من أجل الله، وأن يتطهر من شروره كما قال أوغسطين، وبقية الأديان التي تؤمن بالآخرة والثواب والعقاب، ترى بأن الإنسان يعيش من أجل آخرته وأن هذه الحياة عابرة، وأنه اختبار إلهي ثم يحصل على الجزاء في الآخرة.

هذا ميت لا يفكر في الحياة... وهذا الأهل حي

ويفكر دائما بالموت!



الأديان تحدد لك بدقة هدفك في الحياة، وتهديك القيود التي يجب عليك وضعها على جسدك وعقلك، وتحدد لك المسار في كيفية الطاعة... بعدها ستعيش حياة مستقرة في الدنيا، وفي الآخرة حسنة تقيك العذاب الإلهي وتدخلك الجنة!

هل عندما أموت... أموت؟

أين نذهب عندما نموت؟ لا أعرف، ولا أحد يعرف، ولكن الناس يعتقدون شتى الاعتقادات، فلا أحد عاد بعد الموت ليخبرنا ماذا هناك، حتى صورة الحياة بعد الموت ما زالت غامضة حتى لمن يؤمنون بها، فهناك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على ذهن الإنسان، أي إنه خارج إطار المحسوس والمعقول!

ولكن لو تخيلت أن هناك سلمًا كهربائيًا يصعد بك إلى الأعلى الذي يوصلك إلى النور، والذي ينتهي بحديقة غناء وسحب وأشجار وفراشات وطيور ملونة فلا شك أنت متأثر بأفلام الرسوم المتحركة!

في الزرادشتية هناك صراط مستقيم يمر عليه الأموات ليصلوا إلى الميزان وهناك يبدؤون بوزن أعمالهم فمن ينجح، وحسناته هي الأثقل يجتاز الصراط ويذهب إلى الجنة ومن يفشل يذهب إلى النار وهناك تفاصيل وأعمال وأدعية دقيقة يقوم بها أهله في الدنيا لمساعدته على اجتياز الصراط.

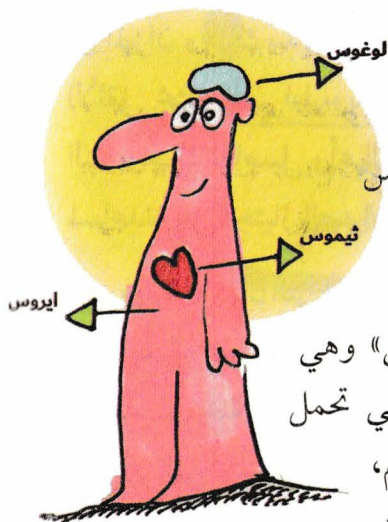
وبقية الأديان التي تؤمن بالآخرة والحساب والعقاب كالإسلام مثلاً أيضاً وضعت صوراً عامة تقريبية ومجازية لما بعد الموت وكيفية الحساب والجنة والنار والبرزخ ليست بعيدة عن الزرادشتية.. أما الأديان التي تؤمن بالتناسخ في الدنيا فيكون العقاب دنيوياً.

ويظل الموت والفناء السؤال الأكثر غموضاً، رغم أنها أكثرها وضوحاً و يقيناً، فقد يشك الإنسان في أنه يعيش في الحياة مثل ديكارت أو يظن أنه ظل للحقيقة العظمى مثل الصوفية.. ولكن الموت لا أحد يشك فيه ولا أحد يظن... ولعل الموت هو سبب وجود كل هذه الأديان كما قال «ديورانت» ومن دون وجوده يفقد الدين أهميته، ومن دون الموت سيشتكي الرهبان من سوء حالهم بعد أن يترك الناس الكنائس كما في رواية «انقطاعات الموت» الذي تخيل فيها سارماغو مجتمعاً توقف فيه الموت فجأة!

بحث في الروح قبل البحث في الموت

هل هناك شيء اسمه الروح، أو النفس كما يسميها البعض منفصلة عن الإنسان ومخلدة بخلاف الجسد؟ لنأخذ جولة فلسفية سريعة:

لوغوس، ثايموس، آيروس (١٣٧)



أفلاطون يقسم الإنسان إلى ثلاث قوى، اللوغوس وهو العقل والتفكير، والثايموس المرتبط بالنفس والعاطفة والوجدان، والآيروس وهو مرتبط بالرغبات والشهوات الجسدية، ثم يقول هناك ما يسمى بـ«السايكي» وهي الروح الأبدية غير المادية، وهي التي تحمل المعرفة الفطرية التي نزلت إلى هذا العالم، نزلت في أجسادنا وعند موتنا تولد من جديد في جسد مادي آخر... وهكذا تستمر الروح بالانتقال في حالة من التناسخ!

أرسطو تلميذه رغم إيمانه بالروح والسايكي، ولكنه يدعي أنها تموت مع الجسد مثل كل الكائنات الحية!

ديموقريطس كعادته يعود إلى الذرات: يا سادة لا وجود للروح إننا نموت ونتحول إلى ذرات، وأبيقور يقول باطمئنان، عندما نعيش لا وجود للموت، وعندما نموت لا نشعر بالحياة!

كان بعض فلاسفة اليونان من ضمن طقوسهم في الحياة أنهم يختارون أيضًا موتهم وطريقته لإثبات حريتهم سواء في الحياة أو في اختيار الموت، بل بعضهم بنى كل فلسفته على الموت وتشجيع الموت كخلاص من آلام الدنيا.

إمبيدوكليس.. منع الحمل^(١٣٨)

فيلسوف يوناني عاش حياة غريبة وانتحر بطريقة دراماتيكية، كان مؤمنًا بوجود الروح المنفصلة عن الجسد، ومؤمن بأن هذه الأرواح مسجونة في الجسد، ومع الموت تنتقل إلى جسد آخر وفقًا لعمله وفضيلته، وهكذا تستمر عجلة الولادة بلا انقطاع، ومحاولة الانتحار هي هروب من تنفيذ عقوبة السجن التي أقرتها الآلهة، وسيعاقب عليها المنتحر.

هذا الإيمان «بالجسد السجن» دفعه إلى دعوات غريبة متطرفة، مطالبًا الناس بعدم الإنجاب والتناسل حتى ينتهي عالم الأجساد وتبقى الأرواح، لأن هذا التناسل ما هو إلا بناء لسجون جديدة للأرواح المستعبدة في الأرض.

هيجسياس^(١٣٩)

كان يرى في الموت الخلاص من كل الآلام والشور وأنها الانتحار يؤدي بالإنسان إلى لتخلص من آلامه، من استعباده ومن فقره ومن أحزانه.. وهكذا كان يسير ويدعو الناس إلى الانتحار والموت، ولهذا طُرد من مدينة الإسكندرية بعد أن استجاب له

بعض الناس وزادت حالات الانتحار... وهو بالطبع لم ينتحر
وعاش عمرًا مديدًا، وعندما سئل عن هذا، قال: حتى أنشر
دعوتي!



نعم، هو مثل الذين يعيشون بيننا، الذين يدعون ويشجعون
ويرسلون الناس للجهاد والشهادة وهو يتلذذ بكل فتن الدنيا.

ما هي الحقيقة؟

الحقيقة كامنة بين الروح والمادة، بين ما هو محسوس، نراه،
ونسلمه، ونشمه... وبين ما هو غير ملموس، من أفكار وخواطر
وذكريات، وخيالات... ومع أننا لا نلمسها ولكن لا يعني هذا أنها
ليست حقيقية.

المادي الأول

لعل أول الماديين ممن نعرفهم ووضع فلسفة له هو ديمقريطس، مرددًا: إن العالم عبارة عن ذرات، والإنسان جزء من هذا العالم لا يختلف كثيرًا عن بقية الموجودات، الاختلاف في تركيب ذراته المعقدة، بينما الجملادات تركيبها اقل تعقيدًا، وكما تموت الأشجار والحيوانات ويتتهون ويتحولون إلى ذرات كذلك الإنسان... لا وجود للروح فيه بل مجرد ذرات!

أبيقور

أبيقور -مادي آخر- وهو في حقيقته التي بناها في أثينا وجمع حوله الناس ردد ببساطة، لا وجود لعالم آخر، لا وجود للروح التي تنتقل إلى جسد آخر، ولا إلى روح يذهب إلى العالم السفلي ويعذب، نحن مجرد أجساد أثينا لنستمتع بالحياة ونرحل مثل من سبقونا ومن سيلحقون بنا... وبدلاً من البحث عمّا وراء الموت من خيالات وتصورات علينا البحث في معنى الحياة وكيف نعيشها، فعلى هذه الأرض توجد الجنة!

أفلاطون المثالي

أفلاطون كان واضحًا في فكرته، كنا في عالم المثل عبارة عن أرواح حرة، والروح هي الحقيقة المطلقة الواضحة، ونزلت هذه الأرواح في الأجساد البشرية، وسجنت فيها، ويصيبها النسيان

وتظل جاهلة إلى أن ترتقي وتفكر وتفعل العقل وتذكر وعندها يدرك الحقائق بدلاً من خداعه بالحواس المزيفة، فالحواس خادعة، والمادة مجرد وهم والحقيقة تكمن في العقل والروح!

الإنسان المعلق في الفضاء

ماذا لو أتينا بشخص، وأغلقتنا عينيه وعلق في فضاء غرفة مظلمة، لا يلمس ولا يرى ولا يسمع ولا يشم شيئاً، هنا في هذه اللحظة نتساءل بماذا سيشعر هذا الإنسان؟ إنه سيشعر بذاته، وذاته هنا ليست جسده المادي وحواسه، بل يشعر بذاته وروحه، أنها تكشف حقيقته الروحية!

• لا ضوء.. لا صوت.. لا رائحة.. لا ملمس ولا طعم

لا شيء سوى فضاء مظلم وفراغ وأنا معلق



روح شفاقة تكشف عن نفسها!

هكذا تأخذ روحك في رحلة لا تدركها الحواس ولا تفهمها العقل

هذا المثال ذكره ابن سينا ليثبت وجود الروح، إنها الروح التي
نزلت في الإنسان صافية ورغم وجودها وكشفها عن نفسها، إلا أن
العيون تعجز عن رؤيتها... لأنها أعلى مقامًا من الحواس.

ديكارت

من قبل قلنا بأن ديكارت في الكوجيتو الديكارت، لم يثبت
وجوده الجسدي، بل إن شكه أدى إلى إثبات وجوده ككائن مفكر
يشك وليس كائنًا له جسد، وهذا يعني أن العقل هو الأساس في
المعرفة، وأنه عن طريق العقل في إمكاننا أن نصل إلى الله، وأن نثبت
وجود الكون المادي.. فالوجود الحقيقي هو وجود العقل قبل
الجسد.

دماغ في وعاء

هيلاري بوتنام، طرح فكرة بسيطة، ماذا لو لدينا عقل مفكر
وهذا العقل موصل بجهاز الكمبيوتر ومن خلال العقل يقوم
بنشاطاته من قراءة وحديث وتخيل وكلام ومشى ولعب ونوم،
إنه يقوم بكل شيء من دون الحاجة إلى جسد، فهل هذا يعني أننا
مجرد عقول نتذكر وتختل وأن الأجساد مجرد واجهة أشبه بشاشة
كمبيوتر؟!!

الفصل الثالث

الله

لا وجود لدليل مقنع
على وجود الله!

بل لا وجود لدليل
واحد على عدم وجود
الله



«يقال» إنه يومًا ما، كان

الفخر الرازي^(١٤٠)، - من كبار

رجال الدين في عصره - خارجًا من

مدرسته في نيشابور وخلفه جمع من

تلاميذه يحدثهم ويحدثونه، فرأتهم سيدة

عجوز، فسالت أحدهم: من هذا؟

فقال لها: إنه الشيخ الفخر الرازي!

- وماذا يعمل؟

- إنه عالم كبير بحث في ألف دليل على وجود الله.

فقالت: من لديه ألف دليل على وجود الله، يعني أن لديه ألف

شك في وجوده!

فمسمع الشيخ الرازي ما قالت فردد كلمته الشهيرة: «ليتني

أموت على ما ماتت عليه عجائز نيشابور»، وهي إشارة إلى عدم

انظر الى الرحمة
الالهية حولك أليس
دليل على وجوده؟

لا أرى سوى الامراض
والمجاعات والكوارث
والفقر!



جدوى البحث العقلي في الله،
وأن الإنسان عليه أن يؤمن فقط
وأن يملك عقيدة صادقة في هذا
الموضوع.

هذا البحث لعله من أكثر
القضايا تعقيداً وحساسية عند
عامة الناس، خاصة وأنها
تتعدى كما يرون على حدود

الأديان وسلطة رجال الدين، ولهذا كان البحث أو التشكيك
والتساؤل أو حتى إثبات وجود الله بطريقة مختلفة قد يؤدي إلى
محاسبة الفرد بتهم الزندقة والهرطقة ويحكم عليه بالموت.

ومع ذلك لم يتوان أهل البحث والفكر عن طرق هذا الباب،
فلا يمكن أسر الأفكار، ولا سجن التساؤلات، إنها موجودة في
العقل الإنساني القلق الباحث عن الحقيقة.

الفلاسفة المؤمنون والملاحدة

عادة لا يقسم الفلاسفة وفق هذا التقسيم، فالتقسيمات
الفلسفية تكون خاضعة للمناهج التي يتبعونها لا وفقاً لآرائهم
الجزئية في الميتافيزيقا وغيرها، وأصنفها هنا لأوضح الفارق، فغالباً
ما يهتمون الفلاسفة بالإلحاد رغم إيمان كثيرين منهم بالله، ولكن
طريقتهم المختلفة في الإيمان جزء من مبررات اتهامهم بالإلحاد

والخروج عن جادة الصواب، فالتفكير الديني الذي يعتقد في النصوص الدينية منجاة وملاذاً وطريقاً كافياً للوصول إلى الله، يرى في محاولات الفلاسفة في إثبات وجود الله عبثاً وانحرافاً!

هل الفلاسفة المؤمنون بالفعل مؤمنون؟

وفقاً لرجال الدين في جميع الأديان هم ملاحظة حتى لو كانوا مؤمنين، والسبب كما ذكرنا لأنهم يسلكون طريق العقل في إيمانهم، وليس الوحي والأنبياء، وليس لأنهم لا يؤمنون بوجود الخالق بل لأن أغلب هؤلاء الفلاسفة غير مؤمنين بالأديان من عقائد وتشريعات وأنبياء، كما أن نظرهم إلى الله مختلفة بالكامل عن نظرة رجال الدين!

لا وجود لاله ولا
حساب
بعد الموت ان لم يكن موجودا
تساوينا وان كان موجودا انت
تخسر وانا اربح!



وفي المقابل هناك بالطبع من فلاسفة العصور الوسطى من رجالات الدين الذين بحثوا وأثبتوا وجود الله وكانوا متوافقين وداعين إلى الكنيسة، بل وجعلوا الفلسفة خادمة للدين.

الفكرة الأساسية للمؤمنين بالله هو هذا التساؤل: بما إن الوجود لا يمكن أن يخلق ذاته، ولا يمكن أن يأتي من لا شيء، وبالتالي يحتاج إلى خالق، وهذا هو المرتكز الأول، فلا بد من علة أولى، و«واجب الوجود» الذي خلق كل «ممكن في الوجود»!

ولماذا استثنيت العلة

الاولى من قاعدة لكل علة معلول؟!

لكل علة معلول

ولا بد من علة أولى!



-الفيلسوف الكندي طرح أربعة ادلة على وجود الله، أهمها دليل العناية والغائية، حيث وضع الكندي أمثلة شتى حول عناية الله بالإنسان والكائنات، فالعلة الأولى والفاعلة وهو الله، وضع نظامًا دقيقًا لكل شيء، من مسافة الشمس إلى القمر وكيف أن كل شيء بمقدار محدد غايته رعاية الإنسان، ولا يمكن أن يتم كل هذا النظام الدقيق من دون وجود

منظم عظيم قادر على صنع هذا النظام، ثم أضاف دليل الحدوث فكل ما حولنا «حادث» فإن، يولد ويفنى، ولا بد له من محدث وهذا المحدث هو الله.

- القديس أنسلم ذكر دليلاً آخر وهو دليل مرتبط بالعقل فقط، حيث وضع دليله من خلال تصور حوار مع احمق، حيث يبدأ بفكرة أنه لو فكرنا في كائن عظيم ذي قدرة عظيمة فلا شك سنصل في النهاية إلى الله، وهذا يعني أن إدراكنا لله يحصل بمجرد التفكير فيه.

- ديكارت ذكر دليلاً عقلياً مشابهاً، وهو: أليس الإنسان يفكر في «الكمال»؟ ولكن من أين أتت فكرة الكمال؟ لا يمكن من الإنسان نفسه لأنه «ناقص» لا يمكن أن تنتج منه فكرة الكمال، ولا يمكن أن تأتيه الفكرة من كائن آخر ناقص، ولا يمكن أن تأتيه من الطبيعة الناقصة، إذن لا بد من وجود كائن كامل هو الذي وضع هذه الفكرة في عقله، وهذا الكائن الكامل الذي لا يخدعنا هو الله الكامل الذي زرع فكرة الكمال في عقولنا، وهذا دليل على جوده!

- توما الأكويني ذكر خمسة أدلة على وجوده، منها دليل الحركة وأن كل شيء في الكون متحرك، ويحتاج إلى محرك خارجي وهذا المحرك هو الله الذي يأتي في آخر سلسلة المحركات، الله الذي يحرك كل شيء وهو غير متحرك.

ثم يضيف دليل العلة الفاعلة ولكل شيء معلول ويستحيل أن

يستمر إلى ما لا نهاية ولا بد في النهاية الوصول إلى علة أولى لكل شيء وليس له علة وهو الله.

ويذكر أيضًا دليل أن كل شيء في الكون ممكن الوجود قد يوجد وقد لا يوجد، ولكن هناك ما هو وجوده ضرورة لكن هذا الممكن وهو الله «واجب الوجود».

**تؤمن بطبيعة صماء خالقة
الكون ولا تؤمن باله عاقل
مفكر هو من خلق الكون**

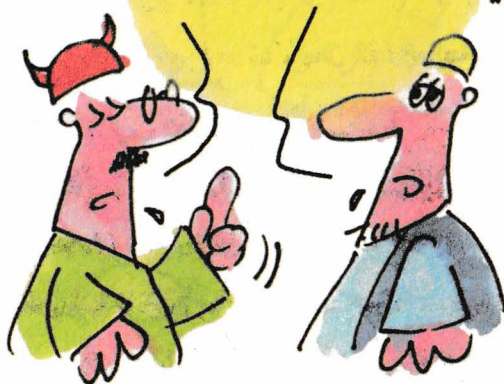
**الطبيعة هي خالقة
كل شيء**



- ابن طفيل في كتابه «حي بن يقظان» يحكي قصة الإنسان الذي وجد نفسه في جزيرة معزولة عن العالم، ومن خلال مشاهداته وتفكيره يصل إلى فكرة وجود الخالق بدون تأثيرات دينية، ورغم أنه يبدأ بالطرق الحسية لإثبات الخالق فإنه يشير إلى أن التفكير في الخالق عملية فطرية، لمن لم يتدنس بالتأثيرات البشرية.

وبصورة عامة فإن الأدلة عادة تكون مرتبطة ومتمحورة حول دليل العلة الأولى، ودليل النظام، ودليل العدالة وتفرعاتها، بالإضافة إلى ما يراه رجال الدين من أن الأدلة الشرعية المرتبطة بالنصوص الدينية أكثر ثباتًا وأولى أن تتبع ولا حاجة بالناس إلى اتباع هذه الأدلة العقلية.

**فكرت بتنين له ثلاثة
رؤوس فهل يعني انه
موجود؟!
بمجرد التفكير بوجود
كامل عادل قادر
يعني وجوده..**



فقد طالب الإمام الغزالي بـ«إلجام العوام عن علم الكلام» لأنه مفسدة ولا يمكن للعقل الجزئي معرفة الكلي وهو الله، وأشار ابن خلدون^(١٤١) إلى نفس الفكرة، حيث شبه من يريد قياس الله بالعقل «مثل رجل رأى الميزان يزن الذهب، فطمع أن يزن الجبال».

فكرة الإلحاد بوجود خالق ليست جديدة ولا من تأليفات الغرب أو التطور العلمي، بل هي قديمة وذكرت في القرآن على سبيل المثال، عند الحديث عن فئة اجتماعية تردد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(١٤٢) إنهم لا يؤمنون بوجود إله، ولا حساب ولا عقاب، بل حياة ثم موت ونهاية، وهذه الفكرة كانت منتشرة في الشرق، سواء في الهند أو فارس أو الجزيرة العربية.

الملايين من البشر
قتلوا بسبب الاديان
وهل الحرب العالمية
الاولى والثانية كانت بسبب
الدين؟!



عادة ما يخرج بعض رجال الدين الذين يرتادون القنوات التليفزيونية أكثر من المساجد، ويتحدثون عن تصنيفات الملاحدة، ثم يزعمون أن انتشارها بسبب الأمراض النفسية، أو التفكك

الأسري، أو الانفلات الأخلاقي، أو المخدرات، أو التأثير وتقليد الغرب واتباع الهوى، أو المثلية أو الماسونية... وكل هذه الأمور لا علاقة لها بالإلحاد، فمثل هذه الأمور قد تكون سبباً ومقدمة في توجه الإنسان إلى الإيمان والتقوى.

وهل الخيري قتل من لا
يؤمن بالله؟

الإيمان بوجود اله
وازع أخلاقي ضد الشر



الإلحاد ليس حركة أخلاقية اجتماعية بقدر ما هي فكرة يصل إليها الفرد في رفض فكرة الإله الخالق، وهذا التفكير لا يغير من سلوكياته وأخلاقياته، فالقيم الأخلاقية الذاتية لا علاقة لها بالإيمان العقائدي، والقول إن الإلحاد هو باب للانفلات الأخلاقي والتحرر الكامل من أي التزام أخلاقي كما يقول أصحاب الفكر الديني يقابله رد من الجانب الآخر بأن الدين قد يساهم في

الانفلات الأخلاقي، والسبب هو وجود خط رجعة، وصكوك الغفران الجاهزة... وبيوت الدعارة - في القرون الوسطى - كانت ملاصقة للكنائس في أوروبا، يدخلها المذنبون ويخرجون منها إلى الكنيسة مكفرين عن ذنوبهم بالاعتراف مع بعض التبرعات التي تشعره بالراحة وترضي الكاهن، وكثير من مجرمي التاريخ وطغاته كانوا يحملون الكتاب المقدس في اليد اليمنى والسيف في اليد الأخرى، ولهذا لنبعد عن هذه التصنيفات الشعبية، التي تحمل وجهين متضادين، ولنترك «هوشاتهم» ونصف الملاحظة بطريقة محايدة «تقريباً».

أنوع الإلحاد

١- الإلحاد الأيديولوجي، الذي يشكل أيديولوجية عامة للإنسان، كالإلحاد الماركسي، «كارل ماركس» الذي تشكل المادية أساس فلسفته، ولا وجود لأي ميتافيزيقا ولا ما وراثيات وغيبيات أيًا كان المسمى، والذي يرى في المؤسسات الدينية راعية للسلطات وعائقًا أمام تحقيق الحتمية الماركسية، ولا يمكن تحقيق هذا الحلم الأيديولوجي مع وجود هذه الأفكار الدينية، وحديثي هنا عن البناء العام الذي تقوم عليه الماركسية، وليس الأفراد أو الماركسية كروية اجتماعية أو حل لمواجهة الرأسمالية، ولهذا لا غرابة في أن يدمج الأفكار الماركسية والدينية معًا كحل مناسب لقضايانا ومشاكلنا الدنيوية.

٢- الإلحاد الوجودي - جان بول سارتر كمثال- وهو المرتبط بالوجوديين الملاحدة، الذين يرون أن وجود الله مناقض لطبيعة الإنسان الحر، لأنه يقيد حريته ويحوّله إلى إنسان مجبر خاضع للقدر، وغير قادر على تغيير ماهيته، ووجود الله عائق أمام تحقيق فطرته وهي الحرية، فإما أن تكون مؤمناً بالآله وتتخلى عن فطرة الحرية الإنسانية، وإما أن تتمسك بحريتك وهذا يعني بالضرورة التخلي عن فكرة الإله المقيّد والمتابع والمقرّر سلفاً قدرك.

٣- الإلحاد الفلسفي، الذي يقوم بناء على بحث حول أدلة وجود الله ونقضها، مثل ديمقريطس، تشارلز بيرس، شوبنهاور، فيجل، نيتشه وغيرهم حيث إن منهجيتهم أوصلتهم إلى رفض فكرة وجود الإله الخالق المسيطر!

مات كل من قال ذلك
وبقي الله

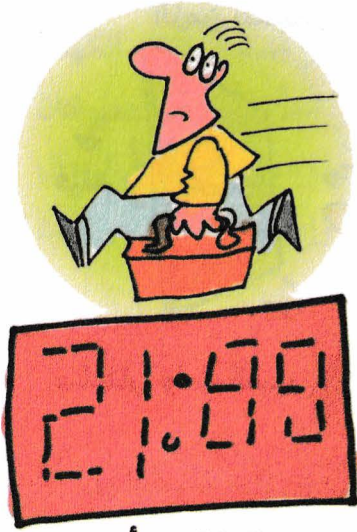
مات الإله



هناك تصنيفات كثيرة حول الإيمان بالله ولا تقتصر على المؤمن
الملتزم بدين معين أو الملحد بالله، فهناك فلاسفة مؤمنون لا دينيون
لا يؤمنون بالأديان والأنبياء، وهناك لا أدريون في حالة من الشك،
وهناك من يراه مثل صانع الساعات الذي بنى الكون ولم يعد
يتحكم فيه، وهناك من يراه موجودًا في كل شيء..فقضية الإيمان
بالله ليست بتلك البساطة بأن نجواب عليها بنعم أو لا!

الفصل الرابع

الزمن



دائما الزمن أسرع

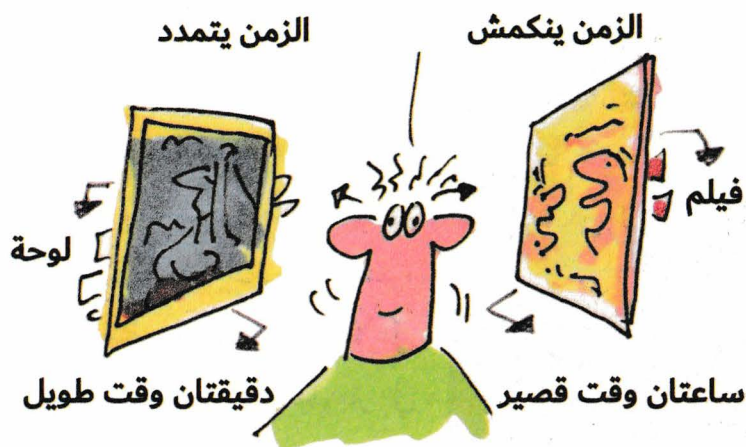
نعرف أن الساعة الآن الخامسة
من يوم السبت ونعرف الشهر
والسنة، ونعرف أن فلانًا عمره
خمسون سنة، ونعرف أن الحد الأعلى
المسموح للقيادة ١٠٠ كيلومتر في
الساعة، ونعرف أنه في ٢٠٠٣ سقط
صدام حسين، وفي سنة ٢٠٢٤ ستقام
الأولمبياد، وتم اختراع الساعات

الشمسية، والرملية، والمائية، والإلكترونية لقياس الزمن، ولكن
هل نعرف ماذا يعني الزمن؟!

«الزمن» فكرة مغرية للإنسان، ولهذا يرتحل ليقف تحت
الأهرامات، ويجلس صاغراً عند أبي الهول، وروحه تتعلق بالماضي
وهو يسير بين أعمدة معبد الكرنك، يقوده المكان إلى زمان مختلف،

وقد يتذكر الماضي بكل تفاصيله رغم أنه لم يعيش في تلك الفترة،
يفتقد الجسد شعوره الآني والعقل زمنه الحاضر في لحظة ما، وكأننا
نتحكم في الزمن، أو كأن الزمن يلعب لعبته معنا فيطول هنا، ويقصر
هناك، نشعر بخفته لحظات، وبثقل حركته في لحظات أخرى.

المدينة الجامدة



في الطفولة خيالي أو صلني إلى تخيل أنه في لحظة ما، العالم كله
سيتوقف، الناس والكائنات وكل شيء، فقط أنا أتحرك وأعيش
بينهم، عندها أستطيع معرفة ماذا يفعل الناس الذين أعرفهم في هذه
اللحظة وهم متصنمون بلا حركة، وأستطيع أن أذهب إلى البقالة
وأخذ ما أريد من دون أن أدفع فلسًا وأرجع إلى البيت، أن أدخل إلى
غرفة أخي وأستعمل أدواته، أن أدخل بيوت الأصدقاء والجيران
وأرى ماذا يفعلون ويأكلون... ماذا لو حصل ذلك بالفعل، في
تلك اللحظة هل الزمن سيكون موجودًا إذا توقف كل شيء عن

الحركة والتغير والنمو؟ هل سيعي الناس كلهم هذه الساعة التي مرت عليهم؟ أم أنا فقط أدرك أن هناك زمنًا؟ ما يعني أن الزمن موجود بالنسبة إليّ فقط دون غيري في العالم!

«أبيماندس»^(١٤٣) الفيلسوف اليوناني، في طفولته كان يرقى الغنم، تعب ثم نام في كهف «زيوس» في جزيرة كريت لخمس وسبعين سنة ثم أفاق من تلك النومة ليكمل حياته من دون أن يشعر بكل هذا الزمن الذي مر عليه، أو مثل قصة أصحاب الكهف السريانية، نتساءل في تلك السنوات التي ناموا فيها، حول هل كان للزمان وجود ومعنى بالنسبة إليهم؟ وهذا الذي يقودنا إلى السؤال التقليدي، هل الزمن مرتبط بالإنسان وإدراكه إياه، أم هو كيان مستقل يعيش فيه الإنسان؟!

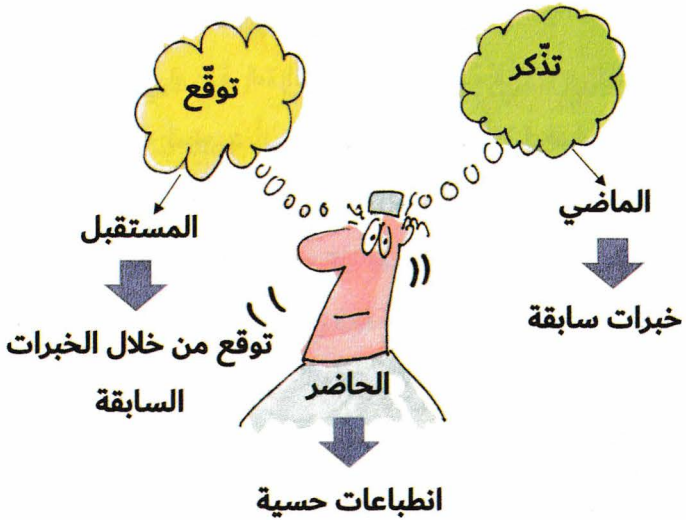
ماضي، حاضر، مستقبل!

عندما تنتهي من قراءة العبارة أو الكلمة فأنت في الماضي، أن تقول «أنا»، فإنه بمجرد أن تصل إلى الحرف «ن» صار حرف «أ» من الماضي، ندعي أننا نعيش في الحاضر.. ولكن ماذا عن الماضي والمستقبل هل نعيشه أيضًا؟! وعندما تقول «الآن» فإنه بنهاية لفظ الكلمة تصبح «الآن» من الماضي وما تقرأه الآن أصبح ماضيًا أيضًا. كشعوب شرقية أعرف أننا نعيش دائمًا في الماضي بأفكارنا وعاداتنا وثقافتنا، ولا يحتاج هذا إلى بحث كثير، ولكنني أتحذّر كأفراد كيف يمكن أن نوفق بين الأزمان الثلاثة؟!

أوغسطينوس

أوغسطينوس حاول حل هذه الإشكالية موضحاً أن الماضي عبارة عن تجاربنا الحسية التي تحولت إلى ذاكرة، أما المستقبل فهو توقعنا للقادم من الأيام والساعات من خلال تجاربنا السابقة، فنعرف أن الشمس ستشرق صباح الغد، ونعرف أن الشمس ستغرب بعد ساعات، ونعرف أن الشتاء قادم بعد أشهر، ونعرف أن القطة ستلد بعد أشهر وهكذا... أما الحاضر فهو الانطباعات الحسية وتجربتنا الحسية لما حولنا.

فعند أوغسطينوس الحاضر موجود وحققي، والماضي والمستقبل أيضاً حقيقيان من خلال الذاكرة والتوقع، أنت تتوقع ما سيحصل غداً ولهذا تجهز نفسك للغد، تتوقع أنك ستسافر غداً ولهذا تعد حقيبتك الآن، هذا التوقع هو ما يجعل المستقبل أيضاً حقيقة!



هذه التقسيمة مقبولة إلى حد ما عند كثير من الفلاسفة، ولا شك أن الإنسان العاقل هو من يدرك العلاقة الزمنية بين الأشياء، ويميز بين الأزمنة الثلاثة، وبما إننا نعيش في مجتمعات «غير عاقلة»، لهذا نستحضر الماضي وصراعاته لنعيش فيها، من دون أن نهتم بحاضر تعيش ييشرنا بمستقبل مظلم!



عبور نهر الزمن

هيراقليطس، كان يؤمن بأن كل ما في العالم متغير، وأن الزمن يعني التغير وكل شيء يتغير بفعل الزمان، فلا وجود لشيء ثابت لا يتغير، وبما إن الزمان يتغير ويتحرك فكل شيء يتغير، قائلاً: ماذا لو

قررت وضع قدميك في النهر اليوم، ثم في الغد قررت القيام بنفس الفعل، هل هذا تكرار لنفس الفعل؟ يجيب بأنه «لا يمكن أن تضع قدمك في ذات النهر مرتين»، لأن الماء الذي وضعت قدميك فيه قد تغير، هو ليس نفس الماء، نعم النهر هو نفسه ولكن الماء تغير، وحتى أنت قد تغيرت بين أول مرة وثاني مرة وكل شيء تغير من حولك، وما دام هناك زمان متغير فكل شيء متغير!

لا عزفك حلو.. ولا صوتك حلو.. ولا

شكلك حلو... أنا أساعدك لأن

المساعدة تشعرني بالسعادة..!



الباب الخامس

الأخلاق

عندما تنهر طفلاً قائلاً: لا تسرق؟

يرد الطفل: لماذا؟

الجواب قد يكون:

لأنه إن سرت ستدخل النار!

أو لأنك سوف تسجن!

أو لأنك لا تحب أن يسرقوا منك!

أو لأنه لن يحبك أحد إذا سرت!

أو لأن السرقة فعل الأشرار!

أو لأنه فعل قبيح!

أو لأن ضميرك سيؤنبك!

أو لأنني قلت ذلك وعليك الطاعة!

أو لأن عاداتنا لا تسمح لنا بذلك!

أو الأكثر واقعية لأنك إذا سرقت ستصبح غنياً ويحترمك الناس
وقد تصبح مسؤولاً ومرشداً ووجيهاً اجتماعياً ويتناسون أنك لص
كبير!

عملك غير أخلاقي.. السرقة قد تسعدك
لعدة أيام ولكنها ستسبب لك الألم
على المدى البعيد!



هذه الإجابات المتعددة - عدا الأخيرة - التي يرددها الفرد
غير الباحث في فلسفة الأخلاق، هي في الحقيقة إجابات تشير إلى
مصدر القانون الأخلاقي الذي تلتزم به، فهناك إجابات مصدرها
الدين، وأخرى مصدرها المجتمع، أو العقل، أو القانون، أو
المنفعة.. فهذه الإجابات التي تبدو سطحية لها أصولها الفلسفية،
فإن قلت لابنك لا تكذب لأن الكذب بذاته خطأ فأنت قريب إلى
رؤية «إيمانويل كانت» الفلسفية الذي قضى عمره تأملاً للوصول
إلى هذه النتيجة!

ذئب بشري

صديقي يعتبر «آلة» تساؤلات، أساسًا كل حياته تساؤلات بلا إجابة، إنه فنان أسئلة، وبالطبع لا يتعب نفسه عناء البحث عن الإجابة قائلًا: إنه يكفيه شرف السؤال... يومًا ما كنا جالسين في المقهى، ففتح هاتفه وقرأ الخبر في موقع للحوادث والجرائم... قرأ أول خبر ثم بدأ حديثه:

القبض على شخصين بسبب فعل غير لائق؟ ثم تساءل ماذا يعني فعل غير لائق، وما هو اللائق حتى نعرف ما هو غير اللائق؟ ومن حدد هذا الفعل؟ هل بالفعل فعل غير لائق هو غير لائق؟ غير لائق لمن؟ ثم تفلسف أكثر قائلًا: في أمريكا أن تدخل إلى مجمع تجاري وأنت تدخن وفي جيبيك السلاح، سيكون التدخين فعلًا غير لائق، أما حملك السلاح فهو حق!

**لماذا.. إذا أغرقت
شخص عمدا.. قد
أعاقب مدى
الحياة.. ولكن إذا
انقذت شخصا من
الغرق.. لا أكافأ مدى
الحياة!؟**



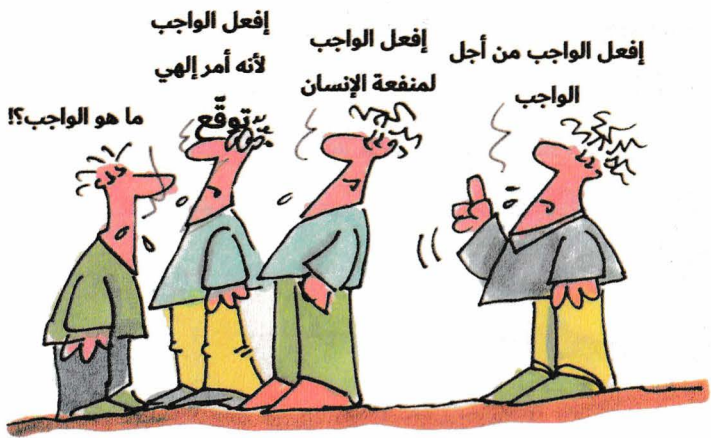
أو اعتقل بسبب الإخلال بالآداب العامة، ما هي الآداب العامة؟ من يقرر الآداب العامة؟ والغريب أن الآداب العامة مرتبطة بمكان الفعل نفسه، دخن هنا وليس هناك، تلبس المايوه هنا وليس هناك، ترقص هنا وليس هناك، تلبس الشورت هنا وليس هناك، فالفعل نفسه مقبول ولكن مكانه غير مقبول، وكأن الآداب العامة مرتبطة بالمكان وليس بالفعل نفسه!

ثم قرأ خبراً آخر عن تغريم امرأة بسبب لباس غير لائق، فقال: لو كنت في فرنسا فيعني لبسها النقاب، أما في أفغانستان فيعني خلعها النقاب، وفي إيران يعني خلعها الحجاب، ولا أعلم لماذا يتحول لباس الإنسان إلى قانون وفعل أخلاقي، ولكنه مثل كل الأشياء التي لا تعني شيئاً يصبح أهم شيء، وتُبنى فوقه ألف قضية ومعضلة، ماذا لو لبست نعالاً أو لبست بيجامة ماذا يضرك هل لبس البيجامة خطر وانتهاك!

ثم أكمل: «ذئب بشري اعتدى على طفلة» وتساءل ما شأن الذئب بموضوعنا، هل الذئب يقوم بالاعتداء الجنسي على الأطفال أم الإنسان من يقوم بذلك؟ إنهم يريدون تبرئة الإنسان من شروره وإسقاطها على الذئب، ولماذا يرى البعض أن الاعتداء على الطفلة قبيح، ولكن الزواج بها جميل وطبيعي!

اقرأ هذا: اعتقال مواطن بتهمة انتهاك شهر رمضان، كيف يمكن أن ينتهك شخص شهراً معيناً؟ كيف يمكن أن تهتك حرمة السبت إذا طارت الطائرة الإسرائيلية في هذا اليوم؟ هل اليوم أو

الشهر سيتأثر نفسياً وسيطالبنى بالتعويض، ما هو المبرر الأخلاقي
لسجن إنسان لأنه شرب الماء!

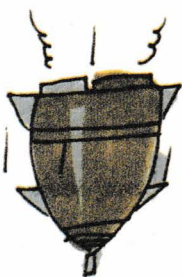


صديقي أنهى حديثه بعد اتصال مهم، وأغلب الاتصالات
ليست مهمة، هي صارت مهمة لأننا نملك الهاتف معنا!

١. ما المقصود بالأخلاق؟

القيم الأخلاقية الكبرى لا علاقة لها بلباس الناس، ولا
أشكالهم، ولا لون شعرهم، ولا بما يشربون ويأكلون، ولا بميولهم
الأولية، الأخلاق مرتبطة بالقيم الكبرى، مثل: العدل والمساواة
والحرية وحقوق الناس بصورة عامة...

نعم بعض السلوكيات قد نعتبرها غير لائقة اجتماعياً، وبعض
الأطعمة قد تكون محرمة دينياً، أو مقرفة ذوقياً في المجتمع، ولكن
لا علاقة لها بالقيم الأخلاقية المرتبطة أساساً بالتعامل مع الآخرين



وحفظ حقوقهم، فلا أخلاق من دون وجود طرف آخر وهو المجتمع كما يقول «دوركايم»^(١٤٤)!

مضطرين إلى قتلك

إنقاذاً للبشرية



فشرب الخمر مثلاً وبعض الأطعمة ونوع اللبس والسلوكيات الاجتماعية كثير منها لا يدخل في باب الأخلاق، بل هي العادات والتقاليد والمحرمات الدينية والنواهي الاجتماعية، ولا وجود لمقياس أخلاقي لها، إلا إذا سببت ضرراً للآخرين وسلبت حقوقهم عندها تصبح أفعالاً لا أخلاقية!

نصائح فيلسوف الأخلاق؟

إنه يبحث عن أصل وطبيعة الأخلاق، وعلاقة الإنسان بالبيئة التي تحيط به، ولكنه لا يقدم المشورة الأخلاقية، ولا يقدم النصائح الأخلاقية، وليست وظيفته أن يحدد للناس ما يفعلون أو لا يفعلون، فهو ليس رجل دين يقدم النصائح، ولا باحثاً اجتماعياً، بل مهمته بحث القضايا الأخلاقية بصورة مجردة، سواء كانت عامة حول قضايا القيم الأخلاقية أو الأخلاقية العملية المرتبطة بالمشكلات الأخلاقية الحياتية التي تواجه الإنسان، فهو يبحث الأخلاق كما ينبغي أن تكون لا ما هو كائن!

العلم والأخلاق

المجتمع المتخلف علمياً، هو مجتمع «قليل الأدب»، و«قليل التربية»، المصطلحان السابقان يعتبران من الشتائم في عرفنا، ولكنه واقع، فضعف التربية، وعدم وجود أخلاق حضارية تطوّر المجتمع هي أزمنا الحقيقية، فلا وجود لمجتمع ينتج ويكتشف ويخترع وينتج دون قيم أخلاقية تدفعه إلى ذلك.

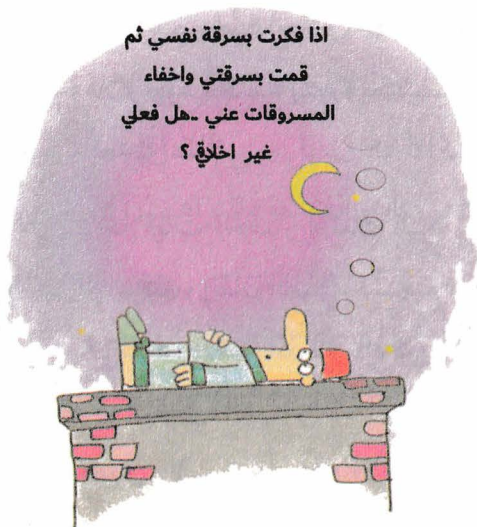
والقصد من الأخلاقيات الحضارية تلك التي ترفع من شأن المجتمع، مثل احترام الوقت، إتقان العمل، تشجيع وحرية البحث العلمي، خصوصية الفرد، دعم الملكية الفكرية، تقدير العلم والعلماء، تشجيع الفكر النقدي، الديمقراطية السياسية والاقتصادية والثقافية، احترام حقوق الإنسان... هذه الأخلاقيات تساهم في دفع عملية التطور في المجتمع!

ولا شك أن القيم الأخلاقية هي الضابط للبحث العلمي والتطور التكنولوجي، حتى يصب في صالح الإنسان!

قبل سنوات قرأت خبراً حول ارتفاع صادرات الأحذية المصرية إلى ألمانيا بوتيرة عالية ما أثار استغراب الجميع، وبعد البحث تبين أن سبب استيراد ألمانيا الأحذية وهم المتخصصون في هذه الصناعة أن الأحذية رخيصة ولهذا تستخدم للأموات.

هذه الحادثة تشير بوضوح إلى قيمة أخلاقية، فأن تقف أمام حذائين صنع أحدهما في ألمانيا والأخرى في بلد عربي لا شك

ستشتري الألماني، لماذا؟ لأنك تعرف أن هناك من يهتمون بقيمة أخلاقية وهي «إتقان الصنع» وهي قيمة نفتقدها هنا حيث تمشي الأمور وفق «التساهيل» و«البركة».



ماذا يدرس علم الأخلاق؟

«يدرس كل سلوك متعمّد إرادي، يقوم به الإنسان، بوعيه الكامل، واعياً بنتائج فعله أو قوله، ويمكن أن نحكم على فعله بأنه خير وشر..»

ماذا تعني هذه الجملة؟

تعني أن الحكم الأخلاقي لا يصدر على الخراف والأسود والثعالب لأنها غير مدركة لأفعالها، ولهذا لا يمكن أن نعتبر العقرب كائنًا لا أخلاقيًا وشريرًا فقط لأنه يدافع عن نفسه!

وتعني أننا لا يمكن أن نحكم على فعل إنسان مجبر على عمله،
ودون إرادته، كأن يُهدد بالقتل أو يعذب إن لم يسرق أو يكذب!

وتعني أن تصطدم بسيارة أخرى دون عمد ولا إهمال، لا يعتبر
فعلًا إراديًا، كما أن شخيرك في أثناء النوم لا يعتبر فعلًا لا أخلاقيًا
لأنه ليس بإرادتك!

وتعني لا يمكن أن نحاسب الأطفال، ومن يعانون من خلل
دماغي، على أفعالهم، فهم غير مدركين لعواقب ونتائج فعلهم!
وتعني أنه لا يمكن أن نحكم على فعل إنسان غير قادر على أداء
واجبه، كأن نحاسب شخصًا على عدم التبرع بالمال للفقراء وهو لا
يملك المال، أو لم يساعد غريقًا لأنه غير قادر على السباحة!

وتعني أن يكون ذوقك رديئًا في الملابس، أو قصة شعرك
مضحكة، أو تأكل أكالات غريبة، أو تجلس على البحر، أو تشرب
القهوة، أو تقرأ الشعر، أو تلعب الكرة، فكلها أفعال لا يمكن
الحكم عليها بالخير والشر حتى ندخلها ضمن الأخلاق!

٢. الأخلاق علم معياري

الفلسفة الأخلاقية لا تدرس ما هو كائن، ولا ما هو موجود في
المجتمع، ولا تهتم بنسبة الجريمة في المجتمع، لا تهتم بالإحصائيات
والسلوكيات... إنها علم معياري، بمعنى أنه يبحث في أسس
الفضيلة، معنى الصدق، معنى العدالة، ويضع لها مفاهيم واضحة

ودقيقة حتى تكون معيارًا يلتزم به المجتمع... إنه أشبه بمخترع الترمومتر الذي وضع معيارًا لقياس درجات الحرارة.

تملق	→	صداقة	←	كراهية
شجاعة	→	شجاعة	←	جبن
إسراف	→	كرم	←	بخل
جشع	→	طموح	←	كسل



وعندما نقول «معياري» ليس يعني فقط علمًا نظريًا لا يطبق، بل هو يضع أسس الأخلاق للفرد والمجتمع والدولة، ويفترض في الدول الالتزام بها، فإن تأصيل مبدأ الحقوق الإنسانية لا يعني نشره بالكتب بل علينا السعي إلى تطبيقه في الدساتير والقرارات والقوانين الدولية.

المثل الأعلى

لا تفكر البقرة يومًا في أن تنتج العسل، ولا تفكر الفيلة في الطيران، ولا تفكر الثعالب يومًا بالتوبة والعمل ككهنة في المعابد يرشدون الناس إلى الصلاح وتنصحهم بعدم الخداع -رغم شكى في وجودهم بكثرة- الإنسان هو من يسعى إلى الارتقاء بالمثل الأخلاقية، أن يرتقي من حالة الجبن إلى الشجاعة، من البخل إلى الكرم ومن الكسل إلى النشاط، من الإنسان العادي إلى السوبرمان... هذا الارتقاء هو ما يسمى بالمثل العليا أو السعي إلى المثل العليا.

أساعد وأسعد فقيرًا أم أساعد وأسعد نفسي؟

عندما أساعد محتاجًا، هل هذا الفعل يعتبر أخلاقيًا لأنني ساهمت في مساعدة شخص فقير ومحتاج، أم أن هذه المساعدة تساهم في شعوري بالسعادة؟ أصحاب مذهب المنفعة يشيرون إلى أن الفائدة للطرفين، سواء الفقير الذي حصل على المال أو الغني الذي شعر بالسعادة وعدم تأنيب الضمير لأنه يساعد الفقراء من الأموال الكثيرة التي اكتسبها -ولعل الثري الذي سلب الفقراء أموالهم هو نفسه الذي يقدم إليهم المعونات من الاموال التي سلبها منهم-، ومالك البنك الذي يستغل حاجة الناس إلى الفوائد الربوية العالية هو نفسه من يتبرع للفقراء الذين يطردون من بيوتهم بسبب عدم تسديد قروضهم، والآباء الذين يسعون إلى إعلاء شأن

أبنائهم هدفهم جلب المنفعة الشخصية لهم قبل إبنائهم لتشعرهم
بالنجاح!

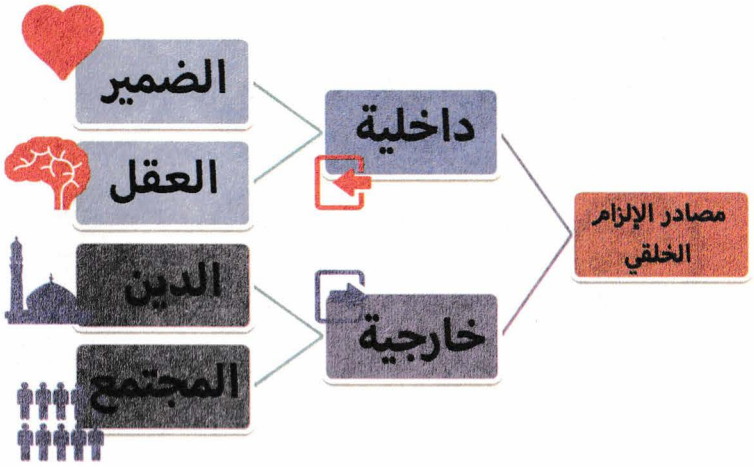
إنهم يربطون الفضيلة باللذة، وأن تكون فاضلاً يعني أن تكون
سعيداً، واللذة هنا تعني اللذة الروحية والنفسية!

قاعدة بتام وميل

طرح بتام^(١٤٥) قاعدة بسيطة، بعد ربطه السعادة بالأخلاق
والمنفعة واللذة، وهو تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من
الناس، هذا ما يجب أن يفعله الفرد والمؤسسات، والنظام السياسي.
ولهذا على الدولة أن توفر المدراس، والعلاج الصحي، ووسائل
المواصلات المريحة، والمتنزهات، والأندية، والمنازل الرخيصة،
وفرص العمل... وبهذه الوسيلة تحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر
قدر من الناس، وعندما يكون المجتمع مرفهاً سعيداً يصبح الأفراد
بدورهم سعداء!

في حين أمام فكرة المجتمع السعيد الذي يؤدي إلى جعل الفرد
سعيداً، طرح جون ستيوارت مل رأيه النفعي في الأخلاق بصورة
مغايرة، حيث يجب تقديم الفرد على سطوة وسلطة المجتمع،
فالفرد السعيد والأفراد السعداء هم من يجعلون المجتمع ذا منفعة
وسعيداً.

٣. مصدر الأخلاق



ما هو مصدر أخلاقنا؟

هل بالفعل هناك خير وشر أم نحن من وضعنا هذه المسميات؟

هل الدين يدعونا إلى اتباع الخير لأنه خير؟ أم لأن الدين دعانا

إليه فاعتبرناه خيرًا؟

من أين عرفنا أن الصدق عمل خير والكذب شر، لعله

العكس؟

لماذا اعتبر البعض أن كذب الزوج على الزوجة حفاظًا على

الأسرة عمل أخلاقي؟ وكذب الزوجة على زوجها غير أخلاقي؟

ماذا لو عملت عملاً نتیجته خير بالنسبة إليّ، وشر على

الآخرين، فهل هذا عمل أخلاقي؟

ماذا لو كذبت على الناس لمصلحتهم، هل هذا شر؟

هل الكذب على الأطفال لصعوبة تلقينهم الحقيقة يعتبر خيرًا أم شرًا؟

لماذا عندما اقتل غزاةً أعتبر مجرمًا، ولكن عندما أقتل الأعداء وأنا في الجيش يعتبر عملاً بطوليًا؟

لماذا يحق للدولة محاسبتني أخلاقياً ولا يحق لي محاسبتها؟
لماذا تعتبر سرقة الماء من الدولة مثلاً فعلاً غير أخلاقي، من قرر أن الدولة هي مالكة الماء؟

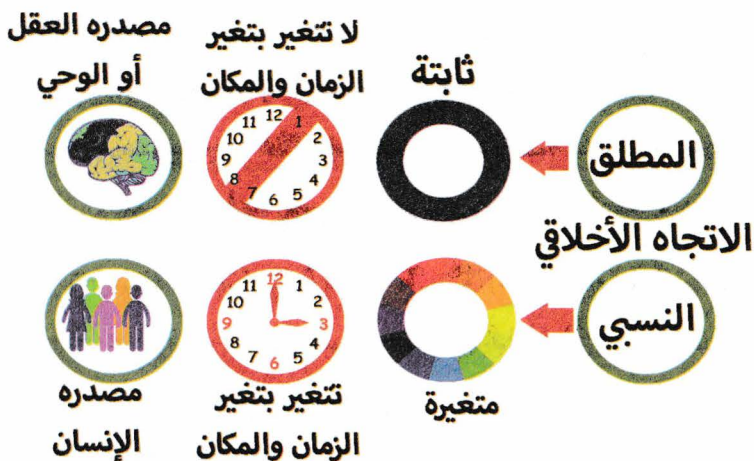
لماذا أصبح التدخين عملاً غير أخلاقي في الأماكن العامة؟!
مليار هندوسي يعتبرون أكل لحم البقر فعلاً غير أخلاقي؟
فلماذا لا نعتبره فعلاً غير أخلاقي أيضاً؟!

لماذا شرب الخمر عند المسلمين فعل غير أخلاقي وعند اليابانيين دليل الكرم؟

مئات الأسئلة الأخلاقية العامة يطرحها الفرد مع كل فعل يقوم به، سواء داخل الأسرة أو في العمل أو في تعامله الاجتماعي، ويبحث عن إجابات دقيقة، وغالبًا ما يختلف الناس في الإجابات والسبب اختلاف المصدر الأخلاقي لكل منهم!

الأخلاق التجريبية

الفلاسفة الواقعيون والتجريبيون طرحوا عدة أفكار عن قيمة الأخلاق:



١- لا توجد أخلاق تولد مع الإنسان، إنها ليست فطرية، فكل أخلاقياتنا مكتسبة فلا أحد يولد وفي فمه ملعقة الصدق بل يتعلمها!

٢- لا توجد مبادئ عقلية أخلاقية، ومقولة إن الإنسان كائن أخلاقي مجرد كلام غير مثبت، الأخلاق ليست غريزة ولا يوجد من يعيش وينمو ليقول عليّ أن أكون صادقاً، إنها ثقافة المجتمع التي اكتسبها منهم!

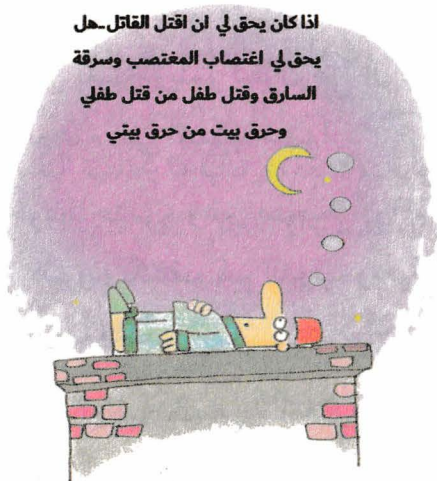
٣- لا وجود للحدس، وغير صحيح أن الله يقذف في قلب الناس النور ويكشف لهم الدرب ويعرفهم الخير والشر من دون مقدمات.

٤- إننا نصنع ونقيم القيم الأخلاقية من خلال التجربة الإنسانية.

٥- الخير والشر ليسا قيمًا في ذاتها بل في نتائجهما، فما يؤدي إلى منفعة ومساعدة الإنسان هو عمل خير وما يضره شر!

٦- هذه القيم ليست مطلقة وعامة بل هي نسبية تختلف باختلاف الشعوب، وباختلاف الزمان، ما كان شرعيًا من قبل كالعبودية أصبح جريمة أخلاقية، ما كان مقبولًا في زواج الأطفال أصبح جريمة، ما كان محرّمًا في خروج المرأة والعمل أصبح ضرورة... فأكل لحم الخنزير يعتبرونه فعلًا لا أخلاقيًا في باكستان أما في الهند فأكل لحم البقر لا أخلاقي، والعلاقات بين الجنسين قبل الزواج في الغرب حالة طبيعية وفي الشرق لا أخلاقية، وهكذا، فلا وجود لمعيار محدد.. نعم هناك اتفاق على العموميات، الكل يتفق على قيمة العدالة والحرية، والاختلاف في التفاصيل والتطبيق.

إذا كان يحق لي أن أقتل القاتل هل
يحق لي اغتصاب المغتصب وسرقة
السارق وقتل طفل من قتل طفلي
وحرق بيت من حرق بيتي



أخلاق العقلين

١- يرى «إيمانويل كانت» أن الأخلاق ثابتة ومطلقة، قيمته ثابتة تمثل القيم الأخلاقية العليا... أما كيف نصل إلى أن هذا الفعل أخلاقي؟ عن طريق العقل!

٢- بالعقل نعرف أنه عمل أخلاقي، ولأنه من العقل فالحكم ثابت لا يتغير، فالعالم كله يؤمن بأن الكذب والقتل والسرقة والخيانة شر.. وهذا يعني أن الفعل الأخلاقي لا علاقة له بالمنفعة، «إنك تفعل الواجب من أجل الواجب» سواء كان مضرًا لك أو مفيدًا، أنت تقوم بواجبك عقلاً.

ما تفعله من فعل لنفسك تضعه قاعدة عامة، وما تنصح به الناس يصبح قاعدة لك، ومن يطالب بمنع التدخين عليه الالتزام أولاً بالمنع، ولهذا غالبًا ما يكون رجل القانون أول الناس عرضة للنقد إن خالف القانون!

٣- وضح «كانت» أن الإنسان ذو طبيعة عاقلة، وما دامت عاقلة فإذن تتصف بالحرية، والحرية تعني إدراك الخير والشر، وإرادته الحرة يختار ما يناسب العقل، أي الواجب! أنت تختار أن تكون وفيًا بإرادتك -الكلب نعتبره وفيًا دون إرادة منه- وهذه الإرادة تعني الحرية في الاختيار، والواجب عليك أن تكون وفيًا وليس خائنًا حتى لو سبب لك ذلك ألماً شخصيًا!

٤- مصدر الأخلاق من داخل الإنسان، ومن عقله، وإرادته،

من يتبرع بالزكاة ليس فعلاً أخلاقياً لأنه واجب ديني
ينفذه الشخص بأوامر خارجية ومن دون إرادته الكاملة،
وأن تقف للإشارة الحمراء لأنك ملزم بالوقوف قانونياً لا
يعتبر فعلاً أخلاقياً، فالالتزام بالدين أو القانون أو العادات
ليست أفعالاً أخلاقية لأن مصدر الإلزام أتى من خارج
العقل!

٥- لا مكان للعواطف والوجدان والضمير والتجربة في
فلسفة «كانت»، ولهذا كثيراً ما أصيبت فلسفته بالسهام ممن
يرونه قد تجاهل الوجدان والضمير في فلسفته الأخلاقية.

لماذا قررُوا ان من الاخلاق ان اعيش

كخروف اكل الخضروات ولا يحق لي

ان اعيش كاسد اكل اللحوم..؟ من قرر

ان الانسان من الثدييات العاشبة

وليس اللاحمة؟!



١- الاتجاهات الدينية السلفية التي تلتزم بالنص، والتي ترى أن الله مصدر كل شيء، يرون في الوحي مصدرًا للخير، فكل ما يأمرنا الله به خير، وكل ما ينهانا عنه هو شر، سواء كان ذلك مضرًا أو نافعًا لنا... لو تبنت الدراسات أن شرب الخمر مفيد جدًا للإنسان، وأن لحم الخنزير مفيد للصحة وأن الصيام مضر فهذا لا يؤدي إلى القبول به كأفعال أخلاقية، النص واضح والتشريع الديني الأخلاقي غير قابل للتغيير.

٢- أتباع الدين يرون أن النية هي الأساس في كل فعل أخلاقي حتى لو أدى ذلك إلى الشر... أنا نيتي صالحة فإذن عملي صالح، وأحاسب يوم القيامة على النية، وليست النتيجة، فنتي هي التبرع لخدمة المشروعات الدينية ولكن تم استخدام الأموال في دعم الأعمال الإرهابية... دينيًا لا لوم عليّ فنتي خيرة واللوم يقع على من كذب واستخدم الأموال!

٣- يرى أصحاب المصدر الديني أنه عندما يكون المجتمع والتجربة والقانون والعقل مصدرًا للأخلاق فهذا يعني دمارًا اجتماعيًا، وانتشارًا للرديلة، ومجتمعًا غير آمن لعدم وجود مرجعية دينية إلهية ضابطة لأخلاق المجتمع، وأن وجود الدين -الوازع الديني- يساهم في ضبط



المجتمعات أخلاقياً، ويمنعها من
الانهيار والتفكك كما هو حاصل
الآن في المجتمعات اللادينية الغربية!

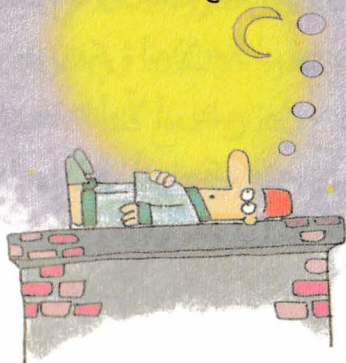
والمعضلة التي تطرح دائماً لأصحاب
النص الديني هي أنهم لا يتطورون مع
تطور مفاهيم المجتمع، وأن التشريع
الديني صار مخالفاً لأخلاقيات المجتمع، وبدلاً من

أن يجاري الدين هذه الأخلاقيات تظل نصوص زواج الأطفال
والعبودية وأحكامها عبارة عن سلوكيات أخلاقية مقبولة دينياً
وتشريعياً، ولهذا يطالب البعض بتغيير النظرة إلى التراث، وفتح
مساحات أكبر للمتغيرات في مقابل الثوابت الدينية.

٤. الأخلاق التطبيقية

الأخلاق ليست مجرد تعاليم معلقة في صدر المجلس، ويقوم
الناس بالسجود لها، وحفظها، إنها ممارسة قبل كل شيء، ولا يمكن
أن ندرس القيم الأخلاقية بعيداً عن الواقع الاجتماعي، ولهذا كان
للفلاسفة دور في كثير من هذه القضايا، كما للمؤسسات في المجتمع
المدني دورها.. وهنا نمر ببعض هذه المعضلات الأخلاقية.

قتل الناس بالكيماوي تعتبر جريمة
وعمل غير إنساني ولايسمح به
القانون الدولي الانساني ..ولكن يسمح
بالصواريخ والقنابل لقتل الناس!؟



المثلية هل هو فعل أخلاقي؟

أثيرت هذه الأيام حقوق المثلية في المجتمعات المدنية الغربية وطرح التساؤل حول مدى أخلاقيتها، وقد ركز الاتجاه الديني والمحافظ عمومًا في فكرة أن المثلية عمل غير أخلاقي في ذاته، ومخالف للفطرة الإنسانية، وهدم للكيان الأسري القائم، وجزء من مخطط غربي ماسوني لتدمير القيم الشرقية المحافظة، وأنها جزء من الحرب الناعمة على الدين... وقد طرح البعض في الغرب أن المثلية هي أمر شخصي، ولكن لماذا علينا أن نميزها في الحقوق؟

ركز الرأي المؤيد للمثلية على الحقوق الفردية وليس في المثلية كصفة أخلاقية أو غير أخلاقية، حيث رأوا في الميول الجنسية حق، وركزوا في حق الإنسان وحرية في اختيار ميوله الخاصة الأولى كالجنس والطعام أو الثانوية كالاتجاهات السياسية والاجتماعية

والدينية، واعتبروا سلب حقوقه مخالفاً للقيم الأخلاقية المرتبطة بالحرية والعدالة والمساواة!

ومن جانب آخر، ما زال بعض المفكرين والباحثين من العلماء - في الغرب - يطرحون فكرة أنه لا خلاف على حقوق المختلفين أيّاً كان نوعهم، ولكن علينا أولاً أن نضع تعريفاً وتحديداً علمياً دقيقاً لمفهوم المثلية بأنواعها، قبل أن نحكم ونصدر الأحكام ونعطيهم حقوقاً قد لا يستحقونها، وما هو مقبول في المجتمع أو الأسرة قد لا يكون مقبولاً قانونياً وعلمياً!

حرق القرآن هل هو عمل غير أخلاقي؟

يرى أصحاب التوجه الديني أن حرق القرآن عمل غير أخلاقي؟ وأن المساس بمعتقدات المسلم أو اليهودي بالاستهزاء والسخرية عمل غير أخلاقي ومستفز؟ ولا بد من احترام عقائد الناس، وحرق القرآن أو أي كتاب ديني مقدس لفئة ما عمل غير أخلاقي ولا يعبر عن حرية الرأي.

في الطرف المقابل يرون أن حرق القرآن أو أي كتاب ديني أو غير ديني، هو تعبير عن حرية الفرد، فهو يعبر عن رأيه بالطريقة التي تناسبه ولا تخل بحقوق الآخرين، في إمكانه أن يسخر ويعارض أي دين، ولكن لا يحق له منع الناس من ممارسة العبادة، فالحرية تتوقف عند سلب حريات الناس، فكما يحق لك حرية العقيدة وممارسة العبادات، يحق للآخر رفض دينك ومعتقداتك!



هل العالم أصبح لا أخلاقياً أكثر؟

يقول برتراند راسل، إنه بقدر سرعة الإنسان في تطوره العلمي والتكنولوجي هناك بطء في تطوره الأخلاقي، وهو يشير إلى تراجع القيم الأخلاقية مع تطور الإنسان، وفي الواقع هناك الكثير ممن طرح هذه الفكرة بأن الإنسان أصبح كائنًا لا أخلاقياً، وأن الأخلاق تنهدم في المجتمع وأن الإنسانية مع كل تطورها تتراجع أخلاقياً.



ولكن كارل بوبر، يطرح رأياً معاكساً ويرى في النظام الاجتماعي الغربي ومؤسساته مثلاً واضحاً على تطور المجتمع أخلاقياً، وأن التطور العلمي والتكنولوجي هو الذي ساهم في سرعة إلغاء العبودية، وهو الذي ساهم في حصول المرأة على حقوقها، وهو الذي ساهم في ارتفاع مساحة الحرية مع إنشاء المطابع.. والواقع أن انتشار مواقع التواصل الاجتماعي حالياً على أكبر قدر من الناس ساهم في إعطاء حرية التعبير لأكثر قدر من الناس، ورأى بوبر بأن راسل تأثر بأفكار ماركس في هذا الرأي!

حقوق الإنسان والمساواة

في أثينا مهد الديمقراطية،
كان حق الترشيح والانتخاب
والمشاركة في الرأي خاصة بالرجال
الذي يولدون من أبوين أثينيين
فقط، أي كان هذا الحق
خاصًا بمجموعات صغيرة
وسط مدينة أثينا المليئة بالعبيد

والوافدين عليها من صناع ومزارعين
وتجار ممن استقروا فيها، وحتى هذه الديمقراطية كانت تترنح أحيانًا
ويسيطر الطغاة عليها بين فترة وأخرى!

وقد قام الفيلسوف سولون الذي حكم أثينا لعقد من الزمن
بإلغاء القوانين الجائرة ووضع قوانين جديدة تحرر العبيد ممن تم
استعبادهم بسبب الديون وتوفير نظام اجتماعي وتربوي واقتصادي.
وكانت إسبرطة المدينة المنافسة لأثينا تعيش حياة اشتراكية
حتى في الأسرة، حيث الجميع يعيشون معًا، ويأكلون نفس الطعام،
وتقوم الدولة بتربية الأولاد تربية عسكرية فهم أبناء إسبرطة قبل أن
يكونوا أبناء آبائهم.

لم تكن فترة وردية ولكنها كانت محاولات الإنسان في البحث
عن أفضل نظام يستطيع به توفير الأمن الاجتماعي والمشاركة في
الحكم رغم كل سلبياته.

الحرية والعدالة والمساواة للرجل
الأبيض الأشقر الوسيم الرشيق الطويل
القوي السريع...



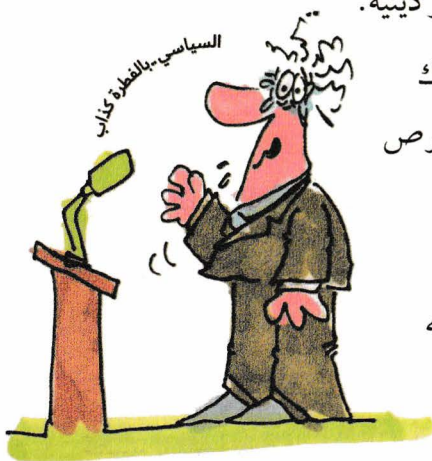
استمر الإنسان في محاولاته في أخذ حقوقه الكاملة، ومطالبته بالعدالة والمساواة عبر العصور، ونمت مع عصر النهضة إلى أن وصلت في عصر التنوير إلى طرح فكرة العدالة والحرية بين الناس، إلى أن قامت الثورة الفرنسية واستقلت أمريكا فكانتا مثالين بارزين لتحقيق حلم العدالة والحرية والمساواة بين الأفراد وإن كانت مقتصرة على فئات دون أخرى، فكانت الحرية والمساواة في أمريكا تعني حرية البيض والرجال فقط!

أما الآن ومع أن أغلب الدول ألغت كثيرًا من قوانين التمييز بين الأفراد من خلال اللون والعرق والدين والأصل فإنه يبدو أن الإنسان ما زال في أول الطريق، فما زالت العادات الاجتماعية، والتراث الديني، والتعصب القومي، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية... عائقًا أمام عدم التمييز.

في الهند ما زال هناك نظام الطبقات الاجتماعية الذي ما زال قائمًا ومن الصعب إلغاؤه لما له من جذور دينية.

في بعض الدول الإسلامية هناك التمييز ضد النساء القائم على النصوص الدينية كمنع عملها في القضاء!

في موريتانيا ما زال الاستعباد موجودًا ومقبولًا اجتماعيًا رغم منعه بقوة القانون.



في أوروبا عانت مجتمعات اليهود من الهولوكوست، وعانى
الغجر في الفترة النازية من الإبادة الجماعية من نصف مليون إلى
مليون ونصف في مختلف أرجاء أوروبا، وما زالت هذه التجمعات
البشرية تعاني من التمييز العنصري تجاهها.

عانى السكان الأصليين في الأمريكتين من الإبادة والاضطهاد
تحت مسميات التطهير من الوثنية، وما زالت الشعوب الأصلية
تعاين من التهميش والتمييز.

فالتمييز وفقاً للجنس، والنوع، والقبيلة، والفئة، والعرق،
والطبقة الاجتماعية، والدين، والمذهب، واللغة، والميول... ما زال
يمارس في أغلب دول العالم سواء من خلال القوانين المميزة أو من
خلال الممارسة التي تقوم بها الأغلبية تجاه الأقليات.

والغريب أن أكثر الدول ادّعاءً للحريات والديمقراطية
وحقوق الإنسان (أمريكا، فرنسا، إنجلترا) كانت أكثر الدول
ممارسة للتطهير العرقي وممارسة القمع تجاه الشعوب التي تعارض
سلطانها وممارساتها القمعية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

صناعة الديكتاتوريات

لا يمكن قياس العدالة والمساواة والقيم الأخلاقية في الغرب
أو الشرق من خلال تصرفات السلطات، فالأنظمة السياسية كانت
وما زالت تمارس العمل وفقاً لمصالحها لا وفقاً للأخلاقيات وإن
كانت تغلفها بغلاف أخلاقي.



انا أحب الديمقراطية..

ولكن مع الاسف

الديموقراطية ما تحبني !

لقد ساهمت الدول الكبرى -الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة- في القرن العشرين في خلق حكومات وأنظمة ديكتاتورية تقمع الشعوب، وتمارس الطغيان سواء في أمريكا اللاتينية أو آسيا أو إفريقيا، وكان الأساس هو الولاء للمعسكرين، والغريب أن كلا المعسكرين استخدم نفس المفاهيم الأخلاقية من حرية ومساواة وعدالة اجتماعية لترسيخ هذه الأنظمة المجرمة التي سلبت الشعوب حقوقها وحريتها!

الحرب العادلة

الحرب وقتل الناس فعل غير أخلاقي، سواء كان من أجل النفط، أو الأرض، أو الماء، أو الملح، أو لأي سبب تافه كان، والإنسان يبدو كأنه مفطور على القتل، فقط يحتاج إلى سبب يقنعه

بممارسة الاعتداء على الآخرين. ولعل أتفه الأسباب هي التي تكون تحت مبرر تحرير الشعوب، أو تحقيق العدالة، أو نشر السلام. ترومان الرئيس الأمريكي طرح مبدأ أخلاقياً، بعد أن قصف هيروشيما وناجازاكي.. نعم قتلنا نصف مليون لنحافظ على حياة الملايين ونوقف الحرب!



نحن نجمع السلاح ليس من أجل الحرب بل من أجل تحقيق التوازن، والتوازن يعني السلام للجميع!

الدول الأوروبية تسمي احتلالها لدول العالم بالاستعمار، أي هدفهم تعمير العالم ونشر التطور والتقدم في كل أرجاء العالم!

الحروب الصليبية التي قادتها الكنيسة لاحتلال القدس والشام سميت بالحروب المقدسة، من أجل الدفاع عن مملكة السماء وتطهير الأرض المقدسة من يد الكفار!

المسلمون يطلقون على الغزوات والحروب التي قادوها في الشرق والغرب اسم «الفتوحات» الإسلامية لأنها كانت لنشر

الدين والصلاح وهي أخلاقية ولهذا سميت فتوحات... وسميت
الحروب جهاداً!

احتلال الأوربيين العالم الجديد وقتل الناس وسرقة مواردهم
سميت بالاستكشافات!

وحاول الإنسان أن يجعل الحرب اللاأخلاقية أخلاقية إلى حد
ما عندما وضع بعض القوانين الورقية:

تستطيع القتل بقبلة، ولكن ليس بقبلة عنقودية!

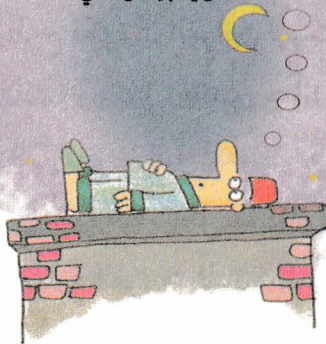
تستطيع القتل بالصواريخ ولكن ليس عن طريق القنابل الكيماوية!

تستطيع القتل بالقصف المدفعي، ولكن ليس بالقبلة النووية!

تستطيع قتل البشر ولكن من دون أن تقتل الحيوانات الأليفة
وتحرق الزراعة!

وهكذا حلت مشكلة الضمير العالمي بهذه القوانين!

إذا تبرعت باموالي للفقراء مجبراً - او
خوفاً من العقاب - او رغبة في الثواب
...هل يعتبر فعل أخلاقياً؟!



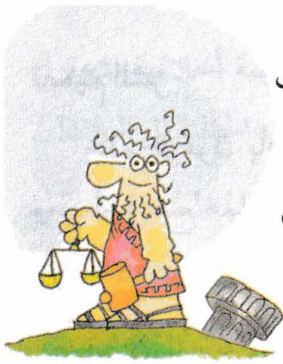
لقد كان الأشوريون رغم وحشيتهم ضد أعدائهم، أكثر أخلاقية من هذه الأنظمة «لأنه لم يكن يخطر ببالهم أن يتستروا على هذا الغرض - السيطرة على طرق التجارة والاستحواذ على السلع - لم يتستروا على أهدافهم بمثل عليا: إنه يعلن صراحة أنه يغزو عيلام ليستولي على مناجم الفحم»^(١٤٦)، أما في عصرنا فإنهم يتحدثون عن كل الأسباب الأخلاقية لاحتلال الدول سوى حقول النفط.

الالتزام بالقانون هل هو فعل أخلاقي؟

هل عندما أخالف القانون أنا مخالف للأخلاق أم مخالف للقانون فقط؟

الإجابة عند الفيلسوف الأمريكي «هنري ثورو»^(١٤٧) في القرن التاسع عشر المناهض للعبودية، والعنصرية، ومحارب السلطوية، والمدافع عن البيئة... وقد أثر بكتاباته في رؤية المهاتما غاندي لتحرير الهند.

قال عن العصيان المدني بأن: «ليس من حقنا بل من واجبنا أن نقاوم القوانين التي تنافي ضمائرنا بالاحتجاج السلمي وعدم التعاون».. وهنا يطرح فكرة أن القوانين ليست بالضرورة أخلاقية حتى لو غلفت بذلك، ويشكل غاندي ومانديلا مثالين واضحين من العمل ضد القوانين المنافية للضمائر والأخلاقيات والقيم الإنسانية وساهما في تغييرها، ولعل ما يشير إليه هنري ثورو في رؤيته أنه يجب أن نقاوم القوانين المنافية للقيم بأسلوب العصيان



والاعتراض المدني من دون استخدام أساليب
العنف والقتل والإرهاب.

ولعل حوار «تشومسكي وفوكو» حول
القانون والعدالة والسلطة والمعروض في
«اليوتيوب» من أهم المحاورات في القرن
العشرين حول هذه القضايا.

هل هناك كذبة بيضاء؟

لو كذبت على طفلك بأن الدواء طعمه لذيذ هل هذه كذبة؟

لو نسي صديقك في الفصل كتابه معك، ثم تذكرت بأن
على صديقك حل واجبه فقامت بحل الواجب وتجنّب صديقك
العقاب هل هذا يعتبر غشًا وكذبًا!

لو كذبت على صديقك بعد أن يرسب بأنه يملك قدرات كبيرة
وأنت تثق به، حتى تشجعه حتى لو لم تكن تؤمن بقدراته هل هذا
يعتبر كذبًا؟

لو كذبت على رجل الأمن التابع للسلطة القمعية، هل يعتبر
كذبًا؟

هل الكذبة البيضاء تعتبر كذبة بيضاء؟! أم هي كذبة نحن من
لوناها باللون الأبيض، وهل كل قول منافٍ للحقيقة كذب أم فقط
تلك التي يهدف منها إلى سلب حقوق الآخرين أو ممارسة الخداع
لأهداف لا أخلاقية!

تعميم الشر

حلم فرعون بأن طفلاً من بني إسرائيل يقوض سلطانه،
ومن أجل منع هذا «الشر» أمر بقتل الأطفال من بني إسرائيل لمنع
شروره.

إذا كنت ترى هذا السلوك غريباً وديكتاتورياً فإنك ستجد
كثيراً من القوانين والقرارات المشابهة في وقتنا الحاضر ولنفس
السبب الأخلاقي وهو منع الشرور.

لأن في لبنان قامت الحرب الأهلية بين الأحزاب هناك، لهذا
سنمنع قيام الأحزاب في دولتنا، ونحارب أي فرد ينشئ حزباً لأنه
يدعو إلى تقويض السلم الأهلي.

هرب مجرم من السجن، عندها
سنقوم بإغلاق جميع الشوارع
ونفتش جميع السيارات في كل
الشوارع ونؤخر أعمال مئات
الآلاف من الناس من أجل أن

نعتقل شريراً كنا سبباً في هربه!

في السلفادور من أكثر بلد انتشاراً للجريمة في
العالم، أصبحت من أكثر البلاد أمناً في العالم، والسبب
اعتقال جميع المشتبه فيهم من المجرمين، ووضعهم
في السجون لمجرد الاشتباه!



لأن شخص من جنسية وافدة قام بجريمة أخلاقية بشعة في البلد، نصدر قرارًا بمنع دخول جميع أفراد هذه الجالية إلى البلاد!

لأن هناك من يتسلل عبر الحدود ويهرب المخدرات، لهذا سنقوم ببناء سور بين البلدين ونمنع حتى تنقل الحيوانات في هجراتها الطبيعية!

ولا شك هناك المئات من القوانين، وضعت بهذه الطريقة في كثير من البلدان، كلهم يفكرون بطريقة فرعون، وكلهم يستغربون كيف لفرعون أن يقتل كل الأطفال من أجل خوفه من طفل واحد!

٥. الحرية

هل أنا حر؟ أم مجبر؟ هل أنا أعيش عالمي كما أريد أم عالمي يُفرض عليّ وكل شيء مقدر، وما سوف يكون سيكون «que sera sera»، ولا مجال لأن نعيش ونحاول، لا تتعب نفسك بالعمل فما هو مقدر لك مقدر، إن عملت كثيرًا أو قليلًا فرزقك مكتوب، بل حتى الزواج واختيار الشريك هو تقدير ونصيب إلهي!

هل أنا حر عندما أعيش في سجن كبير وأظنها حرية؟ أنا لم اختر الزمن الذي ولدت فيه، ولا الأبوين، ولا المكان، ولا طريقة التربية، ولا الاسم الذي أحمله، ولا الديانة التي أحملها، ولا الهوية التي أملكها... ثم يقولون لي أنت حر!

هل أستطيع مخالفة المجتمع؟ نعم، ولكن ستهاجم!

مخالفة القانون؟ نعم، ولكن ستعاقب!

مخالفة الدين؟ نعم، ولكن ستكفر!

مخالفة السلطات؟ نعم، ولكن ستعتقل!

مخالفة المعلم؟ نعم، ولكن سترسب!

مخالفة الأبوين؟ نعم، ولكن ستصبح عاقاً!



هل في إمكاني أن ألبس أي شيء أو لا شيء، لا طبعاً هناك

سلوكيات تحكمنا!

هل أستطيع أن أكل كل شيء؟ طبعاً ما تحب ولكن هناك

محظورات ومحرمات وقبائح!

هل في إمكاني أن أقرأ ما أريد؟ نعم ولكن ما تسمح به السلطة

والدين والمجتمع!

هل أستطيع أن أنتحر؟ نعم، إن نجحت ستعاقب بنار جهنم،

وإن فشلت ستعاقبك السلطة!

إذن أين الحرية؟ موجودة ومن حَقك البحث عنها ولكن أيضاً

في حدود!

الحرية = الفساد

الحرية من المفاهيم الأخلاقية المظلومة، لأنها يُربط بها كل

سلوك مخالف للعادات والعرف والأخلاق والقانون والدين، ومع



أي مطالبة بالحرية غالبًا ما يخرج المحافظون
بشعار: علينا أن نقف أمام دعاة الحرية
حتى لا يفسد المجتمع وتدمر مؤسسات
الأسرة، وتنهار القيم الأخلاقية...

هذه المبررات القمعية، لا تعدو أن تكون
صعودًا على ظهر المفهوم المسكين الذي

تشيطن بسبب المؤسسات السياسية القمعية، والدينية والاجتماعية
المحافظة، التي تريد السيطرة على أفكار وسلوك ومظهر الناس،
فخطورة الحرية بالنسبة إليهم عظيمة خاصة عندما ترتبط الحرية
بالفكر الحر واحترام حقوق الأفراد.

ماذا نعني بالحرية؟

١- الحرية سمة الإنسان، ومن صفاته الجوهرية دون بقية
الكائنات، وسلبها منه سلب لإنسانيته.

٢- الحرية مرتبطة بالقول والفعل والعقيدة والإرادة، ولا
يمكن أن يكون هناك فعل دون عقل وإرادة، ولهذا ترتبط
الحرية بالتفكير الواعي، وكلما ازداد وعيًا ازداد حرية،
وكلما تطور الإنسان علميًا وتكنولوجياً أيضًا ازدادت
حريته، نعم نحب أن نقول: «اتركوا النوارس تطير بحرية
في السماء» ولكن النوارس رغم رومانيتها بالنسبة إليك،
فإنها لا تملك الإدراك ولا الإرادة ولا تعرف ماذا تعني
الحرية!

٣- الحرية تعني المسؤولية

وعندما تكون حرًا يعني

أن تكون مسؤولًا عن

أفعالك وما تقوم به، ولا تعني

الانفلات من المسؤوليات تجاه

نفسك والآخرين، أن تتزوج

وتنجب هو قرار حر

منك ويعني تحملك لمسؤولية تربية

الطفل، فأي فعل حر تقوم به تتبعه مسؤولية أنت تتحملها!

٤- الحرية تعني أن تختار الطريق الصائب وبالإرادة الحرة تختار

ما ينفعك وينفع الناس، فهي قيمة أخلاقية تعطي للفضيلة

والعمل الأخلاقي الذي تقوم به قيمة عليا، لو كنت مجبرًا

على فعل الخير أو مسيرًا أو مغررًا بك لتساعد الآخرين

فأنت أشبه برجل آلي لا تحمل أي فضيلة ولا تستحق أي

إشادة أو إحسان مقابل عملك!

٥- الحرية لا تعني أن تختار بين الأشياء التي تعرض أمامك،

أو تختار بين مرشحين جمهوري وديمقراطي، أو تختار بين

شرب القهوة أو الشاي، أو تختار بين أن تلبس الأحمر أو

الأصفر.. الحرية تعني أن تختار من دون قيد أو شرط

وتعني استبعاد جميع أنواع القسر والإكراه والتزيف!



للديكتاتورية

ألف لباس

وحذاء وقبعة

...ووجه واحد!

الجبر والاختيار عند المسلمين

قضية الحرية كانت من القضايا الشائكة التي تم النقاش فيها بين الطوائف الإسلامية المختلفة، وظهرت وتميزت فرق إسلامية عن أخرى وفقاً لمفهومهم عن الحرية والجبر، ولا شك أن التأثير السياسي كان له دور في ذلك.

كل شيء بيده

كانت قضية الخلافة -الحكم والمال- من القضايا الخلافية في ذلك العصر الأموي والعباسي، وكان السؤال لماذا يحكم فلان وهذه الأسرة دون بقية الأسر؟ لماذا يحكم بنو أمية أو بنو العباس دون بقية الأسر؟ ولماذا لا توجد عدالة في توزيع الثروة بين الناس؟ ولماذا أمام هذا الثراء الفاحش للخلفاء العباسيين كانت جموع الناس تموت من الفقر في بغداد وبقية المدن؟!

للرد على هاتين المعضلتين، كان دعم السلطات للفكر الجبري واضحاً في مقابل من يدعو إلى حرية الإنسان، فتبنت السلطات فكرة أن الله يعطي الملك لمن يشاء ويأخذه ممن يشاء وفقاً لتقديره الإلهي، والخروج على الحاكم هو خروج على القدر والقضاء الإلهي



وفتنة بين الناس، أما المال فهو قدر إلهي أيضًا، فهو يرزق من يشاء ويمنع ممن يشاء، وكله خاضع لمشيئته وهذا الاختلاف بين الفقراء والأغنياء مقدر ومكتوب، ومهما حاولت كسب المال فلن تكسب أكثر مما هو مكتوب لك.

ولقد استمرت هاتان الفكرتان متداولتين في عقول الناس حتى وقتنا الحاضر، ولا شك في أن القبول بالقدر كسلوك شخصي ربما يكون مفيدًا، فالقناعة حل للكثير من المشكلات والاضغوطات في الحياة، ولكن لو تحولت إلى ثقافة مجتمع كامل في تعامله مع الواقع فيعني الوصول بالمجتمع إلى ما نحن فيه.

الجزيرة.. الجهمية.. وسارتر

الجهم بن صفوان^(١٤٨) أشهرهم، قال بأن الإنسان ريشة في مهب الريح، أو خشبة وسط الأمواج، وكل ما هو مكتوب مقدر له، فلا إرادة للإنسان فوق إرادة الله، ولا فعل لمخلوق فوق فعل الخالق، ولو قدر لك أن تكون غنيًا فستصبح غنيًا من دون أن تفعل شيئًا، فكما أننا لم نختر حياتنا لن نختر موتنا، ولا طريقة حياتنا، والحرية تعني أن مشيئة الإنسان أعلى من مشيئة الله وهذا محال، ولو قلنا أثمرت الشجرة فهل هي تثمر بإرادتها؟ ولو قلنا سقطت الحجارة من الجبل فهل بالفعل سقطت بإرادتها؟ إننا نقولها مجازًا لا واقعًا، كذلك الإنسان عندما نقول قام وتحدث وأكل... فهو لم يُقَم بذلك بإرادته بل بإرادة الله، ومعرفته بكل شيء وما سيحدث

يعني أن الإنسان مجبر وإلا سيكون مخالفاً للقدره والإرادة والعلم الإلهي!

الغريب أن «جان بول سارتر» بعد أكثر من ألف عام في باريس، بعيداً عن بغداد وجد نفسه أمام نفس المشكلة عندما تحدث عن الحرية، وأنه لا يمكن أن يكون هناك إله عالم متحكم وفي نفس الوقت إنسان حر، الفرق بينه وبين الجهم بن صفوان، أن ابن صفوان حل المعضلة برفض حرية الإنسان وآمن بالله، وسارتر حل المعضلة برفض وجود الله وآمن بحرية الإنسان!

النص ونص	الانسان مجبر	الانسان حر
نص ونص	الملك بيد الله	الملك بجهد الانسان
نص ونص	والرزق تقسيم إلهي	الرزق بسعي الانسان



القدرية أو المعتزلة

لقد رأوا بأن الانسان حر مختار، يملك قدره ويختار طريقه والإنسان ليس شجرة ولا حجراً ولا ريشة ولا خشبة، بل إنساناً

مدرّكاً يملك العقل الفطري والإرادة القادرة على التمييز بين الخير والشر، فكيف يُعاقب ويُحاسب إن لم يكن الإنسان صاحب إرادة، فكيف يعاقب على فعل ما، وكيف يكون مسؤولاً عن فعله وهو مجبر؟ وهذا مخالف للتكليف... كيف يكون الإنسان مجبراً على الظلم من قبل الله العادل والأمر بالعدل؟!

الأشاعرة

مؤسسها أبو الحسن الأشعري^(١٤٩)، حاول إمساك العصا من المنتصف، كان معتزلياً فمال إلى الرأي الذي يوفق بين الجبر والاختيار فقال: «الإنسان مجبور في قالب مختار»، والإنسان يماشي القضاء والقدر أو هو يفعل ويقوم بأفعاله ولكنها تحت إرادة الله، فالفاعل الحقيقي هو الله، وهو مكتسب للفعل، فالله أوجد المعاصي كشرب الخمر ولكنه لم يأمر بها، وقال لو كان الإنسان حرّاً لكان كل شيء كما يريد الإنسان، ولو كان مجبراً لكان كل شيء كما يريد الله، والله لا يريد المعاصي للناس، ولهذا مرة تريد وتصل ومرة لا تتحقق أمنيّتك، كمن يريد أن يذهب إلى الحج ولكن الله لا يوفقه لذلك فلا يجب!

الحرية عند سارتر

«جان بول سارتر» طرح الوجوديون قضية مهمة، قال بأن الأشياء كالجملادات والحيوانات ماهيتها تسبق وجودها، فأنت

ترسم خريطة المنزل ثم تبنيه فيصبح المنزل على الشكل الذي كان في
ذهنك، وعند تزاوج الحيوانات فلا شك أيضًا تعرف مسبقًا شكل
المولود وصفاته فماهيته لا تتغير، ولن تنجب الكلاب كلبًا يطير أو
كلبًا يعزف على العود، فماهيتهم في ذهنك موجودة -من خلال
التجربة- قبل وجودهم.

الإنسان مختلف عن بقية الكائنات، إنه يولد ويوجد أولًا، ثم
تظهر ماهيته وصفاته الأساسية المتغيرة وتتطور وتتبدل، يبدأ بالمشي
والقراءة واختيار توجهه السياسي والديني ويتميز بصفات معينة
وقد يغيرها، لأن من طبيعة الإنسان الحرية، ومن طبيعة الحرية
التغير.. والحرية تعني مسؤوليته عن أفعاله!

حدود الحرية عند سارتر

هناك قيدان على الحرية عند سارتر...

الأولى: حريتك تتوقف عند حرية الآخرين، أنت حر نعم ولكن
لست حرًّا في سلب حرية الآخرين، أنت حر في نقد ومعارضة جميع
التوجهات الدينية والفكرية والسياسية من دون قيد، ولكنك لست
حرًّا في منعهم من ممارسة حريتهم وطرح آرائهم، ولست حرًّا في
سلب حقوق الناس.

أنت حر في السخرية والتهكم على مقدسات الآخرين الدينية
والاجتماعية والسياسية من خلال القول أو الكتابة أو التمثيل أو
الرسم، لا شيء يمنعك، أنت حر في التهكم من تقديس الهندوسي

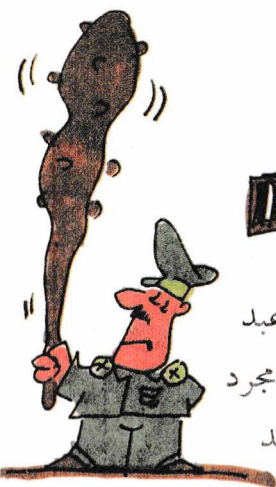
للأبقار، ولكن لست حرًّا في منعه من تقديس ما يشاء ومن بناء
معبد لعقيدته.

الثانية: أنك لست حرًّا في أن لا تكون حرًّا، وأن ترفض
حريتك... ولكن هل يوجد من يرفض حرّيته؟ للوهلة الأولى
سنجيب: لا... ولكن دعنا نستكشف صحة هذه العبارة!



كانت معضلة المطالبين بالحرية في أميركا بزمن العبودية، أن من
كان يرفض هذه الحرية هم بعض العبيد، إنه لا يعرف كيف يعيش
حرًّا، لأنه سيعيش حالة من القلق تمنعه من أن يكون مسؤولاً عن
أفعاله!

تولستوي^(١٥٠) في روايته «البعث» يشير إلى مجموعة من المعارضين
السياسيين الذين كانوا في السجن، ورغم أنهم معتقلون فإنهم كانوا
سعداء بسجنهم، لأنهم تخلصوا من عبء تحمل حرية ومسؤولية
مواجهة السلطات، وكأنهم اكتفوا بما قاموا به.



وهناك الأحرار، الذين يرفضون الحرية،
لان الحرية تبعاتها ثقيلة، هناك عبارات
وأمثال في التراث الشعبي تشير إلى ذلك،
مثل: «وما على الرسول إلا البلاغ»، «أنا عبد
مأمور»، «قطها براس العالم واطلع سالم»، «أنا مجرد
موظف أنفذ»، كلها عبارات تشير إلى شيء واحد
هو تخلي الإنسان عن حريته بعذر أنه منفذ وتابع
ولا يتحمل مسؤولية أي خلل قد يراه أمامه.

مصطلح مثل «التكليف الشرعي» عند بعض الملتزمين دينيًا
هو في الواقع هروب من المسؤولية والمحاسبة عما يقوم به الفرد
من دون اقتناع أو إدراك، كونه يقوم بما «كُلف» به من قبل المفتي
أو الشرع، والجندي الذي يقتل الناس في ساحة المعركة، لديه نفس
المنطق، أنه مجرد جندي يقاتل ولا يتحمل مسؤولية القتل!

«حنا آرنت» في كتابها أيخمان في القدس، تشير إلى نفس النقطة
بأن «أيخمان» الضابط النازي، لم يشعر بتأنيب الضمير، لأنه مارس
مهمته وطبق أوامر الضباط الأعلى رتبة منه!

فانظر حولك قليلًا ستكتشف أن الكثيرين مستعدون للتخلي
عن حريتهم مقابل أن لا يتحملوا مسؤولية أي شيء، فنحن أحرار
نتوق إلى العبودية.

المسؤولية الأخلاقية

من هو القاتل؟

ماذا لو أعدم شخص ما ثم تبين أنه بريء، من يتحمل المسؤولية الأخلاقية؟

- منفذ الإعدام: لست مسؤولاً، أنا منفذ للحكم فقط.

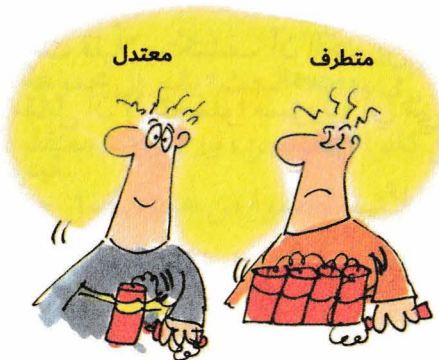
- القاضي: لست أنا فأنا أحكم وفقاً للأدلة.

- النيابة: لست أنا فأنا وضعت الأدلة وفقاً لما وصلنا من الشرطة.

- الشرطي: لست أنا، أنا أضع الأدلة وأرسلها إلى النيابة، أنا أقبض على الأشخاص ولا أحكم عليهم.

- رئيس البلاد: لست أنا فأنا فقط أوقع على الحكم كإجراء وظيفي!

قد تبدو للوهلة الأولى بسيطة وسهلة ولكن مع مزيد من التساؤلات تزداد الأمور تعقيداً، ولهذا تتحمل «الدولة» هذا الكائن الوهمي - لا الأفراد - المسؤولية الأخلاقية وتقوم بتعويض ورثة الضحية.



من هو الإرهابي الحقيقي؟

إرهابي قام بتفجير وقتل الناس الأبرياء باسم الدين، معتبراً فعله عملاً أخلاقياً يعطيه صك دخول الجنة والنوم في حضن سبعين حورية، فمن المسؤول الفعلي؟

- هو فقط، لأنه قام بالتفجير!

- من خطط، وحرّضه على الفعل، أو أرسل إليه المتفجرات!

- من أقنعه بأن التفجير عمل خير وعظيم!

- الدين والكتب والنصوص الدينية التي قرأها وجعلته آلة قتل!

- المناهج التربوية التي لا تنتج الإنسان المفكر الناقد!

- تشجيع مجتمعه الذي زرع فيه العنف والعنصرية والطائفية!

- المؤامرات العالمية والدول الكبرى التي تستخدم هؤلاء لتنفيذ أجنداتها!

- السلطات الديكتاتورية التي تخلق أفراداً مشوهين يتعاملون

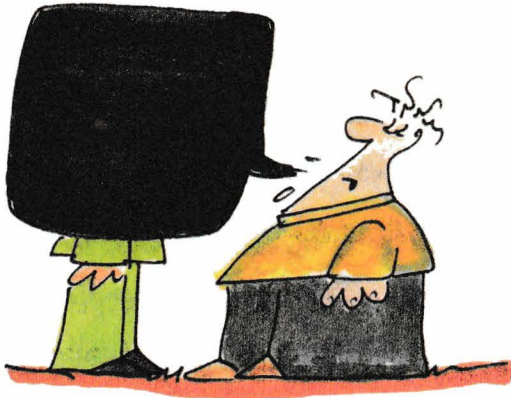
مع كل شيء بديكتاتورية وعنف!

من السهل أن نجد المسؤول قانونياً عن الفعل، ولكن الصعوبة تكمن في معرفة من يتحمل المسؤولية الأخلاقية.

الحرية المطلقة والنسبية

ماذا تعني تلك الكلمة؟

مفهوم الحرية النسبية كالعادة مفهوم مبهم، يضعها بعض من المثقفين والمفكرين التابعين للسلطات التي دائماً تسعى إلى سلب أكبر قدر من الحرية من الناس، وكسب أكبر قدر من الحرية للسلطة، وهؤلاء عادة يروجون أن الحرية المطلقة مفسدة مطلقة، والحل هنا في الحرية النسبية..



ماذا يعنون بالحرية النسبية؟

يقصدون بأنه علينا تقييد حريات الناس حتى لا يفسدوا أخلاقياً، ويتدمر النظام الاجتماعي، وينهدم نظام الأسرة، وينتشر الفساد في المجتمع، وتقوم الفتنة بين الشعب، ولهذا علينا تقييد الحريات السياسية، والدينية، والثقافية، والأدبية، والفنية، فنمنع تأسيس الأحزاب لأنه يسبب الشقاق الاجتماعي، ونمنع الكتب

لأنها تفسد عقول الشباب، ونمنع الفنون لأنها باب للفساد ومخالفة لثوابت الدين، ونراقب جميع وسائل التواصل بدعوى الحفاظ على الأمن القومي... وهكذا تقر السلطة عشرات المنوعات تحت مبرر «الحرية النسبية» وهي «قيود نسبية» غيرت مسماها فقط!

الحرية المطلقة..

الحرية المطلقة صلاح مطلق، ولكن واقعياً لا وجود للحرية المطلقة، كما لا وجود للعدالة المطلقة، فالقضاء مجرد «ما صدق» لمفهوم العدالة، ولكنها ليست عدالة مطلقة بل نسبية، وهكذا الحرية فلا توجد واقعياً حرية مطلقة مهما حاولنا مع وجود السلطة والدولة والمجتمع والبيئة التي نعيش فيها.

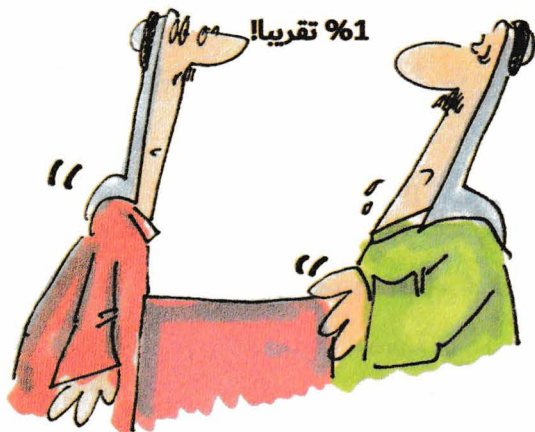
جون ديوي^(١٥١) حل هذه المشكلة وهي استحالة الحرية المطلقة قال: علينا أن نذهب على الحرية النسبية وتعني: أن توزع الحرية على الجميع بالتساوي، كيف؟

قال بأن الحرية تعني أن يمتلك الإنسان الإرادة والقدرة والقوة، ولهذا علينا بدلاً من أن نعطي الحرية والقوة لشخص واحد وهو الرئيس أو الملك أو الحزب الواحد، أو فئة واحدة، علينا توزيعها بالتساوي، بحيث يكون للجميع نفس القدر من الحرية والقوة، وأن يكون الفرد حرّاً بقدر الحاكم، وأن يملك الفرد صوتاً واحداً للانتخاب مثل صاحب السلطة أو الأثرياء أو أصحاب النفوذ...

وهذا يعني في الحرية النسبية أن يمتلك الجميع في المجتمع نفس النسبة من القدرة والقوة والحرية!

الحرية النسبية تعني .. أنا

حر بنسبة 99% .. وأنت



وكيف نطبق ذلك؟ عن طريق التربية، أن يكون المعلم والمناهج مثالاً لذلك، وأن نبعد التعليم عن سلطات السياسيين ومؤسساتهم وسلطات الكنيسة... بحيث يخلق جيلاً واعياً بحريته وقادرًا ومسؤولًا.

لا شك أن كلامه جميل ولكن أيضًا مع تطبيقه على أرض الواقع وإن كان ظاهريًا أن الجميع يملكون صوتًا واحدًا في الانتخابات مثلاً، ولكن واقعياً حتى في أكثر الدول ديمقراطية فإن هناك «القوى النافذة» من «الأوليغارك» الذين يملكون كثيراً من القدرات والقوة الإعلامية والمالية التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في اختيارات وووعي الناخب.

٦. هل الحيوانات تشعر مثلنا؟

عندما كنت أقول لطلابي إن تعريف الإنسان هو أنه «حيوان ناطق» كان يتم الاعتراض من البعض بأن الإنسان ليس حيواناً، فكنت أرد متشبهاً بسقراط: إذن لنقل إن الإنسان نبات ناطق أم جماد ناطق؟ الإنسان حيوان ثديي ولكنه يفكر، والنطق هنا مرتبط بالمعرفة، أما بقية الكائنات فلها أصوات وإشارات.



وكنت أسأل هذا السؤال البسيط: ماذا لو تبادلت الحديث مع حصان ما، يناقشك ويمجادلك، ثم وجدته جالساً معك في الفصل يدرس، ماذا سيكون مفهومك عنه؟ هل هو حصان إنساني، أم إنسان حصاني؟ هل ستحكم عليه من خلال شكله الخارجي أم من خلال مشاعره الداخلية وعقله؟!

في الواقع إننا نميل وفقاً لتراثنا الاجتماعي والديني إلى إعطاء الحيوانات صفات بشرية، ومنطقاً عقلياً، وقيماً أخلاقية..

الكلب وفي!

الحصان شريف!

الحمار غبي!

الخنزير ديوث!

الديك تقّي!

الثعلب مكار!

العقرب غدار!

الأسد شجاع!

أو قد نضيف إليهم سلوكيات إنسانية، مثل تعاون الفيلة،
واتحاد الذئاب في وجه الأعداء!

أو نضع لبعض الحيوانات أنها جالبة للنحس وبعضها تجلب
الخير، بعضها يجب قتلها لأنها مضرّة، وبعضها يعتبر قتلها نحس
ويورث الفقر، بعضها مؤمنة وبعضها جاحدة، وبعضها كانوا أقوامًا
ومسخوا حيوانات، وبعضها تتلبسها الجن والشياطين، وبعضها
ترى الملائكة!

فالقطة المقدسة عند المصريين القدماء، وجالبة الحظ عند
الصينيين، هي ذاتها جالبة للشر ومتعاونة مع الساحرات في أوروبا
العصور الوسطى، ولا شك أن اللون الأسود سمة لكل كائن
نحمل عنه انطباعًا سلبيًا!

فهناك علاقة تقديس وتدنيس للحيوانات الذين نراهم في كل «الميثولوجيات»^(١٥٢) القديمة حيث يشكلون رسل الآلهة، أو يتقصصون رسل الشيطان!

يشكلون رموزًا للخير والشر، يحملون الرسائل، ويبشرون بالخير، كما يندرون بالشر، ففي الديانات الإبراهيمية بدأت الخليفة مع الثعبان المخادع الذي يغوي آدم، إلى الغراب الذي شارك في إخفاء جريمة قابيل، إلى الحمامة التي تبشر نوح بالأرض، والهدهد الذي يأتي بالأخبار... وكلها تمثيلات ورسل الله... يساهمون في الدعوة ويرسلون الإشارات إلى البشر!

في التراث الهندوسي تغيرت الحيوانات وكان للقردة والفيلة والأبقار دور رئيسي في الميثولوجيا إلا أنها لا تختلف في نظرتها إلى هذه الكائنات عن بقية الشعوب في تلك الفترات الأسطورية، في التراث اليوناني نجد البومة منيرفا التي تمثل الحكمة، وفي مصر الفرعونية الجعران والققط المقدسة، وفي التراث الفارسي، تعتبر للكلاب البيضاء مكانة خاصة لأنها ترى وتنبح وتطرد الشياطين...!

والبعض آمن بأن المخلوقات تملك أرواحًا لا تختلف عن أرواحنا، فهذه أرواح نزلت بها بعد أن اقترف الإنسان الخطايا، ولهذا تحرم الهندوسية والمناوية والفيثاغوريون أكلها لأنهم يرون فيها أرواحًا خالدة نزلت في الكائنات بفعل التناسخ!



ما أهمية نظرتنا إلى الحيوانات؟

كان الإغريق معتقدين وموقنين بأن الثقب الذي ينفث البخار من أسفل الأرض في معبد دلفي هو سرّة العالم ومركزها، والأرض مركز الكون، والإنسان الكائن الأعلى المتميز والمختلف عن بقية الكائنات، وأنه خلق وفقاً للأسطورة بصورة مشابهة للإله زيوس، أو خلقه على صورته وفقاً للتوراة، وأن كل شيء في هذا العالم مسخر له، وغايته خدمة الإنسان، وهذه الفكرة موجودة في مختلف الثقافات والحضارات، بأشكال متنوعة، وانتقلت بعدها إلى التراث المسيحي والإسلامي، وإن تحول في التراث المسيحي إلى فكرة مقدسة غير قابلة للنقاش مع فكرة الخطيئة ونزول آدم إلى الأرض ومعه الخطيئة التي حملها الإنسان!

الى أن رست السفينة «بيجل»^(١٥٣) على شواطئ إنجلترا بعد رحلتها الطويلة، ونزل منها «تشارلز دارون»^(١٥٤) ومعه نظريته

المدوية عن التطور، التي وضعت الإنسان على مسافة واحدة مع الحيوانات وجعلته جزءاً من الكائنات الحية، يتشابه معهم في كثير من الصفات البيولوجية، وهو جزء بسيط من سلسلة عملية التطور مثله مثل بقية الكائنات الحية، وليس كائناً متفرداً مختلفاً!

فكرة واحدة غيرت وجه العالم، فكما أن نظريات نيوتن غيرت نظرة العلماء إلى قوانين الطبيعة، فإن نظرية التطور عند دارون غيرت نظرة البشرية إلى الكون، والخلق، والخالق، والكائنات من حولها، وغيرت علاقتنا بها، واضطر أن يتواضع الإنسان وينزل من عليائه وغروره الذي كان يمتلكه، وتغيرت نظرتة الأسطورية للكائنات الحية، لقد غيرت نظرتنا إلى الحيوانات فتغيرت نظرتنا إلى الحياة، وبدلاً من أن يكون الإنسان في قمة الهرم صار في وسط الدائرة مع بقية الكائنات!

هل للحيوانات حقوق؟

لأن الحيوان يتألم، فمن واجبنا ألا يتألم وألا يكون الإنسان سبباً في ألمه، قد لا يعرف ماذا يعني الألم ولكنه ككائن يشعر به، ولكن النظرة إلى الحيوانات ليست بهذه السهولة والبساطة، فما زال الأمر معقداً ومربكاً للإنسان حتى ذلك المؤمن بالحقوق الكاملة للحيوانات، ويتطرف في الدفاع عنها ويمنع أكلها واستغلالها.. لأن هناك كثيراً من التساؤلات التي تطرح:

لماذا من حق الأسد أن يأكل اللحوم ولا يحق للإنسان أكلها مع أنها ضرورية لجسمه؟

لماذا يحق للإنسان قتل الحيوانات، ولا يحق للحيوانات قتل
البشر وإلا اعتبرت ضارة وخطرة؟

لماذا نتعاطف مع الثدييات فقط في كثير من الأحيان ولا نتعاطف
مع الأسماك الصغيرة مثلاً؟

لماذا نقتل الحشرات والنمل والبعوض والبق المنزلي الذي نعتبره
خطرًا على صحتنا؟ مع أن بقية الكائنات كالتماسيح وأفراس النهر
والذئاب أيضًا خطرة على صحتنا وحياتنا ولكننا نحافظ عليها في
المحميات!

لماذا يحق لنا قتل الذئاب التي تأكل الخراف التي نأكلها بدلًا من
الذئاب المفترسة!

لماذا يحق لنا تربية الحيوانات المنزلية كالكلاب والقطط ولا
يحق لنا تربية النوارس أو الطيور ووضعها في الأقفاص ما الفرق؟
أليست سوى مساحة البيت مقارنة مع بالقفص؟!

الحيوانات والطيور لا تدرك معنى الحرية، فلماذا يصبر البعض
على أن تربية الطير تقييد لحياتها؟!

الطبيعة ليست رومانسية وهناك عدد لا يحصى من الكائنات
التي تقتلنا، ومن الظواهر الطبيعية التي تدمر حياتنا... فلماذا يعيش
البعض هذه الحالة ويخلط بين الواقع، وبين نظريته الحاملة لها؟

التساؤلات كثيرة... والإجابات أيضًا كثيرة ومربكة وتبدو
كلها صحيحة وخاطئة!

الباب السادس

المنطق

الفصل الأول

اللغة والمعنى



المنطق هو الكلام الدال على التفكير فقط..

المنطق من النطق، والنطق مقترن بالعقل، واللغة توضح لنا الأمور المبهمة، ولكن قد تزيدها غموضًا، فليس كل الكلمات تشير إلى معنى واضح بل نستخدمها مجازًا، ولهذا نتساءل هل اللغة تشرح لنا الأشياء المبهمة، ام أنها تزيدها غموضًا؟

قالوا إنها محاولة لشرح العلاقات بين الأشياء في بيئتنا الواقعية، ولكن ماذا لو قام أحدهم برواية قصة حرب بين العفاريت والجن، عندها هل اللغة تتحدث عن الواقع؟ أما إنها تشرح خيالًا لا وجود له!

ممنوع الوقوف

هناك نوعان من اللغات، الأولى لغة طبيعية وهي لغة الحياة اليومية، ووسيلة التواصل بين الأفراد في المجتمع، ونتاج تراكم الخبرات دون تخطيط مسبق، وهناك لغة اصطناعية يتم إنتاجها ويُتفق عليها وهي لغة المصطلحات الرياضية، والفيزيائية، والطبية، والعلامات، والرسومات، والإرشادات، وهي لغة خاصة تتم صناعتها بتخطيط مسبق ثم يتم التعرف عليها من قبل الناس، مثل لغة إرشادات المرور، والغريب أن هذه اللغة الموجزة تختصر جملاً كاملة وقوانين عامة برمز واحد، فعندما تضع اشارة ورمز ممنوع الوقوف وهي عبارة عن حرف واحد وخط أحمر، فهي تعني «ممنوع وقوف السيارة التي تملكها في هذا المكان لأنه بذلك تعرقل السير، ما يستوجب ذلك مخالفة بقيمة عشرين ديناراً، أو قد ينتج منه سحب سيارتك، ولذا يفضل البحث عن مكان آخر مسموح لك لتوقف سيارتك، أما إذا لم تهتم بالإشارة فأنت إما أنك لا تعرف معنى الإشارة وهذا لن يعفيك من المسؤولية، أو أنك أناني لا يهتمك أن يتعطل الناس، أو إن والدك الثري هو الذي سيدفع ثمن المخالفة»!

قصة حب قيس وليلى

قيس بن الملوح قال «تذكرت ليلى والسنين الخوالي.. وأيام لا نخشى عن اللوم ناهياً»، هل من خلال قصيدته تستطيع أن تعرف ماذا تعني كلمة الحب؟ ولماذا تم استخدام هذين الحرفين للتعبير

عن مشاعر الحنين والشوق والذي سمي حبًّا، وماذا تعني كلمتا الحنين والشوق؟ وأزعم أننا سنستمر في البحث عن معنى تلو المعنى من دون أن نصل إلى حل!

ولأننا نعجز عن فهم أنفسنا وفهم العالم حولنا لهذا اخترعنا الكلمات واللغة والأصوات، ولكنها ظلت عاجزة، نردد كلمات، مثل: الحقيقة، الأخلاق، الروح، النفس، الهوية، الذات، الإدراك، الرؤية... ولكن هل بالفعل نعرف ماذا تعني أم نعرفها مجازًا؟ وهل كلنا يفهم الكلمة بنفس المعنى أم سنختلف في مفهومنا للكلمة؟!

عندما تقرأ لافتة مكتوب عليها «قف»، لا يعني أنه عليك أن تقف بل عليك أن تنتبه، وعندما يقول لك صديقك سأكون عندك خلال خمس دقائق فأنت تفهم أنه سيصل بعد نصف ساعة، وإذا قال لك النادل في المطعم: قريبًا سنحضر الطعام يختلف عن صاحب محل السيارات الذي يقول لك بأنه قريبًا سنستورد السيارة، فقريبًا الجرسون دقائق وقريبًا صاحب محل السيارات قد تكون أشهرًا، وكلمة «اصمت» عندما يقوها لك كاهن المعبد، مقصده مختلف

عندما يقوها لك أمين المكتبة، أو عندما

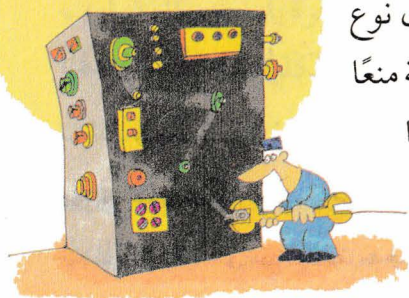
يقوها لك المحقق في الأمن، فالأول نوع

من الاحترام للمعبد والآلهة، والثانية منعًا

لإزعاج بقية الأفراد، والثالثة هدفها

القمع، هي محاولات فما زلنا

نعيش في مرحلة العجز!



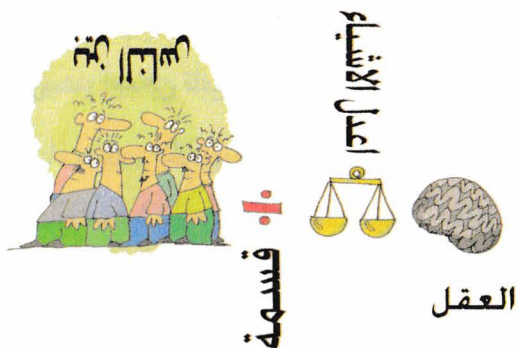
أخ وأح

والعجز يكون واضحًا عندما نعبر بكلمة واحدة، مثل: الحقيقة أو الحق أو الخير أو المنزل أو الجبل أو الحصان، من خلال الآلاف من الكلمات المختلفة بمختلف اللغات واللهجات، للوصول إلى معنى محدد للكلمة، بل الاختلاف حتى في الأصوات، ألم تلاحظ حتى في الأصوات أننا نختلف ونؤلف أصواتًا خاصة بنا، عندما تتألم ألمًا موجهًا تقول «أخ»، وإن تألمت بحرقة تقول «أح»، بينما الأمريكي يقول «آوتش»، وفي تقليد أصوات الضرب، تصبح «بانج» و«بونج» و«بوم»، وعند أصوات الكلب نقول «هو هو» ويقول الإنجليزي «ووف ووف» والألماني «فاو فاو» وهكذا حتى في التعبير عن ألمنا، وحزننا، وغضبنا، وتقليدنا للأصوات من حولنا نحاول أن نقرب منها بتقليدها ونختلف أيضًا، أليست الكلاب هي نفسها وأصواتها هي نفسها، وآذاننا هي نفسها... فلماذا عندما نعبر عن الصوت نختلف، أليس هذا يعني أننا نتعامل وفقًا لإدراكنا للأشياء حولنا من أصوات وألوان وأشكال، وليس وفقًا للواقع؟!

ألف اسم للسيف

نحن نتكلم ونستخدم اللغة، لنفهم عالمنا، ونفهم الآخرين، وقبل كل ذلك نفهم أنفسنا، ومن فهمنا لأنفسنا نتوسع لفهم العالم، وهذا الوعي بذاتنا وما حولنا لا يتم خارج اللغة، فاللغة

هي الكاشفة لهذا الوعي، ولكن هناك حدود، و«حدود لغتي هي حدود عالمي» كما قال فتغنشتاين^(١٥٥).



ملوك الصحراء في الجزيرة العربية كانت حدود لغتهم هو عالمهم الذي يعيشون فيه، وحاولوا بلغتهم فهم العالم، واختصار المعقد منه بكلمات موجزة، فالإيجاز حرفتهم وفنهم، وللعرب مئات الأسماء والأوصاف للإبل، وبدلاً من الأرقام وضعوا مسمى لكل ساعة من ساعات الليل والنهار، وفي ذكر أسماء السيف له اسم واحد، ولكن يتبعها عشرات الصفات، وبكل صفة تعرف تفاصيل السيف، ولهم في كل كلمة معنى محدد، فقد قالوا: «كل ما غاب عن العيون وكان محصلاً في القلوب فهو غيب، وكل قليل من ماء أو نبت أو علم فهو ركيك، وكل ضارب بمؤخرة يلسع، وكل ضارب بفمه يلدغ..» وبهذه الطريقة حاولوا تحديد الكلمات لتقليل الخلاف والوصول إلى المعنى.

ولأنهم محاطون في عالمهم الخرافي المليء بالقصص والخرافات والأصوات الغريبة التي تنتجها الصحراء وضعوا أسماء لأشياء

موجودة في معتقداتهم لا في واقعهم، فوضعوا مفاهيم لمراتب الجن، فالساكن مع الناس سموه عامر، ومن يتعرض للصبيان سموه أرواح، والخبث منهم سموه شيطان، وإن زاد صار مارد، وإن ازداد قوة سمي عفريت، أما من تاب منهم وأصبح صالحاً سموه ملك.

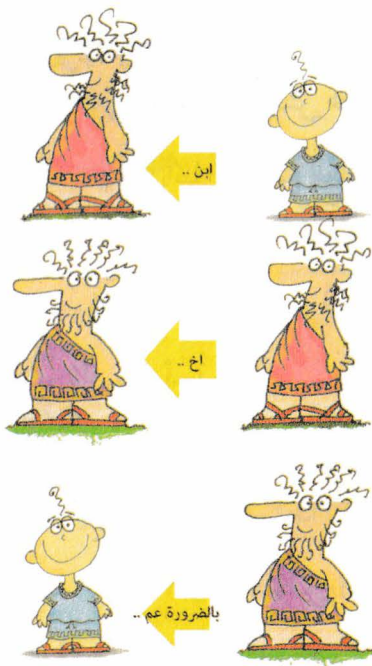
ولأنهم أبناء عالمهم الخاص، ورغم كل غزارة وثراء لغتهم فإنها عندما اتسع سلطانهم شرقاً وغرباً، كانت لغتهم عاجزة أمام البيئة الاجتماعية والصناعية والزراعية والملاحية، فقال الثعالبي - في كتابه أسرار اللغة، ومنه أخذنا الأمثلة السابقة - بأنهم عربوا كل الأسماء الأعجمية، من أوصاف الأكل، إلى أدوات الصناعة، وغيرها.

هل العفريت أقوى من سبايدرمان

كان ولدي مثل كل الأطفال، لفهم أكثر لعالمه الخاص كان يقارن بين الأحجام والأشكال والقدرات، ولهذا كان يتساءل مثلاً هل السبايدرمان أقوى أم الديناصور «تي ركس»؟ أو هل الديناصور أقوى من الشاحنة العملاقة؟ وهل بيتنا أكبر أم «التريناصور»؟ وهو سؤال مشروع لطفل لا يضع خطأً فاصلاً بين الحقيقة والخيال، ولو دققنا أكثر في عالمنا الخاص بالكبار فإننا لا نختلف كثيراً عندما لا نضع خطأً فاصلاً بين الحقيقة والزيغ، بين المعرفة المثبتة بالتجربة والعقل، وبين الأوهام التي نؤمن بها.

أنا أختلف في الرأي مع كثيرين حول العدالة والمساواة والحرية وحتى قضايانا اليومية بسبب اختلاف الفهم للكلمات، فقبل أي

نقاش علينا تحليل كامل للكلمات ونتفق عليها وبعدها قد يكون النقاش مجزيًا، فمن الغرابة أن يتناقش حول الحرية الاجتماعية وأهميتها شخصان أحدهم يرى الحرية مرتبطة برفع القيود عن الإنسان والإرادة الحرة المسؤولة للفرد، والثاني يتصور الحرية هي الحرية الجنسية فقط!



ونختلف حول مفاهيم مثل: التناسخ، الميتافيزيقا، الأرواح، الخير، الشر، الجن .. يقول فلاسفة المدرسة التحليلية (مور، راسل، فتنشجشتين) كيف نختلف في أمور لا وجود لها بل نحن من صنعناها أو وصلت إلينا ضمن موروثاتنا، كيف نناقش أمرًا لا نعرفه ولا نستطيع وضعه في مفهوم واضح يتفق عليه الجميع،

نعم نتناقش حول: هذا الكرسي مناسب للجلوس؟ لأنه أماننا ومتفقون على أنه كرسي، ونتناقش عن مدى صلاحيته للجلوس، الآن دعونا نتناقش عن: هل في التناسخ تنتقل روح الإنسان الشرير بعد موته إلى جسد كائن أدنى منه مرتبة أم أعلى؟

هنا قبل الجواب يسألون هل في إمكانك أن تشير إلينا بإصبعك لنشاهد عملية التناسخ، ونشاهد الروح، ثم تشير لنا إلى كلمة الشر؟ إنها غير موجودة أماننا حتى نجلس ونتناقش عن هذه العملية.

إن أغلب اختلافاتنا هي أننا نناقش أمرًا لا نعرفه، وغير موجود، لكننا نحن من صنعناه، ووضعنا له اسمًا.

هل بالفعل الجملة واضحة؟

مثال آخر، ماذا لو قال لك أحدهم: يجب علينا أن نفعل الخير.

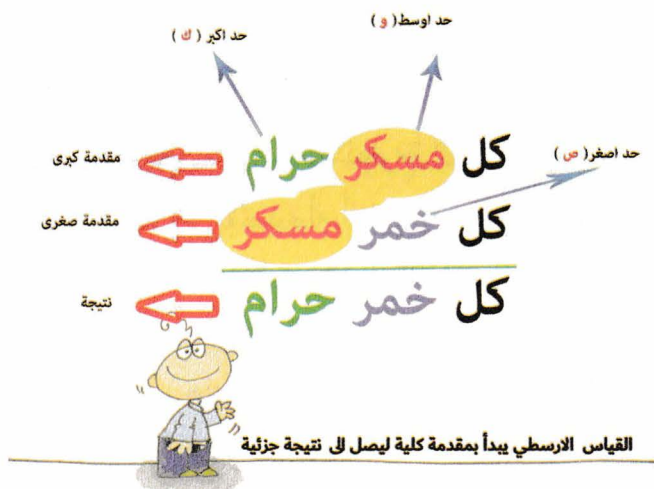
للوهلة الأولى لا اعتراض على العبارة، إنها واضحة، وتشير إلى فعل خير، إلا إذا كنت فيلسوفًا تحليليًا فستبدأ بالسؤال:

ماذا تقصد بكلمة «علينا»؟ وهل تشمل جميع البشر أم فقط أنت أو أنا؟

وماذا تعني بـ«يجب»، من أوجبها، متى أوجبها؟ أين أوجبها؟ ولمن أوجبها؟ ولماذا أوجبها؟

وماذا تعني أن «نفعل»؟ ماذا لو لم نقم بأي فعل يؤذي الناس، ألا يعتبر خيرًا؟ هل يجب أن نفعل فعلًا إيجابيًا، ألا يعني عدم فعل الشر خيرًا؟!

وأخيراً ماذا تقصد بكلمة «خير» وضدها «شر»؟ هل تستطيع أن تشرح لي هذه الكلمة ماذا تعني؟ هل للخير هوية وجواز وصورة حتى أتعرف عليه؟ هل تقصد مثلاً أن نفجر أماكن تجمع تجار المخدرات ونريح البشرية منهم؟ أو نقوم بعملية انتحارية ضد الأعداء؟ أو نسرق ثروة الأغنياء ونوزعها على الفقراء؟



الحصان هو الحصان

كان التعريف من خلال اللغة كثيراً ما يشغل بال أفلاطون، فكان يحاول دائماً -وبعده أرسطو- إلى وضع تعريف «جامع مانع» -أي يجمع صفات كل أفراد النوع التي لا تتشابه مع الأنواع الأخرى- لكل شيء حوله، مثل: الإنسان حيوان ناطق، الكلب حيوان نابح، الطير كائن له ريش، المسجد بناء لعبادة المسلمين، البنك بناء لسرقة الناس قانونياً وبكل احترام!

هذه المحاولات اللغوية جرت معها نقدًا لاذعًا من الفيلسوف الكليبي «أنتيسيثيس»^(١٥٦) قائلاً له: «لا أراك إلا مدعيًا الحكمة، وإلا أيعقل أن تُعرّف الشجرة بأنها نمو نباتي؟! أتظن أيها الفيلسوف المختال بعلمه أن عبارتك أكثر منطقية من عبارة: الشجرة هي الشجرة؟ والحصان هو الحصان، والكرسي هو الكرسي، ما هو الفرق؟ إنك يا أفلاطون تعيد ما يعرفه كل الناس، ولكن بلغة أخرى تظنها حكمة وفلسفة».

ولكن هل نحن نؤمن بهذه المعلومة البسيطة بأن الحصان هو الحصان، والأسد هو الأسد، أم أننا في بعض الأحيان نؤمن بأن الحصان يطير، والأسد يتكلم، والنملة تناقش، والشعبان يخدع بكلامه، والجبال ترفض، والأنهار تغضب... عندها حتى هذه المعلومة البسيطة قد تبدو معقدة!



التفكير المنطقي يجنبك القيام بأعمال ساذجة

الفصل الثاني

ما معنى المنطق؟

شرحه أرسطو مختصرًا «إنه آلة العلم وصورته» إنه ليس علمًا، وليس بحثًا مستقلًا مثل التاريخ والطبيعة بل هو الآلة المستخدمة في تشغيل كل شيء، إنه الميزان الذي يزن الآراء والأفكار والنظريات، ولا يمكن لأي استقراء وتجربة علمية، أو استنباط أن يصل إلى المعرفة من دون المنطق.

ما الذي نعيه بفكرة منطقية؟

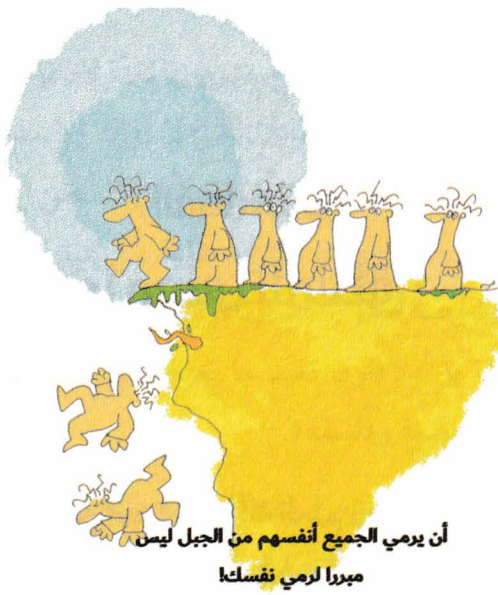
طلب بعض أتباع «ديوجين الكلبي» وهو على فراش الموت، أن يوصيهم بطريقة دفنه، فقال: ارموني خارج المدينة في البرية.

قالوا: ولكن الكلاب ستنهش جسدك!

قال: إذن ارموني وضعوا في يدي عصًا حتى أمنعهم من الاقتراب مني!

قالوا: ولكن وأنت ميت، كيف ستدافع عن نفسك؟

قال: نعم أنا ميت!



مجرد جسد لا يشعر بألم، ولا بالفخر والاعتزاز وهم يحملون
نعشه بجلال ووقار، إنه مثال بسيط على الفكرة المنطقية!

دائمًا يقال في حواراتنا: «كن منطقيًا» أو «كلامك غير منطقي»
أو لا عقلاني، وعادة في مفهومنا العام نشير بأنه غير عقلاني أو
مخالف لمعلوماتنا العامة، أو نقصد بعبارة «مخالفته للعقل» بأنه
مخالف لمعارفنا.

في الفلسفة عندما نقول: «كن منطقيًا» نعني أن هناك «اتساقًا
ذاتيًا» بين المقدمات والنتائج، وأن هناك ترابطًا في الفكرة دون
تناقض.

مثال، لنقرأ هذه العبارات: عندما أموت أريد أن أسمع وأنا
في قبري موسيقى كلاسيكية لترينجي، لا تطرق الباب بقوة حتى

لا يتألم الباب، عندما تأكل الرمان ستنجح في الاختبار وتحصل على درجة كاملة، إن الأشجار في الغابة تتحد لمواجهة أعداء البيئة، إن السحب أمطرت بعد أن شاهدت مجموعة من الماشية ستموت من العطش، الكرة قررت ألا تدخل في المرمى... إنها عبارات غير منطقية في ذاتها ولا تحتاج إلى تجربة ونقاش، قد يصلح بعضها للشعر والقصص الخيالية ولكنها في ذاتها غير منطقية.

أهمية المنطق

المنطق أهميته من أهمية اللغة، عندما تعرف قواعد اللغة فلا شك ستكون أكثر قدرة على الكلام والشرح والبلاغة وعدم الخطأ وتصل إلى جمالية اللغة.. كلنا نتحدث ولكن ليس كلنا نملك القدرة على تطوير اللغة لأفكارنا.

أغلبنا لا يعرف قواعد اللغة... رغم أن الكثيرين ملتزمون بها من دون معرفتها، مثل من يستخدم المؤنث والمذكر من دون أن يعرف قاعدتهما النحوية.

فعندما تسمع:

- فلان قتله الجدار، والسبب أن فلاناً دقَّ الجدار بالمسهم، فتألم الجدار بشدة وعاد وانتقم من الفرد بأن رمى نفسه عليه ومات!

- لون سيارتي حمراء وليست حمراء.

- لقد تحدثت أمس مع حصاني وأكد لي أنه سيفوز بالسباق ويرفع رأسي.

- أحمد رسب ونجح في الاختبار.

- لقد شاهدت ناصر في السوق، وشاهده أخى في نفس الوقت في الملعب.

تعرف أنها غير منطقية ولن تصدق أيًا منها، ولكن لو سألت وفقًا لأي قاعدة منطقية تعني أنها غير صحيحة، فلا شك ستجيب، لا أعرف ولكن أعرف أنها أمور لا تدخل العقل ولن يصدقها عاقل!

فأهمية المنطق تكمن في أننا لا يمكن أن نعيش ونتطور ونعي ما حولنا من دون آلة العلم، كما لا يمكننا أن نتحدث ونعي أنفسنا من دون لغة!



منطقيا البقرة التي تطير وهي

تلبس البيجامة. ليست بقرة!

تفكير منطقي

تفكير منطقي يعني: مقدمة نسلم بصحتها لنصل إلى نتائج صادقة، ومعرفة حقيقة.

غير المنطقي: يعني الالتزام بمقدمات مزيفة لنصل في آخر الأمر إلى نتائج خاطئة ومزيفة!

الكنيسة كانت تؤمن بأن الأرض مركز الكون، لأن ابن الرب نزل إلى الأرض لتطهير الناس من ذنوبهم، ولا يمكن أن ينزل المسيح إلا في مركز الكون.. هذه المقدمة المزيفة أدت بهم إلى رفض أي فكرة علمية قائمة بأن الأرض تدور حول الشمس!

الذهاب إلى مشعوذ لإخراج الجن من جسد المريض، نتيجة غير منطقية، لمقدمة مزيفة وفاسدة تزعم أن الجن يدخلون أجساد الناس ويسببون لهم أمراضاً نفسية وجسدية!

الرقم ١٣ رقم نحس للإنسان، فالنتيجة علينا أن نضع ١٢+١ على الدور ١٣ حتى لا يصاب سكان الدور الثالث عشر بأي مصيبة! الرقم ٨ رقم خير ومبشر ويمثل القواعد الثماني للخير، وعليه فلا بد أن أشتري سيارة وأضع عليها الرقم ٨٨٨ لأنه سيشكل خيراً قادمًا، وسأنجح في تجارتي!

هناك عشرات ومئات من الأفكار والعقائد غير المنطقية التي نلتزم بها وفقًا للتجربة السابقة أو التراث وكلها تبدو غير منطقية ولكننا نمارسها، والالتزام ببعضها قد لا يكون مضرًا ومؤثرًا، ولكن

بعضها لا شك تكون مؤثرة وخطرة أيضًا على الأفراد والمجتمع،
والمنطق يجنبنا ذلك!

اما هو القاتل او ليس القاتل
ولا احتمال ثالث (قانون الثالث المرفوع)

لا يمكن ان يكون المجني عليه
ميتا وغير ميت في نفس الوقت
(قانون التناقض)



الطاولة هي الطاولة ولا تتهم بالقتل لانه
خلاف هويتها «الجماد» فالطاولة
لا يمكن ان تكون انسانا وتقتل.
(قانون الهوية)

قوانين الفكر والمنطق الأرسطي

هناك ثلاثة قوانين يرتكز عليها المنطق الأرسطي الكلاسيكي
«نسبة إلى الفيلسوف أرسطو»، هذه القوانين هي المرتكزات الأولى
للتفكير المنطقي السليم، وقد لخصها أرسطو فيما يلي:

القانون	المفهوم	الرمز	المثال	ملاحظة
١ - الهوية (الذاتية)	الشيء هو ذات نفسه، جوهره ثابت لا يتغير	(أ هو أ)	السيارة هي السيارة	(اشترت قلماً لأكوي ملاسبي) غير منطقي، لأنه يخالف قانون الهوية ويخالف جوهر القلم وهو الكتابة
٢ - عدم التناقض	الشيء لا يمكن أن يتصف بصفة ونقيضها في نفس الوقت	(أ) لا يمكن أن يكون (ب) و (لا ب) في نفس الوقت	السيارة لا يمكن أن تكون بيضاء وغير بيضاء في نفس الوقت	التناقض يقول لنا، لا يمكن أن يصدق المتناقضان في نفس الوقت، لا بد أن يكون أحدهما كاذباً
٣ - الثالث المرفوع (الوسط الممتنع)	الشيء إما أن يتصف بصفة أو نقيضها، ولا احتمال ثالث	(أ) لا بد أن يكون (ب) أو (لا ب) ولا احتمال ثالث	السيارة إما أن تكون بيضاء أو غير بيضاء ولا احتمال ثالث	في الثالث المرفوع، يقول لنا: لا يمكن أن يكذب المتناقضان معاً، لا بد أن يكون أحدهما صادقاً، ولا احتمال ثالث

التناقض والتضاد

في حواراتنا اليومية دائماً نستخدم كلمة التناقض بدلاً من التضاد، وفي الواقع هناك فرق كبير بين المفهومين، التناقض هو أن نقول أسود وغير وأسود وهذا يعتبر تناقضاً، حيث لا وجود لاحتمال ثالث فهما لا تصدقان معاً ولا تكذبان معاً.

أما إذا قلنا أبيض وأسود فهذا «تضاد»، والفرق أن له احتمالاً ثالثاً وهناك ألوان أخرى، وهاتان العبارتان لا تصدقان معاً، ولكن قد تكذبان معاً لوجود احتمالات أخرى!

الفصل (يفكر)



في التعريف المنطقي.. والفصل هي صفة جوهرية في الكائن، أما الخاصة فهي صفة خاصة للكائن ولكنها ليست جوهرية، أما العرض فهي صفة عامة يشترك فيها الكائن مع بقية الانواع

ماذا تعني بأنه حد منطقي؟

تعني أن تحمل خبراً، وغير ذلك لا يعتبر حدّاً منطقياً قابلاً للنقاش، أما الحديث عن المشاعر أو الشعر فلا يدخل في باب المنطق، فلا يمكن أن تقف وتعارض عنثرة منطقياً وتقول له إن قولك: «هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك» بأنها عبارة غير واقعية وخاطئة لأن الخيل لا تنطق، ولا يمكن أن تعارض شخصاً وهو يتغزل في القمر، أو يقول: إنني أحب أكل السمك، أو ليتني أسافر إلى الهند.. فهذه الجمل لا تحمل خبراً حتى تعارضه، وتبين صحته من أو خطأه!

المنطق أن تحمل الجملة خبرًا يحتمل الصدق أو الكذب، كأن تقول السفينة تغرق، أو أحمد مريض، أو الفريق فاز بالبطولة هذه جمل خبرية وقابلة للنقاش.

أرسطو وبيكون

لأنه يجب الجدل قام ببناء أول نظام منطقي ووضع أسسًا منطقية للوصول إلى التفكير العلمي السليم، ولكن بسبب التزامه بصورة الفكر لا مادته، أدى ذلك إلى توقف البحث المادي والاكتفاء بطريقة الاستنباط في البحث، وعانت البشرية عصورًا من التراجع بسبب تقديس المنطق الأرسطي، وهو ما دعا فرانسيس بيكون^(١٥٧) إلى كتابة كتاب باسم الأورجانون الجديد، لتكون البداية لتحطيم أعمدة معبد أرسطو المنطقية وبيني المعرفة على الاستقراء ملتزمًا بالتجربة المادية!

والحديث حول تطور المنطق والمفاهيم يطول، وعادة ننصح من يضعون أقدامهم في مدينة الفلسفة أن يؤجلوا الدخول في دهاليز المنطق قليلًا، حتى لا يصابوا بعسر الهضم.

هل هذا كل شيء في الفلسفة؟

أعذر فليست هذه كل موضوعات ولا مباحث ولا مذاهب ولا مناهج الفلسفة.. إنه جزء بسيط جدًا، فلم أطرق باب فلسفة الفن، وفلسفة العلم، والقائمة تطول.. إنها رؤوس أقلام فقط... رؤوس أقلام... رؤوس أقلام!

الباب السابع

قراءة كتب الفلسفة



١ . قبل أن تقرأ الفلسفة

قبل أن تقرأ عليك أن تعرف
أنه عند قراءتك للفلسفة قد تجد
آراء متضادة في قضية ما، ومفاهيم
متنوعة لموضوع واحد، وهذا وضع
طبيعي، فعندما تقرأ الموسوعة الماركسية
للفلسفة مثلاً فلا شك سترأها مختلفة عن
الموسوعات الأخرى، وحتى في
هذا الكتاب الذي تقرأه ستجد

ميول الكاتب التي تؤثر في المادة التي أمامك، ولهذا لا تسلم بكل ما
تقرأه وتعتبره حقيقة، في الفلسفة لا وجود للحقائق، بل هي آراء!

الحب أوله هزل

يقول ابن حزم: «الحب أوله هزل وآخره جد» ويقول حافظ الشيرازي: «العشق سهل أوله وآخره صعب مستصعب» وفي الفلسفة قد تنقلب الآية، فبدائتها صعبة لأنك لم تفهم معشوقك، ولكن مع الاستمرار والمثابرة وعبور نهر هيرقليطس وصعودك جبل «الأولب».. ستمتلك مفاتيح الفلسفة، عندها سيزداد حبك وتزداد متعة في عشقك لها... ولكن ستظل صعبة وتحتاج إلى جهد عقلي!

ليست أداة للترفيه

الفلسفة ليست سيركاً للأسئلة، والقضايا الغريبة، والإجابات الأغرب، ولا الفلاسفة شخصيات مركبة معقدة بملابس غريبة وتصرفات حمقاء، نعم قد نجد فيها قضايا طريفة أشبه بالألعاب العقلية، ولكنها ليست أداة للترفيه.



لا توجد إجابات جاهزة

الفلسفة ليست أداة للبحث عن إجابة جاهزة، ما هي عاصمة روسيا؟ موسكو، متى بدأت الحرب العالمية الأولى؟ سنة ١٩١٤.. من اكتشف قانون الجاذبية؟ نيوتن.. أين تقع قناة السويس؟ في مصر.. من أين تأكدت بأنك جميل وظيف؟ أمي أكدت لي... ما هو أقدم حيوان على الأرض؟ إنه الحمار الوحشي لأنه بالأبيض والأسود، ما هي أكثر دولة فيها فلاسفة؟ الكويت...!

أما في الفلسفة فالأمور لا تسير بهذه الطريقة، من خلال الرد بالإجابات القاطعة، من بداية ماذا تعني الفلسفة؟ إلى أن تصل إلى معنى الحياة، والسعادة، الوجود، والأخلاق، والجمال.. في مثل هذه الأسئلة عليك بالبحث وقد تجد أمامك عدة آراء متناقضة ومتضادة، عليك أن تختار إجاباتك، فلا أحد يقدم إليك الإجابة الجاهزة!

مكتبة سُر من قرأ

قف في الطابور

قراءة كتاب «كيف تكون غنياً في أسبوع» لن يجعلك غنياً، و«كيف تتحدث اليابانية في خمسة أيام» لن يجعلك تتحدث اليابانية، كما أن كتاب من نوع «افهم الفلسفة في عشرة أيام» لن تفهمك شيئاً، قراءة الفلسفة وفهمها تحتاج إلى الصبر، والجهد، فإن كنت ملولاً فمن البداية لا تقف في هذا الطابور!

ليس كل ما تقرأه بالضرورة حكمًا عالية وكلمات عميقة، قد تجد أيضًا سخافات وأكاذيب مرتبة ومكتوبة بلغة رصينة ومعقدة - كما يقول «راسل» - هنا يأتي دورك كقارئ واع، أن تختار... ودائمًا الاختيار بيد الإنسان الفرد وحده، وهذا هو المهم!



لا وجود للحبة التي تعالج كل الامراض ولا وجود
لكتاب يغطي كل مباحث وموضوعات الفلسفة

قال الفلاسفة

لا توجد مقولة «قالت الفلاسفة» فالفلاسفة لا يقولون بل الفيلسوف يقول، لأنك تعودت على مقولات: «قال الفيزيائيون» و«قال السلف» و«قال الأطباء»، الفلاسفة ليسوا ناديًا ولا جهة واحدة ولا قطعانًا من الخراف أو الذئاب، الفيلسوف نسر يصطاد وحيدًا، ولهذا «يقول» الفيلسوف، ورأيه يخصه وحده ولا يخص أحدًا غيره، وفعله يخصه، فلا مكان للتعميم هنا.

إنهم بشر



عادة يهاجم أصحاب
التلقين الديني من يهتم بالفلسفة
بذكر مثالب الفلاسفة، وخاصة
المرتبطة بحياتهم الشخصية،

وأنه كيف نأخذ برأي فيلسوف كان متهمًا بأخذ الرشا كفرانيسيس
يكون، أو كان صاحب تصرفات لا أخلاقية مثل جان جاك
روسو، أو صاحب علاقات جنسية مثل ميشيل فوكو... وهنا
لا بد من الإشارة إلى أن الفلاسفة بشر لا يوحى إليهم، ولا
هم بمعصومين، ولا ادَّعوا النبوة، ولا تقرأ نصوصهم الفلسفية
كنصوص دينية مقدسة، ولا هم ادَّعوا أنهم يملكون الحقيقة
المطلقة والإجابات الجامعة المانعة لكل سؤال، وإلا لكانوا كهنة
وليسوا فلاسفة!

الفلسفة مثل الفن أفقية

لا توجد كتب حديثة وقديمة في الفلسفة، فأنت لا تشتري
هاتفًا وتطلب النسخة الأخيرة، في الفلسفة كما في الفن، المسار
أفقي، كما أنك قد تسمع أغاني قديمة، وتقرأ أشعار المتنبي، وتحب
لوحات دافنشي، وفيمير، وفان كوخ، وتماثيل رودان، من دون أن
تهتم بحديث أو قديم، كذلك في الفلسفة فأنت تقرأ للفيلسوف
بغض النظر عن الزمن الذي عاش فيه، لأنها ليست تراكمية بل هي

تجربة ذاتية، نعم الفلسفات تتغير مع تغير الواقع والتطور العلمي والأدوات المستخدمة مثلها مثل تطور أدوات الفن.

إنها أفقية تنتقي منها ما تريد، وكما أن الزمان لا يحد الفيلسوف، فإن المكان أيضًا والبيئة التي عاشها الفيلسوف واللغة التي كتب بها كتبه لا تحده، فأنت تبحث عن الفكرة الرائدة والرأي الذي يتواءم مع آرائك وبنيتك الفكرية.

والتصنيفات حول الفكر الغربي والشرقي، هي مجرد تصنيفات للتمييز بين الفلاسفة، فالفكر الإنساني واحد والإبداع واحد، والعقل المشترك بين البشرية واحد، وطرح التغريب والتغرب كلام ساذج وتافه، فكل ما نعيشه من تطور علمي وتكنولوجيا وأخلاقي هو نتاج إنساني مشترك!

مكتبة

t.me/soramnqraa

لا تجعلك ملحدًا أو مؤمنًا

الفلسفة لا علاقة لها بإيمانك وكفرك، لن تصبح ملحدًا زنديقًا إن قرأت الفلسفة ولن تصبح مؤمنًا، الإيمان بأي شيء نابع من داخل الإنسان، وهناك مليار ملحد في العالم لم يقرأوا الفلسفة ولا سقرط ولا شوبنهاور ولا هيجل ولا ماركس.. وهناك مؤمنون بالله لم يقرأوا كتابًا «سماويًا» واحدًا، أما إن كنت تبحث في موضوع «الله» أو «الخالق» أو «العلة الأولى» أو «واجب الوجود» فإن الفلسفة تضع أمامك كل الخيارات والإجابات... وفي النهاية أنت من تختار لا أحد يفرض عليك اختياراتك!



كتب الفلسفة ليست ألوحاً مقدسة!

٢. لماذا تريد قراءة الفلسفة؟

الغاية تحدد الوسيلة، كما أن غايتك من شراء السيارة تحدد نوعية سيارتك، فمن يريد سيارة للسباق لا يشتري فان عائلي، ومن يريد تخفيف وزنه سريعاً لا يشترك في مطاعم الوجبات السريعة، فالغاية من قراءة الفلسفة تحدد الكتب التي يفترض قراءتها وكيفية قراءتها، ولهذا أحاول أولاً أن أسهل الطريق وأضع أمامك بعض أنواع قراء الفلسفة، ونوع القارئ يحدد نوع الكتاب وطريقة القراءة:

١- القارئ الذي لا يريد أن يقرأ، وهو الذي لا تهمة الفلسفة ولا يريد أن يقرأ، ويريد أن يعرف لماذا عليه أن يقرأ الفلسفة، لهذا كتبت هذا الكتاب وركزت في أهمية الفلسفة، فلا فائدة من قراءة أي موضوع دون إدراك لقيمتها.



بسبب ندرتها استعاض فلاسفة اليونان
الكتب-بالسفر إلى الشرق لكسب المعرفة

٢- القارئ الباحث.. وهو باحث علمي في تخصص مختلف، ويريد الاستزادة والاستفادة من الفلسفة في مجال عمله، أو في بحثه العملي، فعليه عندها الذهاب إلى كتب الفلاسفة، والموسوعات الفلسفية المعتمدة، بحيث يوثق المصدر بدقة ليصل إلى تحقيق هدفه بطريقة علمية، أما الكتب الفلسفية العامة -مثل هذا الكتاب الذي تقرأه- فلا يصلح للباحث المتخصص، قد تفيده هذه الكتب في بعض الإشارات ولكنها ليست مصادر معتمدة للبحث العلمي!

٣- القارئ الواعي.. إن كنت تريد قراءة الفلسفة من باب المعلومات العامة وزيادة معارفك، وتستفيد منها في مقالاتك مثلاً أو حواراتك مع الآخرين أو حتى للتفلسف -بمعناه الشعبي- فلا بد أن تكون بدايتك مع الكتب

التي تتحدث وتشرح الفلسفة وليست الكتب التي كتبها
الفلاسفة، فقراءتك لكتب «نقد العقل الخالص» لإيمانويل
كانت، أو الأخلاق عند سينيوزا، غير مفيدة لك وستهرب
من الفلسفة هروب المواطن من رجال الأمن - للتوضيح
في بلادنا الشاسعة المواطن يخاف من رجل الأمن أكثر من
المجرمين - وهذه الكتب متوفرة إلى حد ما باللغة العربية،
تبدأ بهذه الكتب البسيطة بعدها ترتقي إلى الكتب الأكثر
تفصيلاً إن أحببت السير في هذا المجال.

أقول «أحببت» لأن الفلسفة امرأة
حساسة وعاشقة فهي «محببة للحكمة»،
ولا يمكن أن تكرهها ثم تدعي أنك لم
تفهم شيئاً، إنك لا تفهمها لأنها لا تريدك
أن تدخل عالمها، فالداخلون إلى عالم
الفلسفة دخلوها عاشقين وليسوا
مخططين، وشخصياً لم أخطط
للدخول في مجال الفلسفة ولكن
وجدت نفسي غارقاً في صفحاتها،
مثلما وجد «كارل بوبر» نفسه فجأة
يحاضر ويكتب في الفلسفة - حلو أن
الواحد يقارن نفسه بسقراط مرة
وبكارل بوبر مرة أخرى - وكثير



من الباحثين والعلماء دخلوا عالم الفلسفة بدافع الحب لا المعرفة، فإن كنت لا تحبها فلا تتعب نفسك بقراءتها، مع ملاحظة أن حبك لها لا يعني «بالضرورة» أنك ستفهمها، لسببين، أولاً لأنه لا وجود لكلمة ضرورة في الفلسفة، وثانياً كما قلت لك لأن الفلسفة «امرأة»!

ولا بد من التوضيح، إن فكرت في قراءة ما كتبه الفلاسفة فأعتقد أن البداية تكون مع فلاسفة مثل: برتراند راسل، حنا آرنست، سارتر، سيمون دي بوفوار، جيجك، كارل بوبر، سيوران، أو قراءة مذكرات الفلاسفة الشخصية كجون ستورات مل أو اعترافات أوغسطين وغيرها... سيكون ملائماً جداً خاصة وأن بعضهم يكتب بلغة أدبية راقية، وأغلبهم كتب في الأمور العامة ولا يحلق فقط في الغرف المظلمة المغلقة!



كتب الفلسفة تطبخ على نار هادئة.. لا وجود
لكتاب من نوع تعلم الفلسفة في خمسة أيام!

٤- القارئ المعلم.. معلمو ومعلمات الفلسفة، عادة يعانون من الالتزام بالنص المدرسي مع أن طبيعة الفلسفة هي الخروج عن النص، وبعضهم يجد نفسه يكرر نفس الكلام والموضوع الممل، ولهذا يحاول أن يقرأ حتى يطور من إمكانياته وقدراته في شرح المادة العلمية، وأظن أن هذه القراءة لا تعتبر ترفاً بالنسبة إليهم بل ضرورة، فتحليل النص الفلسفي من أهم القدرات التي يجب أن يتحلى بها المعلم، كما أن وجود خلفية ثقافية وتأصيل الفلسفات مهمة للمعلم وهو يدرّس مادته، وفهمه للمصطلحات الفلسفية مهمة أيضاً، والمهم بالنسبة إلى المعلم أن يمتلك الطريقة التي تسهل الأفكار، والقصة والمثال أسهل طريق لإيصال الفكرة إلى المتعلم، والجمود والتجريد الفلسفي لا يكسره سوى المثال البسيط والقريب من ذهن المتعلم، ولعل أفلاطون مارس هذا الأسلوب من خلال تطويع الأساطير لأفكاره في محاوراته.

وأظن أن معرفة الحياة الشخصية للفلاسفة وقصصهم ويوميّاتهم مهمة جداً لأنها تقرب صورة الفلاسفة إلى المتعلم، كما أن مراجعة الموسوعات الفلسفية بين حين وآخر مهمة أيضاً حتى لا يقع المعلم في اللبس وحتى لا يفهم ويشرح النص بصورة مغايرة للحقيقة.

٥- القارئ المجادل.. قراءة الفلسفة من أجل إثبات الآراء والمناقشة والجدل، وهنا فرق بين أن تقرأ الفلسفة لتعرف كيف تناقش وتجادل وتصل إلى الحقيقة وهذا محمود -وخوش شي- ففي النهاية أنت تريد أن تصل إلى طريقة تتعلم منها، ومن يريد أن يدخل في هذا الباب لا شك عليه الاهتمام بالمنطق، وقوانين الفكر، والمغالطات المنطقية، وقراءة بعض محاورات أفلاطون لا شك أنها مفيدة لتنمية هذه القدرات، فالمنطق أداة وآلة مهمة جدًا للنقاش!



٦- القارئ المجادل.. الذي يريد أن يدخل الحلبة ليهدم بعنف كل المصارعين أمامه من خلال سلاح الفلسفة، لديه آراء وقناعات ثابتة، واعتقادات يقينية مطلقة غير قابلة للنقد، ويريد أن يشغل المنطق والفلسفة خدماً لديه، وهذا ما فعلته الكنيسة في العصور الوسطى عندما جعلت الفلسفة خادمة مطيعة لها، إلا أن الفلسفة ومع عصر النهضة بدأت بخلع ثيابها وتمردت، ودمرت مستعبدتها، فالفلسفة آلهة حكماء تريد من يبني المعابد لها، لا عاملة تنظيف للمعتقدات.

في علم الكلام وهو علم الدفاع عن العقائد الدينية بطريقة عقلية، يبدأ الفرد بالنتائج، أي الإيمان ثم يقوم بالدفاع عن معتقداته بطريقة عقلية، أما في الفلسفة فلا أحد يدافع عن عقائد دينية أو

اجتماعية أو طبيعية، بل يبدوون بالبحث والتساؤلات أولاً ثم يصلون إلى النتائج.

وأنصح هذه النوعية من القراء الذين يتصورون الفلسفة مخزن سلاح بأن لا يدخلوا من هذا الباب، لن يستفيدوا شيئاً من هذه القراءة، فأن تقرأ الفلسفة تعني أن تبحث عن الإجابات، فإن كنت تملك كل الإجابات، فلا داعي إلى أن تتعب نفسك وتتعب الفلاسفة معك!



**قراءة الكتب الورقية لاشك افضل من
الالكترونية لأمكانية تدوين الملاحظات ومتابعة
تقرأ بدقة.. على الاقل بالنسبة لي!**

٧- القارئ التائه.. الباحث عن طريقة للإجابة على تساؤلاته بعيداً عن الإجابات الجاهزة التي تقدمها المؤسسات الدينية، والسلطة، والإعلام، يريد القراءة من أجل أن

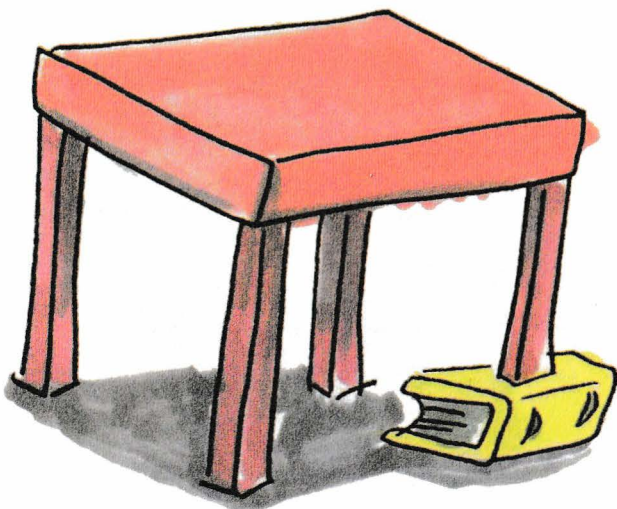
يشعر بالطمأنينة أو أن يسلك طريقة في الحياة تجعله يشعر بالأمان والاستقرار، فالباحث عن الحقيقة عليه بالبدايات، أن يقرأ ما تيسر له من مقدمات للكتب الفلسفية حتى يعتاد على لغتها، ثم يركز في الأسئلة والقضايا التي تواجهه ويبحث عنها حتى لا يتشتت في قراءاته، أما الباحث عن طريقة للحياة فعليه قراءة الفلسفات التي تمهد للإنسان طريقه وتضع له المبادئ العامة، فالفلسفات: الرواقية، الأبيقورية، الكلبية، الماركسية، الوجودية تضع قيماً عامة ورؤية خاصة للحياة، كما يضعها كثير من الفلاسفة الذين يهتمون بجوانب القيم والأخلاق والجمال.

هذا النوع من القراء يجب أن يتعد عن تفاصيل القراءات الفلسفية ويهتم بما يهمه فقط.

٨- القارئ القارئ.. لماذا لم أذكر الأفلام أو الفيديوها أو البودكاستات في بحث الفلسفة، لسبب بسيط وهو أن الفلسفة يجب أن تقرأ أولاً، نعم موقع اليوتيوب به كثير من المعلومات المتنوعة ولكنها عادة يلعب فيها العقل دور المستقبل فقط، في حين أن الرؤية النقدية والتفكير عادة ما يأتي مع القراءة... بعد القراءة اتجه إلى الاستماع والنظر، خاصة وأن كثيراً مما يتداول عبر محركات البحث، يحتاج إلى بحث!

٩- القارئ السارق.. ونتحدث عن الباحثين عن الأفكار، وهؤلاء تجدهم في مجالات متعددة: رئيس إدارة، باحث، كاتب روائي، خطيب، محام، ممثل مسرحي، سياسي... يبحث عن أفكار وآراء متنوعة في موضوعه أيًا كان، وقد يجد ضالته في القراءة الفلسفية التي تفتح له آفاقًا مختلفة عن تخصصه وتضيف إليه، وهذا لا يحتاج إلى أن يتعمق كثيرًا في كل جوانب الفلسفة بل يحتاج إلى القراءة عن فكرته فقط والبحث عنها!

وبصورة عامة مهما كان هدفك، فعليك أن تبدأ بالسيط والسهل والمفهوم، ثم إن أحببتها، فهي ستفتح لك الأبواب وستجد نفسك ليس قارئًا فقط بل مرشدًا للآخرين في قراءاتهم.



لا وجود لكتاب بلا فائدة

٣. كيف أقرأ كتب الفلسفة..

أولاً: ممنوع قبل النوم

كتب الفلسفة لا تصلح للقراءة وأنت ملتحف قبل النوم، لأنه عندها ستنام سريعاً من دون أن تكمل صفحة واحدة، وستحلم بشو بنهور وهو يحمل منشاراً كهربائياً ويقطع أشجار غابة «باركلي»، بينما ماركس يحمل منجلاً يركض خلف هيغل، وراسل يطير في الفضاء وهو يصب الشاي من إبريقه لأوغطسين... أو ستصاب بالأرق حتى الفجر وتسمع صوت صياح ديك فيثاغورس الأبيض! لهذا عليك أن تختار وقتاً مناسباً ممتداً إلى حد ما لقراءة الفلسفة، يكون فيها العقل مستعداً للعمل بنشاط، والجسد بكامل لياقته البدنية.



المكان المريح لك هو المكان الملائم للقراءة

ثانيًا: تقرأ الكتاب من المنتصف

في قراءة الفلسفة عادة الكتب مقسمة إلى أقسام، ففي إمكانك أن تقرأ الكتاب من المنتصف، إنها ليست رواية حتى تقرأها من البداية لتفهم أحداثها، اختر أي قسم تراه ملائمًا لتساؤلًا لك وابدأ بالقراءة، لن يحزن ويتألم صاحب الكتاب إن فعلت ذلك، فهو بدأ بكتابة كتابه من المنتصف أو من الآخر، مثلما فعلت شخصيًا!

ثالثًا: شخبط على الحاشية

قراءة الفلسفة مختلفة تمامًا عن قراءة الكتب الروائية والشعر والأدب، فأنت أمام مادة مختلفة، إذن عليك بحمل القلم معك وأنت تقرأ بروية، إن لم تستوعب الفكرة أعد القراءة مرات، لا شيء مخجل في عدم المعرفة، كتابة الملاحظات على الحاشية أو في دفتر مستقل ضرورة لمتابعة ما تقرأ، لا يهم كم تقرأ المهم كم تفهم وتستوعب سواء قرأت صفحة واحدة أو مئة، فما يهم هنا هي القراءة النقدية التي تثير عقلك!



رابعًا: إِفْهَم، لا تحفظ

الفلسفة ليست مادة حفظ، وشخصيًا أحد أسباب تخصصي في الفلسفة كان عدم تقبلي وعدم حبي للحفظ ونوعية الاختبارات على طريقة اختر الإجابة الصحيحة، فأنت كقارئ لست ملزمًا بحفظ أسماء الفلاسفة وتواريخ ميلادهم، وكل آرائهم بالتفصيل، أنت لست أمام قراءة كتاب للتاريخ، الاستيعاب والفهم هو المهم، فلا تهتم كثيرًا إن أصابك الارتباك من نسيان بعض الأسماء أو الآراء هنا وهناك، عندما تقرأ وتستمر في القراءة عندها ستكون في ذهنك تلك الخارطة الذهنية الكبيرة التي تدلك على الطريق.

خامسًا: راجع الموسوعات

مراجعة كتب الموسوعات الفلسفية أو حتى الموجودة في «النت»، مثل موقع ستانفورد^(١٥٨) لفهم بعض الآراء المبهمة ضروري جدًا، لا يمكن أن تقرأ كتب الفلسفة، ولم تتعامل مع النص الفلسفي وغير قادر على تحليله من دون اللجوء إلى الموسوعات، فالمصطلحات الفلسفية ليست عامة، وكلمات مثل: «الفساد، القوة، الفطرة، العقل، قوانين العقل، الهوية...» لها معاني مختلفة تمامًا عن المعنى العام المتداول!

وحتى لو أصبحت متمرسًا ومحبًا لقراءة الفلسفة فوجود الموسوعات والاستعانة بها ضرورة لا يمكن إغفالها.



في قراءة كتب الفلسفة عليك التلني بالقراءة
حتى تستطيع اللحاق بالفكرة!

سادسًا: اقرأ مرة أخرى

لا يوجد ضرر، ولا هي إهانة لقدراتك إن قرأت الكتاب أو
الموضوع الفلسفي مرة، ومرتين، أو ثلاث مرات، حتى تستوعب
الفكرة التي يريد إيصالها الكاتب، أو الرأي الذي طرحه لحل
معضلة، إنها ليست رواية وفيلمًا مسليًا، ولا شك أن إعادة ما تقرأ
يجعلك تستوعب الفكرة وتنظر إليها من عدة زوايا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخاتمة

إنها ليست الخاتمة بل البداية للعبور من النهر..

الهوامش

١. سقراط - SOCRATES - (٤٧٠-٣٣٩ ق.م.) استخدم سقراط منهج التهكم والتوليد حيث كان يبدأ جدله بالتهكم -وهي السخرية من الأفكار والآراء وليس الأشخاص- من المفاهيم العامة والشعبية للقيم مثل الشجاعة والعدل والتقوى ثم يبدأ بتوليد فكرته، وكان أرسطو بخلاف كتاباته الرصينة متهمًا في حوارهِ اليومي، وأفلاطون كان واضحًا في تهكمه من خلال محاوراته رغم رصانته الظاهرة، فالتهمك ليس صفة غريبة على الفلاسفة عموماً بل قد يكون الفيلسوف أكثر قدرة على التهكم من غيره لأنه يحمل عقلاً نقدياً كاشفاً للمتناقضات.
٢. مينيرفا - MINERVA - هي إلهة الحكمة والعقل وتصور على شكل بومة بعيون ونظرة ثاقبة ويرمز إليها بالعدد سبعة كونها لم تولد من إله ولم تنجب آلهة وقد شبه «هيجل» الفلسفة «ببومة مينيرفا».
٣. مقولة كتبها «ول ديورانت» في مقدمة مجلداته «قصة الحضارة» منسوبة إلى «تاي تنغ» مؤرخ صيني.
٤. سولون - SOLON - (٦٤٠-٥٦٠ ق.م.) فيلسوف ومشرع وحاكم أثينا، واشتهر بقوانينه التي حررت العبيد ونظمت حياة الناس في

أثينا، وكان مخلصًا للديمقراطية.

٥. فيثاغورس -Pythagoras- (٥٨٢-٥٠٠ ق.م.).
٦. كروتون -CROTONE- مدينة في جنوب إيطاليا وكانت ضمن المستعمرات اليونانية في تلك الفترة.
٧. السفسطائية Sophist -الحكماء- وهي حركة فلسفية ظهرت في بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد، تشكك في كل المعارف الطبيعية والأخلاقية، وهي كفكرة وتوجه أيضًا كانت موجودة في الهند قبل ذلك بكثير.
٨. أرسطو -Aristotle- (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.).
 - مارتن هيدغر Martin Heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦).
 - إبكتيتوس Epictetus (٥٥-١٣٠ ق.م.).
 - أبيقور Epicurus (٣٤١-٢٧٠ ق.م.).
 - زينون الرواقي Zeno of Citium (٣٣٤-٢٦٢ ق.م.).
 - القديس توماس الأكويني Thomas Aquinas (١٢٢٥-١٢٧٤).
 - جان بول سارتر Jean-Paul Sartre (١٩٠٥-١٩٨٠).
 - إدموند هوسلر Edmund Husserl (١٨٥٩-١٩٣٨).
 - كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨-١٨٨٣).
 - وليم جيمس William James (١٨٤٢-١٩١٠).
 - فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (١٨٤٤-١٩٠٠).
٩. «مجمع نيقيا الأول» أقيم في سنة ٣٥٢ لتحديد المبادئ العامة للمسيحية، ونتج منه أول أشكال قانون الإيمان المسيحي، ومن اعترض على هذه العقائد المسيحية العامة، يعتبر من أصحاب البدع ومن أعداء المسيح.

١٠. أبو بكر الرازي (ت ٩٢٣).. فيلسوف وكيميائي وطبيب.
١١. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي المعروف بابن رشد (١١٢٦-١١٩٨).
١٢. رينيه ديكارت René Descartes (١٥٩٥-١٦٥٠).
١٣. فولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨).
١٤. جون ستيورات مل John Stuart Mill (١٨٠٦-١٨٧٣).
١٥. برتراند راسل Bertrand Arthur William Russell (١٨٧٢-١٩٧٠).
١٦. الإمبراطورية الأخمينية - هخامنش - Achaemenid Empire - مؤسسها كورش الكبير (٥٥٠-٣٣٠ ق.م.).
١٧. أيونيا Ionia وهي مستعمرات يونانية عبارة عن سبع مدن رئيسية تقع على الساحل الغربي من تركيا، ومن هناك بدأت إرهابات الفلسفة على يد الفلاسفة الطبيعيين وأشهرهم طاليس.
١٨. طاليس الملطي Thales of Miletus (٦٤٠-٥٥٠ ق.م.).
١٩. إمبيدوكليس Empedocles (٤٨٤-٤٢٤ ق.م.).
٢٠. إبيمنديس Epimenides (٤٥٠ ق.م.).
٢١. ديموقريطس Democritus (٤٦٠-٣٧٠ ق.م.).
٢٢. هيرقليطس Heraclitus (٥٣٥-٤٧٥ ق.م.).
٢٣. بياس Bias of Priene (٧٥٠ ق.م.).
٢٤. هيزيود - هسيودوس - Hesiod - عاش بين (٧٥٠-٦٥٠ ق.م.) تقريباً.
٢٥. الميوزات - الملهمات - ربات الفنون - Muses - تسعة مخلوقات إلهية، وهن مصدر الإلهام والإبداع في كل الفنون من شعر وغناء وموسيقى

ونحت ومسرح.. عند اليونان قديماً، فقد كان الإغريق يؤمنون بأن أشعار هيزيود وهوميروس إلهام من الآلهة، وقد ادعى الشاعر «هيزيود» الذي كتب أشعاره حول الآلهة وأنسابهم بأن هذه الميوزات ظهرن له وهو يرعى الأغنام فصار شاعراً يكرس شعره تخليداً للآلهة.

٢٦. زيوس Zeus - أبو الآلهة والبشر، وحاكم جبل الأولمب.

٢٧. الإشراف، والمدرسة المشائية، لقد ظهرت مدرستان في الشرق بتأثيرات من أفلاطون والأفلاطونية الجديدة من جهة وأرسطو من جهة أخرى، وقد كان ابن سينا والسهرووردي المقتول أشهر الإشرافيين الذين يميلون إلى نظريات النور والكشف الإلهي، أما المشائية فنسبة إلى أرسطو فقد كان يطرح تعاليمه وهو يمشي في متحفه وخلفه تلاميذه، ومن أشهر أتباعه في الشرق ابن رشد والكندي والفارابي.

٢٨. يوهان غوتليب فيشته Johann Gottlieb Fichte (١٧٦٢-١٨١٤).

٢٩. إيمانويل كانت (كانط) Immanuel Kant (١٧٢٤-١٨٠٤).

٣٠. محمد باقر بن محمد الحسيني الإسترأبادي المعروف بالميرداماد (١٥٦١ - ١٦٣١).

٣١. ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (١٥٧٢-١٦٤٠).

٣٢. مارتن هيدغر Martin Heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦).

٣٣. من كتاب فكر بنفسك - ينس زونتجن - وهو يتحدث بنوع من السخرية عن علاقة هيدغر بأخيه.

٣٤. حنا أرنت Hannah Arendt (١٩٠٦-١٩٧٥).

٣٥. إميل سيوران - Emil Cioran (١٩١١-١٩٩٥).

٣٦. غورغياس Gorgias (٤٨٣ - ٣٧٥ ق.م.).

٣٧. آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨ - ١٨٦٠).
٣٨. كزينوفانس الإيلي - إكسينوفان Xenophane (٥٧٠ - ٤٧٥ ق.م.).
٣٩. ديوجين الكلبي - ديوجانيس Diogenes of Sinope (٤٠٤ - ٣٢٣ ق.م.).
٤٠. غوتفريد فيلهلم لايبنتس (ليبتز) Gottfried Wilhelm Leibniz (١٦٤٦ - ١٧١٦).
٤١. الإمام الحافظ أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٧٠٧ - ٧٧٤).
٤٢. غيلان الدمشقي - اختلف كثير من الرواة حول نسبه وتاريخ ومكان ميلاده والقريب أنه من موالي فارس منه إلى أقباط مصر قتل بحد الحراية في (٧٤٢).
٤٣. أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري (١٠٥٨ - ١١١١).
٤٤. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي المعروف بابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨).
٤٥. أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (ت ١٠٣٧).
٤٦. أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي (١١١٦ - ١٢٠١).
٤٧. أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا المعروف بابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧).
٤٨. أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي (٩٢٢ - ١٠٢٣).
٤٩. أبو العلاء أحمد بن محمد القضاعي التنوخي المعري (٩٧٣ - ١٠٥٧).

٥٠. أبو محمد علي بن أحمد بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي (٩٩٤-١٠٦٤).
٥١. أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي المعروف باسم ابن الراوندي (٨٢٧-٩١١).
٥٢. أبو الفضل صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي (ت ٧٣٠).
٥٣. أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، ويلقب بشهاب الدين، واشتهر باسم السهروردي المقتول (١١٥٥-١١٩١).
٥٤. أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج الفارسي البضاوي (٨٥٨-٩٢٢).
٥٥. حيوي البلخي مفسر وناقد للكتاب المقدس في أواخر القرن التاسع الميلادي حيث شكك ووضع مئتي ملاحظة على التوراة رافضاً المعجزات، ومحاولاً تفسيرها بطريقة طبيعية، وقد تم تكفيره من قبل اليهود.
٥٦. باروخ سبينوزا. Baruch Spinoza (١٦٣٢-١٦٧٧).
٥٧. هيباتيا السكندرية Hypatia (٣٧٠-٤١٥).
٥٨. القديس برونو Bruno of Würzburg (١٠٠٥-١٠٤٥).
٥٩. يان هوس Jan Hus (١٣٧٠-١٤١٥).
٦٠. القديس توماس الأكويني Thomas Aquinas (١٢٢٥-١٢٧٤).
٦١. ستيفن هوكينغ Stephen William Hawking (١٩٤٢-٢٠١٨).
٦٢. ريشارد فايمان Richard Phillips Feynman (١٩١٨-١٩٨٨).
٦٣. إسحق نيوتن - Sir Isaac Newton - (١٦٤٢-١٧٢٧).

٦٤. كارل بوبر Karl Raimund Popper (١٩٠٢-١٩٩٤).
٦٥. أمية بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي شاعر جاهلي، (ت ٦٢٦).
٦٦. القرآن، سورة الشعراء الآية ٢٢٤.
٦٧. أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي المذحجي المعروف بأبي نواس (٧٦٢-٨١٣).
٦٨. علماء الكلام هم المدافعون عن الدين أو المذهب الذي ينتمون إليه بطريقة عقلية ويستخدمون الجدل كوسيلة لعرض آرائهم وتفنيد آراء الآخرين.
٦٩. إبراهيم بن سيّار بن هانئ النّظام (٧٧٧-٨٣٦).
٧٠. ماري وولستونكرافت Mary Wollstonecraft (١٧٥٩-١٧٩٧).
٧١. سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir (١٩٠٨-١٩٨٦).
٧٢. زينون الإيلي Zeno of Eleac (٤٩٥ - ٣٤٠ ق.م.).
٧٣. أناكساغورس - Anaxagoras (٥١٠ - ٤٢٨ ق.م.).
٧٤. بروتاغوراس - BC Protagoras (٤٩٠ - ٤٢٠ ق.م.).
٧٥. دياغوراس الملحد Diagoras «the Atheist» of Melos.
٧٦. الخليفة العباسي الثالث أبو عبد الله محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب الهاشمي (٧٤٥-٧٨٥).
٧٧. أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي - Albumaser (٧٨٧-٨٨٦).
٧٨. الخليفة العباسي العاشر أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي (٨٢٢-٨٦١).

٧٩. يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين الغزنوي أشهر حكام الدولة الغزنوية (٩٧١ - ١٠٣٠).
٨٠. الإمبراطور جستينيان الأول Justinian I (٤٨٢ - ٥٦٥).
٨١. الإمبراطور دوميتان Domitian (٥١ - ٩٦).
٨٢. أغلب هذه الأمثلة وأكثر منها وبالتفصيل تجدها في كتاب جيمس جورج فريزر - الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، حيث يكشف كثيرًا من أصول السحر والخرافات في العادات والتقاليد والممارسات الحالية.
٨٣. القديس أوغسطينوس Augustine of Hippo (٣٥٤ - ٤٣٠).
٨٤. القديس أنسلم Anselm of Canterbury (١٠٣٣ - ١١٠٩).
٨٥. البابا غورغويوس الأول Pope Gregory I (٥٤٠ - ٦٠٤).
٨٦. الباب ليو التاسع Pope Leo IX (١٠٠٢ - ١٠٥٤).
٨٧. بطرس أو سمعان بطرس أحد حواربي المسيح الاثني عشر.
٨٨. ول ديورانت William James Durant صاحب كتاب قصة الحضارة، التي استقيت منها كثيرًا من الأحداث في القرون الوسطى.
٨٩. سيجر البرابانتي Siger of Brabant (١٢٤٠ - ١٢٨٤).
٩٠. سابع الخلفاء العباسيين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي (٧٨٦ - ٨٣٣).
٩١. منطقة شاسعة ممتدة في آسيا الوسطى.
٩٢. والعدد ٧٢ مطابق لعدد دعاة زرادشت، وعدد أصحاب الحسين في كربلاء!
٩٣. البداية والنهاية.. لابن كثير.

٩٤. سفر رؤيا يوحنا ١٣-١٨.
٩٥. إنجيل متى ١٠:٣٧.
٩٦. انجيل متى ١٩:٢٩.
٩٧. انجيل متى ١٨:٢٠.
٩٨. انجيل لوقا ١٤:٢٧.
٩٩. القديس برنارد Bernard de Clairvaux (١٠٩٠-١١٥٣).
١٠٠. صحيفة الغارديان ١٩ مارس ١٩١٧.
١٠١. ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius Antoninus Augustus (١٢١-١٨٠).
١٠٢. أناكساغورس - Anaxagoras (٥١٠-٤٢٨ ق.م.).
١٠٣. الخليفة العباسي التاسع أبو جعفر هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي (٨١٦-٨٤٧).
١٠٤. ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك.
١٠٥. Empedocles إمبيدوكليس (٤٨٤-٤٢٤ ق.م.).
١٠٦. مثال الكهف الذي كتبه أفلاطون في كتاب الجمهورية، لتوضيح نظرية المثل التي طرحها من خلال فكرة الكهف، وبأن الناس يعيشون في الكهف ويرون الظلال أمامهم ويعتقدون أنها الحقيقة.
١٠٧. ظهرت فرقة المرجئة في عصر الفتنة في زمن الخلفاء الراشدين، وهم لا يكفرون أي مسلم، ويرون في «الإرجاء» كل المسائل والشخصيات التي يختلف المسلمون عليها إلى يوم القيامة. واتسمت حركتهم بقربها من السلطات السياسية.

١٠٨. الميثافريقا - وتعني ما وراء الطبيعة، وتطلق على مباحث الوجود عادة، وتمت تسميتها بما وراء الطبيعة بسبب ترتيب كتب أرسطو حيث تم تقسيمها وفقاً لكل مبحث، وقد كان المبحث قبل الأخير تحت اسم الطبيعة، وفي هذا المبحث الأخير سمي بما وراء - جزء - مبحث الطبيعة، وضياح كتب أرسطو وإيجادها في حد ذاتها قصة أخرى.
١٠٩. برسوبوليس - Persepolis - عاصمة الدولة الأخمينية.
١١٠. سنوبي - Snoopy - وهو من أشهر رسومات الكوميك في القرن العشرين والذي أبدعه تشارلي بروان.
١١١. غريندايزر - Grendizer - وهو إنمي ياباني ظهر في السبعينيات ويحكي قصة رجل الفضاء الذي يدافع عن كوكب الأرض ضد «فيغا الكبير» ووحوشه.
١١٢. سلفستر - Sylvester - وهو القط في الرسوم المتحركة الذي يطارد «تويتي والفأر سيدي غونزالز» ومع الأسف تبوء كل محاولاته بالفشل.
١١٣. إدموند غيتيه - Edmund Gettier (١٩٢٧-٢٠٢١).
١١٤. وين ستيت Wayne State University.
١١٥. بيرون - بيرو - Pyrrho of Elis (٣٦٠-٢٧٠ ق.م.).
١١٦. الدوغماتية Dogma.
١١٧. وضع أفلاطون نظرية المثل ليحيل كل ما حولنا من محسوسات متغيرة وفانية ومتنوعة إلى أصل واحد وثابت ومطلق في عالم المثل، فالدوائر المرسومة أمامنا هي مجرد ظلال فهناك دائرة في عالم المثل، وأما الأشجار التي نراها فهي مجرد تمثيلات متنوعة للشجرة في عالم المثل التي تشكل الحقيقة المطلقة، وكذلك بالنسبة إلى بقية الكائنات.

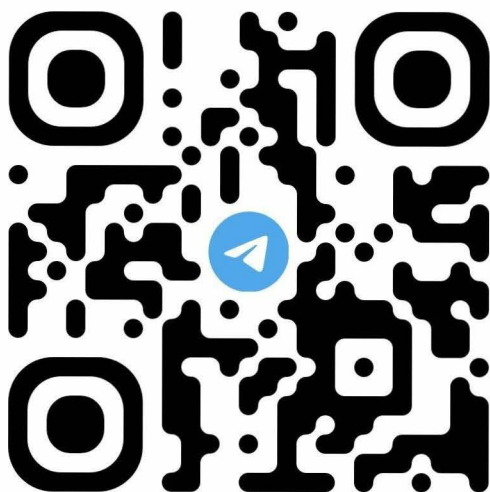
١١٨. توتاليتاري - Totalitarianism - وهو نظام الحكم الشمولي، ولـ«حنا آرنت» كتاب مهم حول أصول التوتاليتارية.
١١٩. جون لوك - John Locke - (١٦٣٢ - ١٧٠٤).
١٢٠. النومينون - noumenon - هي الحقيقة الأساسية للشيء التي تكمن وراء الظواهر الحسية التي نراها.
١٢١. المثالية Idealism.
١٢٢. كريستينا - Christina - ملكة السويد - (١٦٢٦ - ١٦٨٩).
١٢٣. أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي المعروف بابن طفيل (١١٠٠ - ١١٨٥).
١٢٤. عالم المثل - بضم الميم - The Forms.
١٢٥. محاورة مينون Menon.
١٢٦. المذهب التجريبي empiricism.
١٢٧. ديفيد هيوم David Hume (١٧١١ - ١٧٧٦).
١٢٨. البراغماتية Pragmatism.
١٢٩. جورج باركلي George Berkeley (١٦٨٥ - ١٧٥٣).
١٣٠. المقولات - Categories - وقد ظهرت عند أرسطو وبعدها عند كانت، ويرون بأنه لا يمكن حصول المعرفة من دون هذه «المقولات».
١٣١. أنيكسيمندر - Anaximander - (٦١١ - ٥٤٦ ق.م).
١٣٢. أفلوطين Plotinus - (٢٠٥ - ٢٧٠).
١٣٣. ألير كامو - Albert Camus - (١٩١٣ - ١٩٦٠).
١٣٤. أبرهام هيشيل - Abraham Joshua Heschel - (١٩٠٧ - ١٩٧٢).
١٣٥. سورين كيركيغارد - Soren Kierkegaard - (١٨١٣ - ١٨٥٥).

١٣٦. لوكيوس سينيكا - Lucius Annaeus Seneca - (٠ - ٦٥).
١٣٧. لوغوس، ثايموس، آيروس - Eros - Thumos - Logos.
١٣٨. إمبيدوكليس Empedocles (٤٨٤ - ٤٢٤ ق.م.).
١٣٩. هيغسياس - Hegesias (٢٩٠ ق.م.).
١٤٠. أبو عبد الله محمد الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني (١١٥٠ - ١٢٠٩).
١٤١. أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (١٣٣٢ - ١٤٠٦).
١٤٢. القرآن - سورة الجاثية - آية ٢٤.
١٤٣. إيبمنديس - Epimenides (٤٥٠ ق.م.).
١٤٤. إميل دوركايم - David Émile Durkheim (١٨٥٨ - ١٩١٧).
١٤٥. جيرمي بنتام - Jeremy Bentham (١٧٨٤ - ١٨٣٢).
١٤٦. ول ديوارنت - قصة الحضارة.
١٤٧. هنري ثورو - Henry David Thoreau (١٨١٧ - ١٨٦٢).
١٤٨. الجهم بن صفوان الترمذي (٦٩٦ - ٧٤٦).
١٤٩. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٨٧٤ - ٩٣٦).
١٥٠. ليو تولستوي - Leo Tolstoy.
١٥١. جون ديوي John Dewey (١٨٥٩ - ١٩٥٢).
١٥٢. الأساطير - Myth.
١٥٣. بيغل - HMS Beagle - وهي السفينة التي أقلت دارون في رحلته سنة ١٨٣١ التي امتدت لخمس سنوات.
١٥٤. تشارلز دارون - Charles Robert Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢).
١٥٥. لودفيغ فغغنشتاين - Ludwig Wittgenstein (١٨٨٩ - ١٩٥١).

١٥٦. أنتيسينيس - Antístenes (٤٤٤-٣٦٥ ق.م)

١٥٧. فرانسيس بيكون - Francis Bacon (١٥٦١-١٦٢٦).

١٥٨. موقع ستانفورد - Stanford Encyclopedia of Philosophy.



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

كتاب يأخذك إلى عالم مختلف؛ يُعلن فيه "الكِندي" أن الحياة عبارة عن سفينة لا يسعد فيها إلا من زهد في عُثائها ومَلَكَ المعرفة، ويشترط "أفلاطون" أنه قبل الوصول إلى الحقيقة عليك الخروج من كهف الأوهام، ويوضح "ديكارت" أنه لا يُمكن أن تتقي التفاح الطازج من دون إفراغ السلة كلها، لتمييز الخبيث من الطيب من الأفكار، ويكشف لك "جون لوك" عن أن عقلك ليس سوى صفحة بيضاء تتحمل وحدك مسؤولية ما يُكتب عليها، أما "بارلكي" فمن خلال سقوط شجرة في الغابة، يثبت لك أن الحقيقة الوحيدة المطلقة في الكون هي الله!

كتابٌ غني بالأفكار، مليء بالأمثلة، مميز بأسلوبه، ومتميز برسوماته، لن تملّ من قراءته، ولن تندم على مزاحمته لبقية كتب مكتبتك، إنها الخطوة الأولى للدخول في عالم الفلسفة والفلاسفة!

الناشر

مكتبة

t.me/soramnqraa

جعفر رجب

تفاحة وشجرة
وهفحة بيضاء!



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

